تصميم الغلاف : رُبى ضياء الدين



هَمسُ الجِيَاد

مروة جمال









همس الجياد

المؤلفة : مروة جمال

تصميم الغلاف:ربى ضياء الدين

والتنسيق الداخلى :عصير الكتب للنشر الالكترونى

نشر في :يوليو٢٠١٥













همس الجياد

لـ

مروة جمال







الملخص:

مواقف كتير قوي في حياتنا بنحس إنها مرت علينا قبل كده، لكن في حالتي أنا.. مش مجرد إحساس، كانت حقيقة..

نفس الصوت بيزلزل وداني، صوت جهاز قياس نبضات القلب، قلبي؟!.. قلبه؟!..

مش عارفة!













الفصل الأول:

منذ عامين..

سنو وايت.. الجميلة النائمة.. هكذا أطلقوا عليها بالمشفى.

نظر لها أحد الأطباء المستجدين وهمس لزميله بمكر:

- ربما تحتاج لقبلة لتخرج من غفوتها!

رمقه الآخر بنظرة حادة :

- عزيزي.. حاول أن تكون ملاكاً للرحمة!

منذ الحادث الأليم وهي على نفس الحال..

تشعر بهمساتهم..

بكاء أمها.. حسرة أبيها..

ولكنها حقاً لا تستطيع..

تأبى أن تغادر حُلمها الجميل..

فهذا هو المكان الوحيد الذي يوجد به من ملك فؤادها..

"حبيبي.. أشتاق إليك.. صوتك.. ابتسامتك الساحرة..

سحقاً لتلك الأحلام فهي تعطيني كل شيء ولا شيء..

فلمستك الساحرة ليست لها بصمة داخل عالم أحلامي، كلما اقتربت منك تبخرت كالسراب".

"إينــاس.. إينــاس"





كان يقف على شاطئ البحر، يناديها بنبرته المعتادة..

إيناس:

ـ خلاص الشط كله عرف اسمي.

شريف:

ـ وكمان حيعرفوا إنك حبيبتي!

التفت يداه حول خصرها ليحملها كالأطفال..

إيناس:

ـ يا مجنون!

شريف:

ـ كده.. طيب جبتيه لنفسك!

إيناس:

ـ حتعمل إيه؟!

شريف:

ـ حتشوفي.

حملها بقوة وانطلق بها نحو المياه وأغرق جسدها وهو يضحك بشدة

بمرح..

نعم..

كانت تلك لحظاتي معك يا شريف..

لحظات من المرح..



مجرد لحظات..

فلقد تركتني بعد الزواج بشهر واحد!!.

وهكذا كانت ملامح وجهها تتأرجح بين الإنبساط والإنقباض..

بسمة ودمعة..

فهي غارقة في بحر من الذكريات وترفض العودة للواقع..

نعم فالواقع لا يوجد به سوى حقيقة واحدة تأبى أن تتعايش معها..

لقد مات شريف.

****

بجانب الفراش تجلس سيدة باكية.. ملامحها تنبئ بعمر يفوق عمرها الحقيقي ببضع سنوات..

يديها المرتعشتين تمسكان بمصحف صغير.. تتمتم بكلمات الرحمن في خشوع وبكاء..

كانت تغوص في ذاكرتها وتعود لمنزلها الدافئ بعيداً عن برودة المشفى التي تحمل روائح الداء والدواء معاً..

فثريا سيدة مصرية تقليدية.. منزلها هو مملكتها الصغيرة التي طالما احتضنتها وقدستها لأبلغ الحدود، فمجرد أن تدلف للمنزل تشعر بالحميمية والدفء الصادر من الحوائط ذات اللون القاتم الذي يذكرك بغروب الشمس..

الأثاث العتيق.. والسجاد الفاخر..عبق الروائح المميزة الصادرة من مطبخها منبئة بطعام دافء تشتم طعمه اللذيذ قبل أن تتذوقه..

زمت شفتيها وهي تحاول أن تتذكر مملكتها الغالية التي تركتها منذ أيام قابعة بهذا المشفى هي وابنتها وزوجها تاركة إبنها الأصغر ليعيث في منزلها فساداً..





أغلقت المصحف وابتسمت بسخرية فهي تشغل نفسها بالتفكير في المنزل ربما لتنسى ولو للحظات ما حل بابنتها.

تنهدت ثريا في أسى ثم قالت لزوجها:

- إيه يا عبد الرحمن، الدكتور قالك إيه.

عبد الرحمن:

- بيقول حالة انهيار عصبي.

ثريا باكية:

- ما أنا عارفة بس إحنا بقالنا أسبوع دلوقتي وهي مش دريانه بحاجة

عبد الرحمن:

- واخدة مهدئات كتير..

ثريا:

- يا عيني عليكِ يا بنتي ملحقتيش تتهني.

عبد الرحمن:

- خلاص بقى يا ثريا.. ادعيلها.

ثريا:

- بنتي بتضيع مني يا عبد الرحمن.. أنا خايفة عليها قوي.. أنا خايفة بعد الشر تحصله.

عبد الرحمن:

- أستغفر الله العظيم يا رب.. يا شيخة حرام عليكِ بلاش الفال ده.. استهدي بالله كده واقري لها قرآن.





ثريا:

ـ ونعم بالله.. طيب يعني هي حتفضل نايمة كده لإمتى؟

عبد الرحمن:

ـ معرفش.. بس بيقولوا لازم يخففوا جرعات المهدئ، لإنها كده مش دريانه بحاجة خالص، والدكتور النفسي بعد كده حيساعدها تتقبل اللي حصل.

ثريا:

ـ أيوه.. الدوا الزفت ده مخليها زي ما تكون في غيبوبة.

عبد الرحمن:

ـ مضطرين يا ثريا.. إنتِ نسيتِ حالة بنتك كانت عاملة إزاي بعد ما مات؟.

ثريا:

ـ متفكرنيش.. متفكرنيش أبوس إيدك.

عبد الرحمن:

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله.. يا رب صبرها وصبرنا.. أنا حاروح أصلي العصر على بال ما الدكتور يجي.

ثريا:

ـ ادعي لها يا أبو أيمن.

عبد الرحمن:

ـ بدعي لها في كل وقت.. يا رب ألطف بيها وبينا.

كان عبد الرحمن والد إيناس موظف بالمعاش.. ميسور الحال يعيش بشقة متواضعة بحي العجوزة.. لديه من الأبناء ثلاثة..





إيناس، وأيمن، ومصطفى..

الأكبر أيمن تخرج من كلية هندسة وتزوج وسافر منذ سنوات لإحدى الدول العربية، وعصفورته الوسطى إيناس تخرجت منذ أشهر قليلة من كلية الطب البيطري، والأصغر مصطفى طالب بكلية التجارة..

وُلد حب شريف وإيناس منذ عدة سنوات عندما قطن شريف بالشقة المقابلة لشقتهم..

شاب من أحد المدن الصغيرة المجاورة للقاهرة ذو خلق دمث وحال ميسور استأجر تلك الشقة بعد أن انتقل للعمل في القاهرة..

جذبته تلك الشابة رقيقة الملامح، خجولة للغاية.. اعتاد أن يراها يومياً في الصباح وهي متوجه للجامعة..

سلبت لبه وأصبحت ملكة أحلامه، وشغل هو تفكيرها بابتسامته الساحرة التي اعتاد أن يُحييها بها كلما رآها..

قصة حب بدأت واستمرت لسنوات وكللت بالزواج..

زواج لم يدم سوى شهر واحد لينتهي بأسوأ خبر..

صدمته سيارة وانتهت حياته مع توقف صوت جهاز ضربات القلب بغرفة العناية المركزة، لتسقط هي الأخرى بعد حالة شديدة من الإنهياروتبدأ رحلة العلاج النفسي في محاولة لتجميع بقايا إنسانة.

الفصل الثاني:

كانت ثريا تقف خارج الغرفة وتضع يدها على فمها لتمنع نفسها من البكاء..









قدماها لا تقوى على حملها، فصراخ إيناس يمتد لآخر المشفى..

خرج الطبيب النفسي لاهثاً دون أن ينظر نحوها وتتبعه الممرضة.. أمسكت ثريا بذراعها بعنف قائلة:

ـ بنتي مالها؟.. عملتوا فيها إيه؟!

نظرت لها الممرضة بشفقة ثم انتظرت بعد أن ابتعد الطبيب:

ـ اهدي يا حاجة.

ثريا بنفس النبرة الغاضبة:

ـ أهدى إزاي!!.. البنت في حالة إنهيار.

الممرضة:

ـ معلش.. هي كانت بتاخد مهدئات جامدة وعايشة بره الواقع، ولازم تواجهه.. ده في الأول بس، الدكتور إداها دوا مهدئ بس أبسط من الأولاني، ومع الوقت حتتحسن بس حنتعب في الأول شوية.

ثريا:

ـ بس الدكتور خارج شكله ميطمنش.

الممرضة:

ـ لا.. لا.. أصله متنرفز من الدكتور الأولاني اللي استسهل بمهدئات قوية وشايف إن ده مش صح.

ثريا:

ـ يعني إيه مش فاهمة؟

الممرضة:





ـ يا حاجة أقعدي جنبها وارقيها واقرئي قرآن.. خليها كده تهدى وترضى بقضاء ربنا ومعلش أزمة وحتعدي.

تركت ثريا الممرضة وعادت مرة أخرى لغرفة إيناس وأهالها ما رأت على وجهها من شحوب..

احتضنتها بقوة وما كان منها إلا أنها انفجرت في البكاء قهراً على حال ابنتها وظلت تدعو ربها تضرعاً أن تمر الأيام وتخرج ابنتها من تلك الحالة.

****

مرت عدة أيام وبدأ العلاج النفسي يُنبئ بتقدم مع إيناس..

بدأت تعود للواقع رويداً رويداً، خرجت من المشفى أخيراً بعد مرور شهر وبضعة أيام وعادت للمنزل..

كانت والدتها سعيدة بتلك الخطوة فابنتها ستبتعد أخيراً عن جو المشفى بمرضه وكآبته، ولكن كان القلق يستبد بوالدها..

فالمنزل كل ما فيه ينبض بذكرى شريف، والشقة المقابلة هي شقة عرسها التي لما تقضي بها سوى عدة أيام..

وقد كان والدها على حق فلم يمضِ على وجودها ساعة بمنزلها حتى انزوت في غرفتها..

بعيدة.. وحيدة..

وعلى الرغم من هدوئها وخروجها من بؤرة الإنهيار إلا أن صمتها كان يذبحهم جميعاً، وكأنها على شفا كارثة..

فهي لا تفعل شيئاً سوى النظر لتلك الشرفة التي اعتاد شريف مشاغلتها من خلالها، واطلاق العنان لدموعها التي يبدو أن منبعها لن ينبض أبداً.








ذكريات

كان ينتظرها يومياً..

يقف بالشرفة ممسكاً بهاتفه ونظراته موجهه نحوها دون انقطاع

شريف:

ـ بحبك..

تنظر له بابتسامة يشوبها الخجل، ثم تتلفت حولها والهاتف ما زال على أذنها..

شريف:

ـ سامعاني؟

إيناس:

ـ سامعاك.

شريف:

ـ بحبك.

تمكن الاحمرار من وجنتيها وظلت صامتة..

شريف:

ـ بموت في كسوفك.. بس بجد نفسي أسمعها منك.

إيناس:

ـ هي إيه؟

شريف:






ـ كلمة بحبك.

إيناس تنظر للأرض وتهمس بصوت منخفض:

ـ بحبك.

يسقط شريف أرضاً بطريقة درامية وهو ممسك بقلبه..

إيناس:

ـ يا مجنون!

شريف:

ـ بيكي.

إيناس:

ـ طيب أنا لازم أدخل.

شريف:

ـ لا إله إلا الله.

إيناس:

ـ محمد رسول الله.

عبراتها منهمرة كفيضان كاد أن يغرقها داخل ذكرى لحظات العشق بينها وبينه بتلك الشرفة التي شهدت أجمل أيام عمرها.

****

كان الدكتور علي ما زال بعيادته يستقبل الحالات المعتادة..













شعر الطبيب الأربعيني بالإنهاك وود أن يقوم بإلغاء جميع الكشوفات لولا أن أخبره مساعده بأنها آخر حالة..

كان ما زال شارداً بأوراقه عندما دخل عليه الرجل صاحب الميعاد..

كبير السن، يرتدي نظارة طبية سميكة الإطار، وله شعر رمادي وقد استرسل بنعومة خلف أذنه، وشارب بنفس لون شعره أعطاه هيبة ووقاراً ملحوظاً..

تذكره الطبيب على الفور بمجرد رؤيته رغم مرور حوالي ستة أشهر على خروج إيناس من المشفى.ز

استقبله بابتسامة ودهشة قائلاً:

ـ أهلاً.. أستاذ عبد الرحمن.. إتفضل

عبد الرحمن:

ـ متشكر يا دكتور.

الطبيب:

ـ خير.. مدام إيناس عاملة إيه؟

تنهد عبد الرحمن بألم ثم تابع:

ـ ما هو ده السبب اللي أنا جايلك علشانه.

نظر له على بإهتمام..

كان يشعر بنوع من المسؤولية عن حالة إيناس فلقد إنهارت بالمشفى مباشرة بعد وفاة زوجها، ولم يكن هو متواجد بتلك الفترة حيث كان قد سافر لحضور أحد المؤتمرات بعد أن رشح طبيب شاب ليحل محله..

وعاد ليفاجئ بحالة إيناس التي زادت تدهوراً بعد أن اتخذ الطبيب الطريق السهل وقام بحقنها بأقوى المهدئات لتعيش بعالم منفصل عن واقعها الأليم وعانت.. وعانى معها في فترة العلاج رفض هذا الواقع.








نظر علي لزائره بإمعان ثم تابع :

- خير.. قلقتني.

عبد الرحمن:

- إيناس رجعت حالتها اتدهورت تاني يا دكتور.. تقريباً مش عايشة معانا.. بتنام كتير قوي، زي ما تكون عايزة تهرب من الدنيا.. ولما بتكون صاحية على طول سرحانة وقاعدة في أوضتها تبص على شقته وتفكر فيه.

علي:

- شقته!

عبد الرحمن:

- ما هو شريف _ الله يرحمه _ كان جارنا وساكن قدامنا.

شعر علي بغضب شديد وتوجه لضيفه لائماً:

- إزاي يا أستاذ عبد الرحمن ما تقوليش معلومة مهمة زي دي؟!.. أنا كنت نبهت عليكم ما تجيبوش سيرة الماضي أصلاً قدامها، أتاريها قاعدة جوه الماضي وشايفاه قدامها ليل ونهار.

عبد الرحمن:

- يا دكتور طيب كنا حنعمل ايه؟.. ده بيتنا وحياتنا.. أنا بجد مش عارف أعمل إيه!!

علي:

- إيناس مشكلتها دلوقتي إنه كل حاجة حواليها بتفكرها بشريف، وهي رافضة الواقع ومش قادرة تعيش فيه، علشان كده بتهرب للماضي في أحلامها.. لازم يحصل تغيير.. شوية مضادات الإكتئاب والعلاج مش كفاية، هي بتشتغل؟

عبدالرحمن:





ـ الحقيقة بعد ما اتخرجت اتجوزت على طول وما اشتغلتش.

علي:

ـ لازم تتشتغل وتخرج من الدوامة دي.. تشوف ناس جديدة تبدأ حياة جديدة.. تخرجها من بؤرة الماضي، ولازم تبعد شوية.. تغير مكان ووجوه، آسف.. بس ده الحل الوحيد..هي خريجة إيه؟

عبد الرحمن:

ـ إيناس خريجة طب بيطري.

صمت علي لفترة ثم لمعت عيناه وقال:

ـ أنا عندي الحل يا أستاذ عبد الرحمن.. إيناس مش محتاجة علاجي وأدويتي بس.. إيناس محتاجة تبعد، محتاجة حياة جديدة ووجوه مختلفة تشغل واقعها وتخرجها بره أحلامها وهمومها. لو ما عندكش مانع أنا عندي شغل كويس لإيناس ومكان أحسن تبدأ في من جديد.

نظر له عبد الرحمن باهتمام وقال:

ـ حل!!.. حل إيه؟!

علي:

ـ أختي، جوزها بيشتغل في مزرعة كبيرة قوي في طريق مصر_إسكندرية الصحرواي.. المكان فيه مصنع لإنتاج الألبان وطبعاً أراضي زراعية.. مكان تحفة.. وكمان من فترة كانوا بيدورا على طبيب بيطري يهتم بمزرعة الخيل وطبعاً حيقيم هناك، إيه رأيك؟

عبد الرحمن:

ـ أيوه.. لكن..

علي:







ـ حضرتك متردد علشان هي بنت.. اعتبرها اشتغلت في بلد تانية وده بيحصل مع ناس كثير.. المزرعة فيها ناس كتير مقيمة، بقت أشبه بمجتمع سكني صغير.. ده غير إن أختي هناك حتابع حالتها وتبلغني أول بأول، أنا شاعر بالمسؤولية عن حالة إيناس وبجد عايز أساعدها والمكان ده فرصة كويسة قدامنا.

عبد الرحمن:

ـ حضرتك شايف كده يا دكتور؟.. يعني بُعدها ووحدتها مش خطر؟

علي:

ـ ما تقلقش.. أنا واثق إن إيناس حتتحسن في المكان ده، أنا عارف أنا موديها فين.

نظر له عبد الرحمن وهو يشعر أنه لا يوجد سبيل أمامه سوى قبول تلك المجازفة، فوردته تذبل أمامه يوماً بعد يوم.

الفصل الثالث:

كانت ثريا تقف بالمطبخ تقذف قطع البطاطس بغضب داخل الزيت الغزير..

فشلت كل السبل لإخراج ابنتها العنيدة من غرفتها أو ربما من غفوتها، فاجئها مصطفى إبنها الأصغر وهي شاردة وتزفر بغضب..

دخل متصنعاً المرح للسيطرة على غضب أمه:

ـ كفاية بطاطس محمرة بقى.. جسمنا إتهرى كوليسترول يا بطة!

ثريا:

ـ أسكت يا ولا.. أنا مش فايقة لك.









مصطفى:

- كده.. طيب.. هو حد في البيت ده بيرفع معنوياتك وبياكل غيري!!.. المانيكان طول عمرها أكلتها قليلة، والحاج ما بقاش له تقل على السمنة البلدي يا جميل إنت.

ثريا:

- أسكت يا مصطفى.. أديك شايف أختك.. مانيكان إيه بقى!!.. دي يا عيني وشها بقى أصفر من قلة الأكل وكتر الهم.

مصطفى:

- معلش يا ماما.. حتاخد وقتها.

ثريا:

- إيناس دبلت يا مصطفى.. بقى هي دي إيناس اللي كانت مالية البيت ضحك وهزار؟.. يا بني إحنا بقى لنا ٦ شهور دلوقتي من ساعة الحادثة وما فيش تحسن.. أهو أبوك راح للدكتور امبارح ورجع نزل الصبح وما عرفتش عمل إيه.

مصطفى:

- ما عرفتيش!

ثريا:

- بيقولي بالليل الدكتور حيجي يشوف إيناس ويتكلم معاها شوية.

مصطفى:

- خلاص.. أكيد الدكتور عنده حل يا ماما، وهو شاطر.. فاكرة في المستشفى اتحسنت على إيده.

ثريا:





- آه.. ولما رجعنا هنا يوم ورا التاني وحالتها اتدهورت تاني كأنها عايشة معانا بنص عقل.

مصطفى:

- ما هي طول ما هي حابسة نفسها في الأوضة وبتبص على الشباك، مش حتنسى.. مش حتتقدم خطوة لقدام.

ثريا:

- خلاص.. ننقل بقى ولا تسافر لأخوها لو ينفع.

مصطفى:

- مش عارف.. أما نشوف الدكتور حيعمل إيه.. آه.. على فكرة...

ثريا:

- إيه؟!

مصطفى:

- الكوليسترول اتحرق!!

خرج مصطفى من المطبخ تاركاً أمه تخرج البطاطس المحترقة وهي تصب جام غضبها على الطعام..

ثم نظر لغرفة أخته في حسرة واتجه لغرفته.

****

اجتمعت الأسرة كعادتها على مائدة الغداء..

مائدة الغداء هي شيء مقدس لدى ثريا..

لا يصح أن يتخلف أحد..







وقد كانت ثريا شديدة الإنتقاء في كل ما يخص منزلها، على الرغم من أن زوجها كان مجرد موظف ليس لديه دخل سوى عمله الحكومي، إلا أنها كانت تهتم بشدة بكل قطعة أثاث داخل مملكتها الصغيرة..

تقتصد الأموال.. وتقوم بالحسابات من أجل سفرة أنيقة، أو بعض الأطباق المزخرفة، وربما سجادة فاخرة..

وقد كان الحال نفسه بالنسبة لأبنائها فهي تهتم بهم لأقصى درجة وموعد الطعام مقدس في عائلتها الصغيرة، وقد وقفت لساعات تتفنن لتعد لهم أشهى الوجبات وترتب لهم طاولة أنيقة..

وبالتالي فالغياب عذر غير مقبول.

نظر عبد الحمن لإبنته نظرة فاحصة وهي تعبث بطعامها دون أن تلمس منه سوى القليل..

قال على حين غرة:

- إيناس..

انتفض جسدها فزعاً وكان هذا هو حالها دائماً، فقد كانت تشرد أغلب الأوقات لتنتبه بعدها بفزع على صوت محدثها..

قالت بطريقة ديناميكية دون أن تنظر نحوه وكأنها اعتادت:

- حاضر.. أنا بآكل أهو.

عبد الرحمن:

- بس أنا مش باكلمك علشان الأكل.

إيناس:

- طيب علشان إيه؟

عبد الرحمن:







ـ الدكتور علي حيجي يزورنا النهارده، وعايز يتكلم معاكي شوية.

انتفضت وقامت منزعجة وهي تنظر نحوهم بعيون دامعة:

ـ أنا مش عايزة دكاترة.. ومش عايزة حد يتكلم معايّ.. يا ناس افهموا بقى.. أنا مرتاحة كده.. ليه عايزني أنساه؟.. أنا مش حانسى جوزي.. مش حسيبه..

تنهد عبد الرحمن بيأس ثم تابع:

ـ هو مش جاي يتكلم معاكي عن شريف الله يرحمه، وما حدش مننا طلب إنك تنسيه.

تابعت:

ـ طيب جاي ليه؟

عبد الرحمن:

ـ ما عرفش.. حنعرف لما يجي، هو كلمني وقال جاي النهارده.ز فجهزي نفسك.

قال عبد الرحمن جملته بصرامة شديدة منعت إيناس من الإعتراض، ثم تركهم وتوجه لغرفته دون أن يضيف شيئاً.

****

كانت إيناس تشعر بالإضطراب لتلك الزيارة المرتقبة..

تفكر في أسبابها..

هل زار أبيها الطبيب ليشكو حالها؟.. هل ستضطر لخوض تجربة العلاج مرة أخرى؟.. من انصات لنصائح طبيبها النفسي، والتحدث بأمور تفضل الإحتفاظ بها لنفسها..

انتبهت لجرس الباب وعبارات الترحيب والإطراء بين أبيها والطبيب الزائر، ولم تمر دقائق حتى طلبت منها والدتها موافاة أبيها بغرفة الصالون..





تقدمت بملل وتردد نحو الرجلين..

ملامحها ذات الضجر الشديد لاحظها الطبيب المتمرس على الفور ليقابلها بوجه بشوش وهو يقول:

ـ إزيك يا إيناس..

نظرت له دون أن تتبدل ملامحها الضجرة وكأنها تصرخ بملامح غاضبة "ارحل":

ـ الحمد لله.

نظر لها أبيها بغضب ولكنه استدرك نفسه وتحدث بنبرة هادئة:

ـ اقعدي يا إيناس.. الدكتور علي عايزك في موضوع.

إيناس:

ـ موضوع إيه؟.

ابتسم الدكتور علي وتابع بثقة:

ـ خدمة..

إيناس:

ـ خدمة؟!

الطبيب:

ـ أيوه.. بصراحة أنا عارف إنك طبيبة بيطرية، صح؟

إيناس والدهشة تعلو ملامحها:

ـ أيوه.

الطبيب:







ـ يا ستي.. أنا أختي مقيمة مع جوزها في مزرعة كبيرة قوي على طريق إسكندرية الصحرواي، جوز أختي بقى المسؤول عن المكان.. وهو محتاج طبيب بيطري ضروري علشان مزرعة الخيول هناك وسألني إن كنت أعرف حد.. ها إيه رأيك؟

صمتت إيناس قليلاً وكأنها تحاول استيعاب ما قاله ثم تابعت:

ـ أيوه.. بس أنا مشتغلتش قبل كده ومعنديش خبرة.

الطبيب:

ـ بس إنتِ خريجة طب بيطري وعندك الأساس، الخبرة بقى تيجي مع الشغل.

إيناس:

ـ مش عارفة.. أنا ما فكرتش في الشغل خالص من زمان.

الطبيب:

ـ مش شايفة إن آن الآوان إنك تفكري؟

نظرت له بحدة وعندها أيقن الطبيب تسرعه في تلك الجملة همت ووقفت سريعاً ثم تابعت:

ـ المكان ده بعيد، يعني في إقامة هناك؟

الطبيب:

ـ أكيد.ز بس طبعاً ليكي أجازات.

إيناس:

ـ مُتخيلين إني كده حانسى؟!.. لما تبعدوني عن هنا حانساه؟

نظر لها الطبيب وقد لمعت عيناه واسترسل في الحديث بثقة:

ـ إنتِ شايفة إيه؟.ز شايفة إنك لو بعدتِ عن هنا حتنسيه؟





إيناس باصرار:

ـ لأ.. ولو سافرت آخر الدنيا مش حنساه.

ابتسم الطبيب وكأنه كان ينتظر اجابتها تلك ثم تابع:

ـ خلاص.. يبقى ما فيش مشكلة، ولا إيه؟

إيناس:

ـ أنا مش خايفة.. بس بوضح لحضرتك.

الطبيب:

ـ خلاص.. أنا حانتظر ردك، وأتمنى توافقي.. إحساسي إنك دكتورة شاطرة وحتبيضي وشي.. أستأذن أنا بقى يا أستاذ عبد الرحمن..

الأب بعد أن رمق إبنته بنظرة غاضبة:

ـ بدري يا دكتور.. حضرتك لازم تتعشى معانا.

الطبيب:

ـ معلش اعفيني، مرة تانية إن شاء الله.

غادر الطبيب وبعدها توجهت إيناس على الفور لغرفتها لتتحاشى الحديث مع أبيها.

****

نظرت ثريا لزوجها بغضب وقالت له في دهشة:

ـ سفر!!.. سفر إيه يا أبو أيمن إحنا ما عندناش الكلام ده.

عبد الرحمن:

ـ يا أم إيناس.. وحقولك يا أم إيناس علشان القرار ده لمصلحة إيناس..





ثريا:

ـ مصلحتها إنها تروح تشتغل في مكان بعيد في الصحراء مع ناس ما تعرفهومش!!.. مصلحتها إنها تبقى بعيد عننا بحالتها دي!!..

عبد الرحمن:

ـ بقى لنا ٦ شهور.. ٦ شهور.. وحالتها بتتأخر.. بنشوفها بالصدفة في البيت، وعلى طول قاعدة في البلكونة.

ثريا:

ـ لأ... يعني لأ.. ما هي هناك برده حتبقى لوحدها.. وبرده حتقعد تفكر.. لا.. لا.. هنا قدامي أنا مطمنة عليها.. شايفاها بعيني.. وبعدين بنتك عمرها ما اشتغلت.. اتخرجت واتجوزت على طول.. وبعدين إيناس تعيش لوحدها إزاي يعني؟!.. هي بتعرف تعمل لنفسها حاجو لا أكل ولا شرب.. لا.. لا.. بنتي ما ينفعش تبعد عني.

عبد الرحمن:

ـ ما فيش فايدة.. طيب روحي كلميها.. شوفيها موافقة ولا لأ.. اسأليها الأول.

خرجت ثريا متأففة وتوجهت لغرفة إبنتها، ولكنها كانت تعلم في قرارة نفسها أن إيناس سترفض هذا العمل..

وربما يكون هذا القرار هو القرار الوحيد الذي ستساندها فيه، فهي لا تحتمل أن تبتعد إبنتها عنها خاصة في ظروفها الحالية وقلقها الدائم عليها..

اقتربت ثريا من غرفة إبنتها بحذر، ولكن قبل أن تطرق الباب سمعت همسات.. همسات جعلت جسدها ينتفض، ودقات قلبها تتسارع لدقائق..

فقد كانت إيناس تتحدث إلى شريف!!!..





الفصل الرابع:

"شفت يا شريف عايزين يبعدوني عنك.. طيب ده أنا الحاجة الوحيدة اللي بتصبرني وقفتي هنا قدام شباكك وكلامي معاك.. مش حسيبك يا شريف مش حسيبك"

كانت كلمات إيناس وقعها كصدمات متتالية بل ضربات قوية على رأس ثريا..

كيف صمتت على حال ابنتها كل تلك الفترة؟!!!... فالأمر تعدى بحر الذكريات الذي تصر إيناس على السباحة به يومياً، لا بل إنها اقتربت من الغرق..

بدون أن تطرق الباب دخلت ثريا على الفور لتجد إبنتها تجلس في مكانها المعهود بالشرفة والابتسامة على شفتيها..

أخذت ثريا نفساً عميقاً في محاولة لاستدعاء بعض الهدوء، ثم دخلت لإبنتها التي كانت لا تزال شاردة ولم تشعر بحضور أمها..

- إيناس.. إيناس..

كانت ثريا تربت على كتف إبنتها حتى تخرجها من دوامة الشرود التي اجتاحتها..

انتبهت إيناس أخيراً ونظرت لأمها بعيون حالمة:

- ماما.. إنتِ جيتِ إمتى؟

ثريا:

- حالاً.. بس إنتِ كنتِ سرحانة.

إيناس:

- آه.. آسفة.





ثريا:

ـ كنتِ سرحانة في كلام دكتور علي؟

إيناس:

ـ هه.. دكتور علي!!.. آاااااه.. لا عادي.

ثريا:

ـ طيب قررتِ إيه؟زز فكرتِ؟

إيناس:

ـ مش محتاجة أفكر، أنا مش حسافر.

ثريا:

ـ بس دي فرصة شغل كويسة، رأيي تفكري تاني.

إيناس:

ـ وأسافر!!! وأعيش في مكان بعيد عن هنا؟!

ثريا:

ـ دي سُنة الحياة.. وبعدين أكيد ليكي أجازات، دي مش هجرة يا إيناس.

إيناس:

ـ لأ.. لأ.. مش حسيب هنا.. مش عايزة أشتغل.. أو ممكن أشتغل هنا في مكان قريب، لكن مش حسافر.

كانت نبرتها أكثر حدة..

ابتسمت لها أمها..













فقد كانت متأكدة من ردة فعل إبنتها، ولكنها على العكس الآن تريد رحيلها وبسرعة بعيداً عن تلك الذكريات التي حاصرتها فأصبحت تعيش بداخلها منفصلة عن الواقع..

قامت ثريا وهمت بالمغادرة ولكنها استدارت في آخر لحظة وقالت لإبنتها:

ـ براحتك.. بس أنا نفسي تسافري وتشتغلي وتخلقى حياة ليكي.. نفسي ترجعي تاني تعيشي يا بنتي علشان أنا كمان أقدر أعيش.

خرجت ثريا باكية فلا تعرف ما فعلته خطأ أم صواب، هي من كانت لا تحتمل مجرد التفكير في بعد إبنتها عنها. بل كانت تشعر بسعادة بالغة حين تزوجت إيناس وقطنت بالشقة المقابلة لشقتها، ولكن الآن انقلبت الموازين..

ربما يكون الحل في البُعد وشعرت أن اقتراح الطبيب هو حبل الإنقاذ الوحيد

****

مضت عدة أيام وإيناس تتحاشى الحديث مع الجميع..

وأصبحت تقضي في غرفتها كل وقتها تقريباً..

كانت ثريا تشعر بالآسى والعجز فبعد أن صارحت زوجها بما حدث في غرفة إبنتها وهو يقضى ليله مستقيظاً يتفكر في حال إبنته..

مسحت دموعها بظهر يداها وعندها شعرت بيد زوجها تحيط كتفيها في حنان، استدارت له وهي تبتسم لتخفي آثار بكائها وقالت:

ـ مهما مرت السنين برده تأثير البصل قوي!

مسح عبد الرحمن دموع زوجته في حنان ثم قال:

ـ الحاج متولي طلب مني أفضي الشقة.

ثريا:

ـ شقة!.. شقة إيه؟.





عبد الرحمن:

ـ شقة شريف.

ثريا:

ـ بس لسه ناقص سنتين على بال ما مدة العقد تخلص، وإحنا بندفع الإيجار.

عبد الرحمن:

ـ ما هو ملوش لازمة بقى.. أنا اتفقت مع ناس بكرة حيجوا يشيلوا العفش كله.

ثريا:

ـ كده حنبيع حاجة بنتنا في يوم وبسهولة كده!

عبد الرحمن:

ـ أيوة يا ثريا.. كل حاجة.

أذعنت ثريا لرغبة زوجها وقد فهمت ما بداخله وقالت:

ـ أمرك.. بس حتقولها؟

عبد الرحمن:

ـ طبعاً.. السكان الجداد حيوصلوا كمان أسبوع، لازم تعرف.

بكت ثريا رغماً عنها وتابعت:

ـ يا حبيبتي يا بنتي.. كده كتير عليها قوي يا عبد الرحمن.. كتير قوي.

عبد الرحمن:

ـ لازم يا ثريا.. لازم تفوق بقى.. طول ما هي حابسة نفسها في الأوضة دي مش حتفوق.





أنهى عبد الرحمن عبارته وخرج من المطبخ غاضباً دون أن ينتبه لإبنته التي كانت تقف منزوية بأحد الأركان باكية بعد أن استمعت لحديثه..

****

لم تتوقع ثريا أن يكون رحيل إبنتها بتلك السرعة بعد قرار زوجها، ولكن يبدو أن إيناس لن تحتمل رؤية شخص آخر بتلك الشرفة غير زوجها، فلم تجد حلاً أمامها سوى الهروب لتلك الوظيفة بعد أن أصر والدها على التخلص من الشقة ولم يؤثر فيه بكاؤها تارة وعنادها تارة أخرى..

كانت إيناس ما زالت تحضر حقيبتها عندما جاء الدكتور علي ليقلهم بسيارته..

نظرت لها ثريا بحنان ثم أمسكت بوجهها وقبلته وهي تقول:

ـ متزعليش من أبوكِ يا إيناس، هو عمل كده علشان مصلحتك.

صمتت إيناس لوهلة وحاولت أن تمنع دموعها وهي تقول:

ـ خلاص يا ماما أنا مش زعلانة.

ثريا:

ـ طيب خليني أساعدك في ترتيب الشنطة..

منعت إيناس أمها برفق من الإقتراب من محتويات الحقيبة وقالت بإرتباك:

ـ خلاص أنا رتبتها ناقص حاجات بسيطة.

ثريا:

ـ الدكتور علي وصل.

إيناس:

ـ وأنا خلاص جهزت.







وهكذا ودعت إيناس أمها وأخيها واستقلت السيارة مع أبيها نحو مقر عملها الجديد..

مستقبل تمنى الأب أن يُخرج إبنته من بئر الماضي بأحزانه.

لم تشعر إيناس بالوقت فقد ظلت شاردة طوال الطريق كعادتها وكأنها أرادت أن تصرخ معبرة عن سطوتها أمام أبيها والطبيب..

"لن أخرج من أحلامي، ولن أنسى زوجي"..

لا تعرف هل حقاً تخبرهما بذلك أم تخبر نفسها حتى لا يتمكن منها النسيان..

بعد حوالي الساعتين من الزمن وصلت السيارة للمزرعة..

انتبهت إيناس لصوت البوابة الحديدية ووجه الحارس البشوش الذي حياه الطبيب بنبرة حميمية وسأله عن شخص يدعى المهندس حسن، فأخبره الحارس أنه بإنتظاره..

مرت السيارة بطريق ممهد على جانبيه أشجار الليمون وقد بدا مظهرها جميلاً يسر العين، ثم ظهر في الأفق مبنى استقبلهم بداخله المهندس حسن وكان به غرفة مكتبه..

كان رجلاً بشوشاً يبدو أنه في الخامسة والأربعين من عمره علمت إيناس من سياق الحديث أنه زوج أخت طبيبها والمسؤول عن إدارة المكان..

- نورتينا يا دكتورة..

كانت تلك هي الكلمات الأولى التي خاطبها بها المهندس حسن..

أومأت إيناس رأسها بابتسامة وشكرته بلطف بعدها تابع الرجل بثقة: - أنا متأكد إنك حترتاحي معانا هنا، ومين ما يرتحش في الشغل مع الخيول!

ابتسمت إيناس وعندها قال الدكتور علي:







- على رأيك يا حسن.. ده غير الطبيعة والجو النقي.. ولا إيه يا أستاذ عبد الرحمن؟!

نظر له الأب برضى وقد أبهره المكان وفهم ما كان يقصده الطبيب بقوله أن إبنته سترتاح بهذا المكان، فالمكان يبدو رائع للإستجمام ليس فقط للعمل وعندها قال:

- المكان فعلاً جميل قوي.. أنا ما توقعتوش كده خالص.

حسن:

- المزرعة هنا مقسمة ٣ أقسام ، قسم فيه مصنع الألبان ومزارع المواشي، وبعديه الأراضي الزراعية، وبعدهم بمسافة ٣ كيلو الجزء الأهم والأرقى هنا مزرعة الخيول وده مكان شغلك يا دكتورة.

كانت إيناس صامتة لم توجه أي أسئلة أو تبادر بأي تعليق، فهي حقاً لا تهتم سواء تعاملت مع الخيول أم مع المواشي، ولكنها كانت تشعر بالراحة لعزلة المكان، بل وانفرجت أساريرها عندما علمت أن أغلب من يعملون بالمزرعة مرتكزين في الجزء الآخر حيث توجد مزارع المواشي وتليها اللأراضي الزراعية، ولكن بهذا القسم لا يوجد سوى المهندس حسن وزوجته والعمال المسؤولون عن مزرعة الخيول وصاحب المزرعة الذي يتواجد خارج البلاد الآن.

نظر حسن لإيناس وأبيها ثم تابع:

- طيب.. تتفضلوا دلوقتي على مكان سكنك يا دكتورة تشوفيه وبعدين تشرفونا على الغدا.

عبد الرحمن:

- يا خبر ما فيش داعي يا بشمهندس.

حسن:









ـ إيه يا دكتور علي!.. هما ما يعرفوش أختك ولا إيه!.. دي فرحت جداً لما عرفت إن الدكتورة إيناس حتشتغل معانا هنا وبتراهن إنكم حتكونوا أصحاب..

إبتسمت إيناس للرجل ولكنها شعرت بالضيق فآخر ما ينقصها امرأة وحيدة ربما تسعى لشغل وقتها بالثرثرة!

****

كان موقع السكن مميزاً يتكون من ثلاث فلل صغيرة اصطفت بجانب بعضها البعض بتنسيق معماري مميز أدهش إيناس وأبيها، ولكن المهندس حسن أجاب على دهشتهما سريعاً عندما قال:

ـ أصل المكان هنا مشروع لمنتجع سياحي، والفلل دي أول عينة..

عبد الرحمن:

ـ منتجع سياحي!

حسن:

ـ مستغرب ليه يا فندم!!.. مش شرط المكان السياحي يكون بس بحر، دول كتير قوي فيها مشاريع زي دي.. خضرة وشجر.. وهنا بقى عندنا مزرعة الخيل، وفي المستقبل حيكون في مزرعة نعام وده بقى يبقى حلم خالد.

عبد الرحمن:

ـ خالد!.. خالد مين؟

حسن:

ـ المهندس خالد.. صاحب المزرعة هو في أمريكا دلوقتي.

عبد الرحمن:

ـ هو بصراحة المكان رائع.





حسن:

- إتفضلي يا دكتورة دي الفيلا بتاعتك، هي غرفتين نوم ورسيبشن ومطبخ أمريكي، وكمان في جنينة صغيرة.. ده الاستايل بتاع الفلل هنا.. لما نخلص مشروع المنتجع إن شاء الله .. اتفضلوا ارتاحوا ومنتظركم أنا والمدام كمان نص ساعة على الغدا.

دخلت إيناس وأبيها للفيلا وعندها لاحظت روعة المكان..

كانت الفيلا مؤثثة على الطراز الغربي تتكون من غرفتين للنوم بفارق حوالي ٦ درجات صعوداً عن غرفة الجلوس الواسعة والمطبخ الأمريكي..

ولاحظت وجود حديقة خلفية بجانب غرفة الجلوس لم تستطع أن تمنع نفسها من الخروج إليها والإستمتاع برائحة الورود واستنشاق نسمات الهواء الحر..

أغمضت عينيها وشعرت بالراحة عندما لمست الهدوء والعزلة بالمكان..

نعم..

فتلك العزلة هي أقصى أمانيها الآن لتنفرد ربما بضوء القمر ونسمات الهواء العليل..

تركض في بحر خيالها دون حواجز أو قيود، ويصبح شريف هو رفيق عزلتها الأوحد.

لم تكن تعلم أنها عزلة مؤقتة..

ولم تلحظ أن هناك فيلا ملاصقة تشترك معها بنفس الحديقة، ولا يفصلها عنها سوى بعض الشجيرات الصغيرة.

الفصل الخامس:

لا تدري لماذا تذكرت والدتها على الفور عندما جلست على مائدة الطعام.. يبدو







أن السيدة رقية هي نسخة أخرى من أمها، وطاولة الطعام هي لوحتها الإبداعية الخاصة..

ابتسمت وهي تتذكر المائدة المتنقلة التي أعدتها لها أمها قبل السفر من لحم مشوى، ودجاج محشي، وبعض المعجنات الطازجة..

ووصايا التخزين والتأكد من درجة حرارة المبرد حتى لا يفسد الطعام.. قطع أفكارها صوت المهندس حسن وهو يبادرهم القول:

- اتفضلوا يا جماعة مش عايزين كسوف، وبصراحة دكر البط ده مش عايز كسوف!

نظرت رقية نحو إيناس وتابعت بنبرة تشوبها الجدية:

- على فكرة يا دكتورة لو ما أكلتيش يبقى الأكل مش عاجبك، وحازعل جداً.

إيناس:

- لا.. يا خبر أنا بآكل أهو.

رقية ضاحكة:

- إنتِ صدقتِ يا حبي.. أنا بهزر معاكِ... أنا عمري ما ازعل منك، بس برده حتاكلي شكلك ضعفانة خالص.

كانت رقية امرأة يبدو على ملامحها أنها في الأربعين من العمر..

بشرة خمرية، وعيون ناعسة، وشفاة مكتنزة بعض الشيء، وحجاب مميز أحاطت به وجهها بطريقة منمقة، وجسد شابته بعض السمنة.. وكيف لا تشوبه السمنة أمام تلك المائدة العامرة وهذا الطعام اللذيذ!!..

حقاً الطعام غاية في اللذة، بل ربما يكون أفضل طعام تذوقته على الإطلاق، بل إنه أفضل من الطعام الذي تعده والدتها..





لاحت على وجهها ابتسامة عندما لمحت أبيها وقد بدأ يتذوق بنهم من صنوف الطعام أمامه وكذلك كل من الطبيب والزوج اللذان انقضا على ذكر البط بدون رحمة..

وتذكرت شريف..

لم يكن من محبي الطعام، بل كان يأكل القليل جداً من هذا أو ذاك..

لطالما اختلف عن الآخرين.. لطالما كان مميزاً..

ابتسمت بآسى وهي تكرر اللفظ بعقلها:

"كان..."...

انتهى الجميع من طعامهم وجلسوا بغرفة المعيشة التي كانت تطل مباشرة على حديقة مثل فيلا إيناس، ولكن كانت الحديقة مختلفة..

لاحظت إيناس أنها تزينت بأنواع خاصة من النباتات، قسم للزهور، وقسم لبعض الأوراق كالنعناع والبقدونس.. حقاً!!.. هل هذا بقدونس؟!..

جاءها صوت رقية ليجيب عن التساؤلات بعقلها..

رقية:

ـ الجنينة زرعتها على ذوقي.

إيناس:

ـ جميلة قوي.. حضرتك بتحبي الزرع؟

رقية:

ـ في الأول لأ.. لكن بعد ما جيت هنا بقت هواية، خصوصاً بصراحة إن استخدام حاجات زي البقدونس والريحان والنعناع طازة في الأكل بيكون رائع..

إيناس:







ـ كمان في ورد..

رقية:

ـ فل.. وياسمين.. ونرجس.. وأنواع كده أساميها صعبة، حمزة بقى هو اللي بيجيبلي البذور والغذا بتاعها علشان أعرف أزرعها عندي..

إيناس:

ـ اممممممم

رقية:

ـ حمزة يبقى ابن أخت حسن.. مهندس زراعي وبيشتغل هنا، بس أغلب المهندسين اقامتهم في الجزء التاني من المزرعة.. على فكرة في هناك مهندسات زراعيات برده بيشتغلوا مع أزواجهم.. مجموعة جميلة قوي.. أوقات بنروح نسهر معاهم.. والله المنطقة التانية فيها حياة عن هنا وألذ بكتير، لكن حسن مصمم إقامتنا تبقى هنا.. بيقول هنا أهدى، مع إنه الصبح على طول بيكون في الجزء التاني علشان متابعة الأراضي والمصنع.

إيناس:

ـ بس هو الجزء التاني مش بعيد قوي عن هنا؟

رقية:

ـ لا حوالي ٣ أو ٤ كيلو بس.. خالد حب يفصلهم علشان بيحلم يحول الجزء ده لمنتجع سياحي..

إيناس:

ـ هو بصراحة المكان رائع.. جميل قوي وأجمل ما فيه هدوءه.

رقية:





ـ إنتِ لسه شفتِ حاجة!!.. بكرة لما تشوفي مزرعة الخيول مكان شغلك حتنبهري بجد.. حاجة روعة.. أنا مبسوطة قوي إنك إشتغلتِ هنا معانا.. بجد حلو قوي لما تلاقي أنثى تتكلمي معاها في أرض الرجال دي..

ابتسمت إيناس بتصنع فآخر ما ينقصها تلك الضوضاء البشرية التي قد تؤرق عزلتها..

****

نظر عبد الرحمن لإبنته بتفحص بعد أن غادروا وعادوا لمقر سكنها ثم قال:

ـ ها يا إيناس، المكان عجبك؟

في البداية لم تجبه، كانت تقف بحيرة أمام الثلاجة وبيدها ورقة وتحاول بيأس أن تضع بعض محتويات حقيبة الطعام التي أعدتها لها والدتها داخل الفريزر..

اقترب عبد الرحمن من إبنته وقال مرة أخرى:

ـ إيناس.. إنتِ مش سامعاني؟

نظرت له وقد بدت شاردة ثم قالت:

ـ آسفة يا بابا.. ما سمعتش حضرتك، بس أصل الثلاجة صغيرة، وكمان فيها حاجات فمش عارفة أحط الحاجات اللي معايا.

عبد الرحمن:

ـ حاجات إيه!!

إيناس:

ـ الأكل اللي ماما إديتهولي.

عبد الرحمن:

ـ لأ.. قصدي حاجات إيه اللي في الثلاجة وإيه الورقة دي؟







إيناس:

- دي ورقة لقيتها على باب الثلاجة كاتباها ليا مدام رقية

أخذ عبد الرحمن الورقة وقرأ محتوياتها وقد كانت

" عزيزتي إيناس..

دي طلبات كده بسيطة لإحتياجاتك اليومية، وكمان دي نمرة تليفوني إذا احتجتِ أي حاجة كلميني.ز ما تترددديش..

أختك رقية "

طوى عبد الرحمن الورقة وابتسم وهو يقول:

- ناس ذوق فعلاً.. والست دي شكلها طيبة قوي.

إيناس بدون اهتمام:

- آه.. فعلاً.

نظر لها والدها بتفحص مرة أخرى ثم تابع:

- إنتِ رأيك إيه في المكان؟.. عجبك؟..

إيناس:

- آه.. كويس.

اقترب عبد الرحمن من إبنته ثم داعب وجنتيها بحنان وتابع:

- إيناس.. إوعي تكوني زعلانة مني؟

نظرت له بتمعن..

كانت ملامحه تكاد تنطق بالحزن أو ربما بالقلق..





شعرت أنه لا يود أن يتركها وحيدة، بل يودها أن تعود معه للمنزل ليطمئن قلبه برؤيتها أمام عينيه، ولكنه لا يستطيع ..

صمتت لوهلة ثم اغرورقت عيناها بالدموع..

أخذت نفساً عميقاً ربما لتحبس تلك العبرات الساخنة التي لن تلهب وجنتيها فقط، بل ستلهب قلب أبيها أيضاً..

جاهدت لتخرج الكلمات من فمها وعلى الرغم من أنها كانت تتمتم بصوت خفيض وعلى الرغم من البحة الباكية في نبرتها إلا أنه فسر كلماتها جيداً..

إيناس:

ـ بابا.. أنا عمري ما أزعل منك ولا من ماما.. عارف ليه؟

عبد الرحمن:

ـ ليه؟

إيناس:

ـ علشان الفراق صعب قوي.. وأنا جربته.. تفتكر حضيع لحظة من عمري في غضب أو زعل من حد بحبه؟.. وأنا بحبك يا بابا وبحب ماما ومصطفى وأيمن.. والله بحبكم قوي.

احتضن عبد الرحمن إبنته بقوة ثم ملس على خصلات شعرها بحنان وهو يتمتم بكلمات الرحمن ويسأل الله أن يحفظ إبنته من كل سوء.

****

نظر حسن لزوجته بتفحص بعد أن غادر الضيوف وقال:

ـ ناس محترمين..

رقية:







ـ فعلاً.. والدها شكله طيب قوي، وكمان إيناس هادية ورقيقة قوي.

زفر وهو يخلع الجاكيت خاصته ثم تمدد على الأريكة وتابع:

ـ علشان كده ما كنتش عايزها تشتغل هنا!

رقية:

ـ ليه بس يا حسن؟

حسن:

ـ يعني مش عارفة ليه؟!.. رقية.. إنتِ عارفة طبع خالد كويس وشدته مع كل الموظفين هنا.

رقية:

ـ أيوه.. بس خالد مش وحش للدرجة دي.

حسن:

ـ هو إنتِ اللي حتقولي لي، ما أنا عارف.. خالد ده صاحبي قبل ما يكون صاحب المكان هنا، لكن برده أنا عارف طبعه وخصوصاً مع الدكاترة اللي بيتابعوا الخيل.. إنتِ عارفة هو مهتم بالمزرعة دي أد إيه.. ما بيسمحش بغلطة.

رقية:

ـ بس اللي فاتوا كانوا رجالة ومش مهتمين بالشغل وعايزين يشتغلوا في مكان تاني جنبه، لكن إيناس بنت ورقيقة.. وعلى فكرة بقى الست لما بتشتغل بجد بتخلص لشغلها عن الراجل.

حسن:

ـ برده مش مرتاح.

رقية:





- على فكرة بقى.. إيناس أفضل حد للمكان ده، عارف ليه؟

حسن:

- ليه؟

رقية:

- علشان هي محتاجة للمكان زي ما المكان محتاج ليها.. صدقني حيكملوا بعض.

حسن بمكر:

- هما مين دول اللي حيكملوا بعض؟!

رقية:

- دماغك راحت فين!!.. هي صحيح البنت حلوة وهادية، لكن ما اعتقدش يحصل إنجذاب بينها وبين خالد.. صعب قوي..

حسن:

- والله يا رقية أنا ما بقتش عارف حاجة.. وخالد ده أكتر واحد فاهمه ومش فاهمه في نفس الوقت!

رقية:

- هو عرف إنك عينت حد؟

حسن:

- طبعاً.. بلغته في التليفون.

رقية:

- وحيرجع إمتى؟

حسن:





- المفروض كان يجي النهارده، بس كلمني وقالي إنه اتأخر على الطيارة وحيغير الحجز.

رقية:

- هو خلاص فض الشراكة؟

حسن:

- آه خلاص، هو محتاج سيولة علشان المزرعة.

رقية:

- طيب.. إنت حتنام بعد الغدا ولا نازل؟

حسن:

- لأ.. حاروح مصنع الألبان ورايا شغل.

رقية:

- ترجع بالسلامة.

غادر حسن ولكنه ظل يفكر بصديقه خالد..

لقد تعرف به منذ سنوات هو وزوجته مارجريت في الولايات المتحدة.. تعجب حسن عندما رأى هذا الشاب المصري المتقد الذكاء الذي برع في عدة أعمال، بل وهو المسؤول عن شركة أبيه وإدارتها وبجواره زوجة تصلح لأن تكون أمه!!..

ومنذ وقتها أصبحا أصدقاء واستطاع خالد في النهاية تحقيق حلمه ببناء تلك المزرعة..

وقذف النساء بعنف خارج حياته..

أمه.. مارجريت.. وكارمن.











الفصل السادس:

أغلقت الهاتف ربما للمرة العاشرة بعد انتهاء المكالمة مع أمها..

نظرت للساعة فوجدتها قد قاربت على الخامسة والنصف مساءً.. خلعت حذائها واستلقت لوهلة على الأريكة، وبدأ النعاس يداعب أهدابها، ولكنها آثرت أن تخرج للحديقة ربما لتملأ رئتيها بنفحات من الهواء النقي وتمتع نظرها بمنظر مميز للغروب..

كانت الحديقة محاطة بسور أنيق من خشب الأرز، وقد تزين السور بحرفية ببعض النباتات المتسلقة فأعطته مظهراً خلاباً..

لم يكن سوراً عالياً بل تستطيع من خلاله رؤية السيارات الصغيرة التي تتحرك بخفة على الطريق العام، وقد بدت أضواءها كشموس صغيرة وُلدت بعض أن خفت ضوء الشمس الأم واقتربت من الغرق في رمال الصحراء الواسعة وهي تودع السماء لتتركها وقد امتزجت بها ألوان الطيف بإبداع حتى تمكنت منها حمرة الشفق قبل أن يجنح الليل بظلامه فيعلن بثقة عن إنتهاء العرض!..

لم تشعر بنفسها إلا وهي مستلقية على الحشائش الخضراء وكأن جسدها وروحها أبيا أن يظلا في مقاعد المشاهدين، فانطلقت روحها تحوم في اللوحة الفنية المتجسدة أمام عينيها وامتزج جسدها بجاذبية الأرض يستشعر دفئها ويحتضن أديمها بشوق.

ودت لو أكملت ليلتها بتلك البقعة ربما لتستمع بعرض آخر حيث يكون القمر هو بطل المساء ببريقه الفضي، وكأنه يعلن عن بريق من الأمل ليخبرنا أن الضوء لم يخفت للأبد وأنه سيعود من جديد..





وهكذا تركت إيناس موضعها واتجهت لغرفة نومها أخرجت غنيمتها من الحقيبة..

نعم...

تلك المغامرة الليلية التي قامت بها قبل أن تترك المنزل، وعلى الرغم من تأكيد والدتها لها أنها لن تتخلص من أي من متعلقات شريف، وعلى الرغم من ارتعاش يديها وتباطئ خطواتها وهي تتجه نحو الشقة التي لم تخطوها منذ الحادث، إلا أنها كان يجب أن تحصل على ما تسعى إليه، ودون أن يشعر أحد تسللت حافية بخطوات مرتجفة نحو خزينته وأخرجت ما يحمل رائحة أنفاسه أو ربما ما يحمل بقاياها...

احتضنت قميصه بشغف وخطت بثقة نحو أحلامها منتظرة لقائه.

****

كانت الساعة قد قاربت على السابعة صباحاً عندما دق المنبه ليعلن عن بدء يوم جديد..

قام حسن متكاسلاً نحو الحمام وقد أعدته له زوجته كعادتها كل صباح، فكانت المياه الساخنة تتدفق بسخاء داخل حوض الإستحمام، وقامت بتعليق مئزره المعطر، ثم تركته ينعم بحمام هادئ وانطلقت لتجهيز مائدة الإفطار..

كان حسن يتصفح الجريدة عندما سألته وهي تسكب له بعض الشاي:

- تحب تتغدى إيه النهارده؟

حسن دون أن ينظر نحوها:

- أي حاجة.

رقية:

- حتروح على المصنع؟







حسن:

ـ لأ.. على المكتب هنا علشان أسلم إيناس شغلها الأول.

رقية:

ـ على طول كده!

حسن:

ـ طبعاً. وإنتِ عارفة خالد بيهتم قوي بكل حاجة تخص الخيل، ولازم يتأكد إن اللي بيحط نسب الفيتامينات، ومتابع مواعيد المقويات والتطعيمات دكتور مختص.

رقية:

ـ إنت حتقولي!. لا.. ويكون متفرغ كمان.

حسن:

ـ هو دماغه كده.. بس برده هو بيدفع مرتبات كويسة، ولو اجتهدت حيدفع أكثر.

رقية:

ـ إنت عارف المقابل المادي مش هو سبب وجودها.

حسن:

ـ اممممممممم... عارف.. وإنتِ حتبدأي تراقبيها من إمتى؟.

رقية بإنزعاج:

ـ أراقبها!!.. كده يا حسن!!.

حسن مقهقهاً:

ـ يا ستي مش قصدي.. مش أخوكِ قالك تاخدي بالك منها؟







رقية:

- في فرق بين إني آخد بالي منها، وبين إني أراقبها.. وبعدين أنا فعلاً صعبانة عليّ.. البنت لسه صغيرة على الهم ده.

حسن:

- بس أنا مش شايفها مهمومة للدرجة دي.. ده كمان لابسة ملون عادي يعني!

رقية:

- علي أخويا هو اللي شدد عليهم إنها مش تلبس أسمر وترجع تلبس عادي بسرعة.. ده كان في كورس علاجها.. ده غير أصلاً إن حداد الست على جوزها أربع شهور حسب الدين والشرع.. والباقي ده أعراف وعادات.. وبعدين مش بيقولوا الحزن في القلب.

حسن:

- طيب.. خلاص، خلاص.. هي عينتك المحامي بتاعها ولا إيه!

رقية:

- لأ يا سيدي ما عينتنيش المحامي بتاعها..

صمتت رقية قليلاً ثم تابعت بنبرة ألم:

- أصعب أنواع الحزن لما ترسم ضحكة كدابة على وشك للناس وتحتفظ بالهم لنفسك.

قالت جملتها ثم رمقته بنظرة ذات مغزى، ارتبك قليلاً وجفف عرقه ثم قبلها على جبهتها وقال لها بنبرة حانية:

- طول عمرك بتقرأي الناس صح يا حبيبتي.. وأولهم أنا، علشان كده ما اقدرش أعيش من غيرك.

انسحب بلباقة ليتجه لعمله وتركت بعدها هي المجال لعبراتها الساخنة..



****

وصل حسن لمكتبه وعندها وجد إيناس بإنتظاره بادرها مرحباً لحظة دخوله:

ـ صباح الخير يا دكتورة.

إيناس:

ـ صباح النور يا بشمهندس.

حسن:

ـ برافو.. ده حضرتك موجودة من قبل المعاد.

إيناس:

ـ على إيه حضرتك ده شغلي.

حسن:

ـ طيب.. تمام، بصي يا ستي.. أنا النهارده حعرفك مبادئ الشغل والمطلوب منك، لكن بعد كده حيبقى المسؤول معاكِ بشمهندس خالد.

إيناس:

ـ بشمهندس خالد هو مالك المزرعة صح؟

حسن:

ـ أيوه.. وهي مزرعة الخيول مسؤوليته هو، وبيهتم بدقة بأي حاجة تخصها، فعلشان كده هو دايماً بيتابع أول بأول مع الطبيب المسؤول.

إيناس وقد بدا عليها القلق بعض الشيء:

ـ حاضر.

نظر نحوها حسن بابتسامة ثم تابع:



ـ أنا مش عايزك تقلقي.. الشغل بسيط قوي.. بيني وبينك ما يستدعيش طبيب مقيم، بس إحنا هنا ماشيين بمبدأ الوقاية خير من العلاج.. اتفضلي معايا على العيادة البيطرية وإنتِ حتفهمي أكثر.

خرجت إيناس معه إلى المبنى وتوجها لمبنى آخر صغير يتكون من غرفة واحدة كانت متواضعة الأثاث بعض الشيء، فلا يوجد بها سوى مكتب صغير وخزانة خشبية ممتلئة ببعض الكتب والأوراق، وفي مواجهتهما توجد ثلاجة.. استنتجت إيناس أنها لحفظ بعض الأدوية، وخزانة أخرى تحتوى على معدات بيطرية للتعامل مع الأفراس وبعض المطهرات الموضوعية للجروح..

جلس حسن على المكتب وسحب بعض الأوراق وهو يقول:

ـ اتفضلي يا دكتورة.

جلست إيناس في مواجهته وقد لفت إنتباهها كمية الأوراق المبعثرة أمامه، ضحك وهو يمسك بالأوراق في محاولة يائسة لترتيبها وقال:

ـ الهوا هنا بقى ميزة وعيب، والعيب واضح.. لو أصغر شباك مفتوح يطير كل شغلك.. بصي بقى يا ستي.. ده ورق كان سايبه الدكتور اللي قبلك بمواعيد التطعيمات بتاعتهم، وكمان نسب المقويات اللي بتتحط في الأكل.. حيفيدك كتير.

أخذت إيناس منه الأوراق وتصفحتها للحظات ثم توجهت بنظرها نحو الخزانة بجانب المكتب وسألته:

ـ ودي كتب ومراجع؟

حسن:

ـ آه.. دول برده حيفيدوكي، مع إني بصراحة ما افهمش في محتواهم.. إنتِ بقى تكتشفي، كمان عندك الثلاجة فيها مضادات حيوية وتطعيمات.. المفروض الدكتور المتواجد هو بيحدد محتاج إيه وإحنا بنجيبه، وبرده عندك بيتادين وصبغة يود ومراهم جروح لإن الحاجات تقريباً ممكن نحتاجها يومياً، بس ما تقلقيش في سايس مسؤول عن التعامل المباشر مع الخيل، بس بنحتاج إشراف







منك.. وبرده هنا بقية الأدوية زي أدوية المغص والمسكنات وكده، وبرده اللي تعوزيه يعني نكون شاكرين تطلبيه قبل ما تحتاجيه.

إيناس:

ـ فهمت.

حسن:

ـ طيب.. دلوقتي نروح على الإسطبلات علشان العمال يعرفوكِ.. وهما هناك تحت أمرك أي حاجة حتطلبيها منهم حيعملوها.

إيناس:

ـ حاضر.

توجهت بعدها إيناس مع حسن نحو الإسطبلات، ركبا سيارة رباعية مكشوفه للإتجاه لهناك..

لاحظت إيناس المساحة الكبيرة للمزرعة..

كانت تقدر مساحة مزرعة الخيول وحدها بحوالي خمسة أفدنة، وتحتوي على ثلاث إسطبلات، وسياج كبير أُعد خصيصاً لتريض وتدريب الخيول على مساحة شاسعة..

ترجل حسن من السيارة بعد أن توقفت أمام أحد الإسطبلات ودخل وخلفه إيناس..

كان العمال قد بدأوا بتطمير الجياد وتحضير الطعام وهكذا..

إتجه حسن لأحدهم الذي كان يبدو عليه أنه قائدهم وتحدث معه بصوت عالٍ:

ـ ها يا دسوقي، إيه الأخبار؟.

دسوقي:





ـ تمام يا بشمهندس.

نظر حسن لإيناس وقال:

ـ ده دسوقي. أقدم سايس هنا يا دكتورة.

ثم نظر لدسوقي بحدة وتابع:

ـ دكتورة إيناس.. يا دسوقي حتاخد تعليماتك منها بعد كده هي بدل دكتور سعد.

دسوقي:

ـ مفهوم يا بشمهندس.. نورتينا يا دكتورة.

حسن:

ـ تمام.. اتفضلي معايا يا دكتورة.

وفي تلك الأثناء قام حسن بالمرور مع إيناس على بقية الإسطبلات..

وكان يخبرها عن أنواع الجياد المتواجدة في المزرعة، وقد كانت جميعها من الخيول العربية الأصيلة، وخاصةً الخيل العربي المصري والذي يُعد من أقوى وأغلى السلالات في العالم...

شعرت إيناس بالإنبهار مما شاهدته فقد فاق توقعاتها بمراحل من حيث الترتيب والإهتمام والنظافة والمساحة الشاسعة من أجل تدريب وترويض الخيول..

أخبرها حسن بوجود مدربين متخصصين للجياد وأنهم افتتحوا المزرعة منذ عامين فقط، ولكن لديهم حوالي خمسون جواداً حتى الآن..

بعد مرورهم على الإسطبلات لاحظت إيناس خروج الخيل في شكل بديع وقد انطلقت تعدو بحرية داخل المساحات الشاسعة المحاطة بسياج الأمان كما قال لها حسن..

كانت تلك هي المرة الأولى التي ترى فيها جياد عربية أصيلة كتلك، فكل معلوماتها عن الحصان ربما مظهره الرث الذي اعتادته كلما رأت أحد الخيول







المحلية التي ألهبت السياط ظهورها وقضت الأحمال الثقيلة على قوة إحتمالها وسعى مالكها في النهاية لتجميل صورتها ربما ببعض الشرائط الملونه والحلي الرخيص الذي قضى على آخر مظهر جمالي لديها، ولكن تلك الخيول التي تعدو أمامها لم ترى لها مثيلاً من قبل..

جمال يخطف الأبصار من أول وهلة، التناسق البديع في الشكل والحركة، والعيون الواسعة التي لم ترى مثيلاً قبل كذلك..

قال لها حسن وقد لاحظ إنبهارها بما رأت:

ـ إحنا عندنا هنا سلالات أصيلة كحيلة حمداني وهدبان..

نظرت له بدهشة وهي لا تفقه شيئاً عن ما قاله:

ـ نعم!

ابتسم وتابع:

ـ أنا برده من سنة لما خالد كان بيكلمني ما كانش عندي أي معلومات عن الخيل، بس دلوقتي عرفت وفهمت حاجات كتير.

إيناس:

ـ بصراحة ده عالم تاني.

حسن:

ـ عموماً إحنا دلوقتي حنرجع على العيادة.. حاسيبك تكتشفي المكان وتتصفحي الكتب والأوراق هناك شوية، وبعد كده طبيعة شغلك حيبقى مرور وفحص دوري للخيول ومتابعة الفيتامينات والمقويات ونسبها مع العمال.. ده غير كمان التحصينات..

إيناس:

ـ وهو كذلك.





حسن:

ـ وبرده لما خالد يرجع حيكون ليه طلبات محددة عني وحيوضحلك أمور أكثر من .. اتفضلي.

عادت إيناس معه للسيارة وقالت بعدما ركبت:

ـ هو ليه مكان السكن بتاعي والعيادة بعيد كده عن الإسطبل؟.

حسن:

ـ مش بعيد قوي.. ممكن مشي نص ساعة، بس إنتِ عارفة الفلل عينة بداية لمنتجع سياحي ولازم مسافة بعيد عن الإسطبلات.. كمان ما حدش ساكن هنا قريب غير العمال والمدربين، وبرده المسافة حوالي ربع ساعة مشي وكلهم رجالة زي ما أنتِ شايفة.

إيناس:

ـ آه.. فهمت.

وصلت إيناس للعيادة ومكثت لفترة بين الأوراق تحاول أن تلحق بدرب ربما لا تعي عنه شيئاً، ولكن كان بداخلها طاقة ورغبة قوية للمعرفة.. شعرت أنها قرأت القليل والكثير بنفس الوقت، فتارة تتصفح بعض المراجع عن الأمراض وأعراضها والعلاج المناسب، وتارة تقرأ عن التحصينات والعناية الطبية بالجواد وهكذا...

نظرت للساعة فوجدتها قد قاربت على الرابعة عصراً واكتشفت أنها مكثت أكثر من أربع ساعات بالعيادة دون أن تشعر بالوقت..

اعتدلت في جلستها وأغلقت المكان ثم توجهت عائدة لمنزلها.

لم تكد تقترب من المنزل حتى وجدت رقية في انتظارها، نظرت لها رقية بابتسامة وقالت:

ـ أخبار الشغل إيه؟





إيناس:

ـ تمام.. الحمد لله يا مدام رقية.

رقية:

ـ إنبسطتي؟.. شوفتي الخيل؟

إيناس:

ـ آه.. بصراحة حاجة روعة.

رقية:

ـ مش قولتلك.. طيب.. يلا علشان نتغدى سوا.

إيناس:

ـ يا خبر!.. متشكرة قوي يا مدام رقية.. ملوش لزوم.

رقية:

ـ هو إيه ده!!.. وإيه مدام رقية دي!.. إيه يا دكتورة احنا مش أصحاب ولا إيه؟.. قوليلي يا رقية وأنا حقولك يا إيناس اتفقنا..

إيناس:

ـ اتفقنا.

رقية:

ـ طيب.. يلا غيري هدومك وتعالي نتغدى سوا.

إيناس:

ـ معلش بجد اعفيني.. أصل بصراحة مجهدة قوي، حآكل حاجة خفيفة وأنام.

رقية:





ـ طيب كلي حاجة خفيفة عندي وبعدين ارجعي نامي، ولا أكلي ما عجبكيش؟

إيناس:

ـ لأ.. خالص، ده أحسن أكل دوقته في حياتي، بس معلش خليني براحتى أصلاً عندي أكل كتير في الفريزر عايزة أخلص منه.

رقية:

ـ خلاص.. سماح المرة دي.. وعموماً يا ستي أي حاجه بتحتاجيها في محل بس في المنطقة التانية عنده كل حاجة هو بيجيب الحاجات من وادي النطرون، ولو احتجتِ حاجة مش عنده هو بيجيبها ليكي.. أنا وحسن بنروح كتير بالعربية.. نجيبلك اللي محتجاه أو تيجي معانا تجيبي، اللي يريحك..

إيناس:

ـ خلاص ميرسي قوي يا مدام رقية.

رقية بلوم وإبتسامة:

ـ هاااااااااااااااا!!!

إيناس:

ـ ميرسي يا رقية.

تركت رقية إيناس وبادرت الأخيرة بالدخول لغرفتها والإستلقاء على فراشها..

شعرت أن جسدها ينشد الراحة والفراش بإلحاح.. نظرت بجانبها وقد كان قميص شريف ملقى بجانبها على الفراش.. تذكرت أن أحلام يقظتها وذكريات زوجها لم تكن هي سيدة الموقف في هذا اليوم، فقد مر الوقت سريعاً بين كل جديد رأته وقرأت عنه وتمكنت منها الحياة رغماً عنها ولو لساعات..

امتدت يدها وجذبت القميص خاصته ثم احتضنته بعنف وسريعاً غطت في نوم عميق.





ربما مرت ساعة أو أكثر.. لا تعلم فقد غطت في نوم عميق دون حتى أن تبدل ملابسها...

أخرجت رداءً قطنياً مريحاً وارتدته ثم توجهت للمطبخ تبحث عن شيء تأكله، فقد تذكرت أنها لم تأكل منذ الصباح..

أعدت شطيرة من الجبن وقامت بصنع بعض السلطة وحادثت أمها على الهاتف لتبعث لها برسائل من الطمأنينة بعد أن استشعرت القلق في صوتها.. وبعد أن أنهت طعامها وحديثها اكتشفت أن الساعة قد تعدت الحادية عشر مساءً والسكون هو سيد الموقف حولها...

نظرت نحو الحديقة واستشعرت النسيم الحر في خيالها وعندها اتجهت لهناك وقد ألقت بجسدها على الحشائش الخضراء تراقب السماء بنجومها اللامعة..

عجباً لعمرها كله لم تشهد هذا العدد من النجوم من قبل، وكأنها غادرت سماء المدينة بصخبها وأضواءها ونشدت العزلة مثلها تماماً..

لاحت ذكرى شريف وابتسامته أمامها وكأنه يشاركها كل تلك اللحظات الهادئة ويستمتع معها بهدوء الطبيعة..

ظلت هائمة بذكراه حتى جفاها النوم دون أن تشعر، ولكن بعد وقت ليس بطويل فتحت عيونها برعشة فقد شعرت بوجود شخص آخر معها بنفس المكان!

انتفضت سريعاً حتى أنها كانت تستمع لصوت أنفاسها المتلاحقة ودقات قلبها المتسارعة خاصة عندما لمحت تلك العيون اللامعة تنظر نحوها في دهشة!..





الفصل السابع:

أسند رأسه على مقعد السيارة وأغمض عينيه في محاولة لإختلاس ربما ساعة من النوم بعد رحلته الشاقة..

لم يتوقع أن فنجان القهوة الذي دُعيّ إليه في مقهى صديقه سام سيؤدي به في النهاية إلى عدم اللحاق بطائرته، واستبدالها بأخرى..

كانت رؤية مارجريت تمثل مفاجأة بالنسبة له، خاصةً أنه كان يظن أنها تمكث بالبرازيل مع إبنتها...

مارجريت.. زوجته الأولى، تلك المرأة التي زج بها داخل عالمه دون رغبة وأخرجها منه دون ذنب!!..

أغمض عينيه عندما رآها وابتلع قهوته سريعاً رغبة في الهروب، ولكنها استوقفته قبل أن يتوجه لمخرج المقهى، كانت نبرتها حانية، أمسكت كلتا يديه بقبضةٍ مرتعشة وهي تقول:

ـ خالد.. إنت مش فاكرني؟

نظر لها بدهشة وبصوته الرخيم أجابها بثقة:

ـ وهو ممكن الواحد ينسى واحدة كانت مراته، مارجريت!!

ابتسمت بسخرية أو ربما بحسرة وتابعت:

ـ ممكن خالد.. وخصوصاً لو كان جواز زي جوازنا!

أخرج نفساً عميقاً من صدره وشعر للحظات بالآسى من أجلها، جذبها برفق ودعاها للجلوس ثم تابع برقة غابت عنها وعنه منذ زمن وقال: ـ مالك مارجريت؟.. شكلك حزين.







كانت بالفعل تبدو حزينة، بل تمكن الزمن من وجهها ولم تعد مساحيق التجميل قادرة على إخفاء بصمة السنوات..

ابتسمت مرة أخرى وتابعت:

ـ أنا عرفت من سام إنك هنا، وإنك حتبيع الشركة وممكن مش ترجع تاني وعلشان كده طلبت منه يعزمك هنا علشان أشوفك.

خالد بدهشة:

ـ تشوفيني!!

مارجريت:

ـ أو أودعك.. ممكن مش نشوف بعض تاني، وعلشان كده كان لازم أقابلك وأقولك، خالد..

خالد بدهشة:

ـ تقوليلي إيه؟!

مارجريت:

ـ أنا مش زعلان منك، خالد!

كانت جملتها صادمة بالنسبة إليه..

فكيف لا تكون غاضبة منه بعد ما كل فعله بها؟!!..

تزوجها نكاية بأمه.. لم يقترب منها مرة واحدة كزوج، بل كان يتعمد أن يُشعرها بأن زواجها منه خطأ فادح وأنه لم ولن يرغب بعجوز تسعى لتجديد شبابها بالزواج..

وفي النهاية طلقها بعد عدة أشهر..

لاحظت مارجريت اندهاشه فابتسمت مرة أخرى وتابعت:







ـ أيوه خالد.. أنا مش زعلان.. وقتها كنت زعلان كتير منك.. كنت أكرهك كتير، بس بعد كده.. فهمت..

نظر لها والغضب يبدو كمارد متجسدٍ في عينيه وقال:

ـ فهمتِ إيه؟

مارجريت:

ـ إنت لسه عصبي، خالد.. المفروض تكون اتغيرت.

خالد:

ـ أنا بسألك، مارجريت.. فهمتِ إيه؟

مارجريت:

ـ فهمت إنك مش كان قصدك مارجريت.. إنت كنت حتتجوز أي ست كبير تقابله وقتها، وكنت حتعمل معاه زي ما عملت معايا بالضبط.

صمت قليلاً في محاولة لإستدعاء هدوءه ثم لاحت ابتسامة ساخرة على شفتيه وتابع:

ـ ده تحليل نفسي!.. ما كنتش أعرف إني معقد!

مارجريت:

ـ أنا كمان ما كنتش وقتها أعرف، خالد.. بس بعد كده فهمت.

خالد:

ـ وإنتِ بقى جاية مخصوص علشان تقولي لي الكلمتين دول؟!!

مارجريت:

ـ خالد.. أنا مش بقول كده علشان أضايقك، بس دلوقتي أنا فهمت مشاعرك.









خالد:

ـ اللي هي إيه بقى؟

مارجريت:

ـ فهمت إنه كله بسبب الماما خالد مش أنا، الماما مأثر عليك كتير.. وإنت عملت ده علشان تضايقه هو مش حد تاني.. علشان كده خالد أنا مش زعلان.

كانت مجرد كلمات لكنها كانت تقتحم عقله كطرقات ساخنة.. ظل شارداً بعد أن ألقت بكلماتها وتركته لذكرياته، منذ قدومه لأمريكا.. لا بل قبل ذلك بسنوات.. وقرارته خطأ تلو الآخر..

منذ أن دخل هذا الرجل حياته، هذا الزوج الذي أحضرته أمه لعالمهما دون تمهيد.. دون اعتبار لمشاعره، ليستولي بعد ذلك على قلبها واهتمامها وعقلها، بل وأراد ان يستولي عليه هو أيضاً وكل ما يمتلكه.. لا.. مهلاً هو لم يرتكب خطيئة، بل دافع وبشراسة عن حقه.. وإذا كانت مارجريت خطيئته التي أنبه ضميره عليها لسنوات، فبالتأكيد كارمن ليست كذلك!!

كان صوت عم ريحان السائق يبدو كالصدى داخل عقله الغائب..

استيقظ على كلماته وهو يقول:

ـ خالد بيه.. خالد بيه حمد الله على السلامة، خلاص وصلنا المزرعة.

نظر إلى ساعته فوجدها قد قاربت على الثالثة صباحاً نظر للسائق العجوز قبل أن يترجل من السيارة وتابع:

ـ سهرتك معايا يا راجل يا عجوز.

ابتسم له السائق وتابع:

ـ تعبك راحة يا بشمهندس.





دخل خالد إلى فيلته وهو يصب جام غضبه على السفر والطائرات، بل ومقابلة مارجريت التي تسببت له في هذا الصداع البائس..

توجه لأحد الأدراج وأخرج حبة من المسكن ابتلعها على الفور دون مياه، ثم أعد لنفسه كوباً من القهوة الساخنة وقرر أن يستمتع بها في الهواء الطلق..

كان خالد شاباً في العقد الثالث من عمره طويلاً، عريض المنكبين يتميز بشعر داكن وملامح حادة، ربما تحمل من الغموض أكثر ما تحمل من الصرامة، عيون تبدو كعيون النمر تنظر بحدة غامضة لكل ما تلمحه..

أخيراً وصل إلى مزرعته الغالية..

مملكته حيث السكون والطبيعة والنجاح..

فكلما نظر حوله كان يشعر بالفخر.. بالإنتصار.. بالنجاح..

خرج إلى الحديقة وظل واقفاً لدقائق قبل أن يلحظ الضوء الخافت المنبعث من الفيلا المجاورة..

في البداية أصابته الدهشة ولكنه ما لبث أن تذكر ما أخبره به حسن عن الطبيبة الجديدة، ولكن عاودته الدهشة سريعاً عندما لمح جسد امرأة ممدد في الهواء الطلق دون حركة!

في حركة سريعة تخطى الشجيرات الرفيعة بين الحديقتين، وبخفة اقترب من صاحبة الجسد الملقى على الأرض..

في البداية ظن أن مكروهاً أصابها ولكن أنفاسها المنتظمة وملامحها الهادئة جعلته يوقن أنها نائمة...

هم ليترك المكان ولكنه ما لبث أن تراجع وعاد ينظر نحوها مرة أخرى.. كانت امرأة جميلة تبدو في أواخر العشرينات، ترتدي فستاناً قطنياً قصيراً من اللون الأزرق وقد كشف بعفوية عن جمال ساقيها ورشاقة قِدها..





كان وجهها يبدو كقمرٍ غط في سبات هادئ وقد تناثرت خصلات شعرها من حوله في صخب.. خصلات شعرها التي تبدو كجدائل من البندق امتدت بمجون لتوقظ الليل من سباته وتناثرت كمعزوفة صاخبة فأخرجت السكون عن وقاره..

كانت شفتاها تتمتم بهمسات صامتة..

ود أن يقترب منها أكثر ليفسر كلماتها الغامضة، ولكنه آثر عدم الإقتراب.. ولاحت على شفتيه ابتسامة ساخرة، فربما إذا فعل ذلك وجدت المزرعة فضيحة ستتحدث عنها لسنوات!!.. ولكنه ظل واقفاً مكانه بلا حراك يراقبها ففي النهاية ما تشاهده عيناه ليس سيئاً على الإطلاق!!

****

في عزلتك المنشودة تغمض عينيك في سلام.. تتأرجح بهدوء داخل أحلامك، ولكن يُطل الفزع كضيف مفاجئ ويخرجك من سلامك سريعاً عندما تكتشف وجود دخيل.

وضعت يدها على صدرها ربما لتتأكد أن قلبها لم يقفز من مكانه، فمجرد أن فتحت عينيها وجدت هذا الوجه الصارم، تلك العيون الحادة التى تحاصرها بنظرات تحمل الدهشة والسخرية في آن واحد..

استقامت وهبت واقفة وعيونها تنظر نحوه في فزع ثم قفزت هاربة لتعود لمنزلها سريعاً لتوصد خلفها كل الأبواب بإحكام..

وقفت بثبات لدقائق..

كانت دقات قلبها ما زالت تصرخ على الرغم من إغلاقها لنوافذها بإحكام.. زمت شفتيها وشعرت بالغضب من هروبها بتلك الطريقة، بل كان يجب عليها تلقين هذا الغريب درساً على إقتحامه لعزلتها دون دعوة..

نظرت نحو الحديقة من خلف الزجاج ولكنه كان قد تبخر كالسراب مثلما ظهر..





****

عاد خالد لمنزله وما زالت نفس الابتسامة الساخرة تعلو ملامحه..

الجميلة فزعت وكأنها استسلمت للنوم هكذا بمحض المصادفة!

هكذا أخبر نفسه، ففي النهاية رغم ملامحها البريئة ونظراتها الصادقة هي امرأة شأنها شأن كل النساء..

أغمض عينيه واستسلم أخيراً للنوم فلديه مقابلة مثيرة في الصباح!!..

****

كانت مفاجأة سارة لحسن عندما لمح خالد بمكتبه في الصباح، اتجه نحوه قائلاً بمرح:

- خالد!!.. إيه المفاجأة الحلوة دي!

خالد:

- أبو علي.. صباح الفل..

حسن:

- صباح الخير يا جميل.. وصلت إمتى؟

خالد:

- إمبارح الفجر.

حسن:

- وعملت إيه هناك؟.. تمام.

خالد:

- آه.. خلصت الحمد لله.. بعنا آخر شركات الحاج، سامحني يا حاج.





قال جملته وهو ينظر لصورة أبيه المعلقة خلف مكتبه..

نظر له حسن بابتسامة وقال:

ـ أنا متأكد إنه لو كان عايش كان زمانه فخور بيك يا خالد، وبالمكان هنا.

خالد:

ـ الحاج كان طيب قوي.. أنا ما طلعتلوش وجايز كده أحسن.. كان زماني أخدت على دماغي!.

ضحك بعدها خالد بشدة..

نعم لقد ارتدى عباءة القوة ومنذ زمن، بل ربما عباءة البأس..

كان هذا هو السبيل الوحيد من أجل انتصاره واسترداد حقه بعد أن سُلب منه.

الفصل الثامن:

كانت الساعة حوالي الثامنة صباحاً عندما شاهدت المهندس حسن يتقدم نحوها قبل أن تدخل للعيادة...

حسن:

ـ صباح الخير يا دكتورة.

إيناس:

ـ صباح النور يا بشمهندس.





حسن:

ـ ها إيه الأخبار؟ إستفدتِ من الورق والكتب اللي جوه؟

إيناس:

ـ جداً.. بصراحة من غيرها ما كنتش عارفة حاعمل إيه.

حسن:

ـ كويس قوي.. عموماً المهندس خالد وصل وهو منتظرك في مكتبه.

تسمر جسدها وتحجرت عيناها وكأن دلواً من المياة الباردة قُذف في وجهها، المهندس خالد صاحب المزرعة والغريب الدخيل الذي اقتحم عزلتها ليلة أمس!

إذاً فالفيلا بجوارها ليست مهجورة كما تصورت عندما لمحتها..

ويبدو أن الرجل عاد لسكناه فوجدها تستمتع بلحظات من السبات في الخلاء..

شعرت بالغضب الشديد مما حدث ومن نفسها..

لاحظ حسن شرودها فقال بصوتٍ عالٍ بعض الشيء في محاولة لتنبيهها:

ـ دكتورة إيناس.. دكتورة إيناس.. إنتِ معايا!

إيناس:

ـ أه.. آسفة.

حسن:

ـ طيب.. البشمهندس مستنيكِ

إيناس:

ـ حاضر







كانت تتوجه لغرفة المكتب بخطوات متثاقلة، ودت أن تتراجع وتترك المكان بأكمله وتعود مرة أخرى لذكرياتها.. فهذا المكان يسلب منها ذكراها بخبث ويحشو عقلها بأحداث أخرى غير ذات أهمية..

ولكن أين ستعود؟.. هل ستعود من أجل أن تجد آخر أو ربما أخرى في شرفة زوجها؟..

تلك الشرفة التي شهدت أجمل لحظات عشقها وتحولت بين ليلة وضحاها لمرتع للغرباء.

قبل أن تَنفذ أفكارها كانت قد وصلت بالفعل لغرفة المكتب..

كان الباب مفتوحاً وعندها استطاعت رؤيته بوضوح قبل أن يلمحها، كان شاباً يبدو أنه في الخامسة والثلاثين من العمر.. عرفته على الفور فعيونه مميزة بشكل غريب لا تستطيع أن تخطئها حتى إذا رأيتها فقط لمرة واحدة..

كان يتفحص بعض الأوراق أمامه بنظرة عابسة وقد اتكأ على مقعده بلامبالاة ورفع إحدى قدميه فوق طاولة صغيرة بجانب مكتبه..

لا يبدو كهؤلاء المنمقين بحللهم الغالية خلف المكاتب الفخمة، فقد كان يرتدي سروالاً من خامة الجينز وقميصاً بخطوط طولية ويجلس خلف مكتب يبدو متواضعاً وليس فخماً بالمرة.

طرقت الباب طرقات خفيفة لتنبهه بقدومها ولكنه لم يعيرها إنتباهاً بالنظر نحوها فقط جاءها صوته الأجش وهو يقول:

ـ اتفضلي.

توجهت داخل الغرفة وجلست بالمقعد المقابل له ولكنها لم تتحدث ولم تنظر نحوه..

ظلت صامتة منتظرة في غضب إنتهاءه من الأوراق أمامه..







نظر نحوها وكانت ما زالت غير منتبهة ونظراتها موجهه نحو الأرض، لا يعلم لماذا لم يتحدث على الفور وظل يقرأها بعينيه لوهلة..

ما سر تلك المرأة التي كلما رآها وجد نفسه غارقاً في ملامحها وكأنها لوحة فنية يسعى لفك طلاسمها؟!!...

كانت تبدو أكثر توتراً من ليلة أمس، وكيف لا؟!.. لقد رآها في أقصى درجات سلام النفس البشرية، ولكن كانت ملامحها أكثر وضوحاً تلك المرة، وجهها البيضاوي وخصلاتها البندقية التى استرسلت خلف أذنيها فبدت كأمواجٍ هادئة.. كانت تبدو أنيقة في حلتها الرمادية التي أظهرت طول قامتها ورشاقة قِدِها..

رفعت بصرها فجأة فإذا به يتأملها ودون أن يرتبك ارتسمت على شفتيه ابتسامة ماكرة وقال لها بصوت هادئ:

ـ صباح الخير

ردت بارتباك:

ـ صباح النور

خالد وما زالت نظراته مرتكزة عليها دون تغيير:

ـ دكتورة إيناس، صح؟

إيناس وقد تحول بصرها عنه وعادت مرة أخرى لمراقبة السجادة تحت قدميها بألوانها القاتمة:

ـ أيوه.. أنا.

خالد:

ـ أخبار الشغل إيه؟.. حسن أعتقد وضح ليكي بعض الأمور.

إيناس:

ـ أيوة.





خالد:

ـ روحتى الإسطبلات صح؟

إيناس:

ـ إمبارح مع بشمهندس حسن.

خالد:

ـ تمام.. مبدئياً احنا مواعيد شغلنا من ٨ ل ٤.. والأجازات ٣ أيام كل أسبوعين.. وبالنسبة ليكي بحتاج منك مرور دوري كل يوم الصبح على البلوكات، وتعملي تقرير بكل فرس، اسم ووزن مع رقم البلوك والتطعيمات والمقويات اللي ممكن يحتاجها بشكل فردي، وكمان لو تعب بتكتبي في التقرير العلاج اللي أخده والكمية.. دلوقتي حتيجي معايا نمر على البلوكات وتشوفي الفرس علشان برده حوريكي كام مشكلة بواجهها هناك.. تمام.

كانت صامتة تحاول استيعاب الكثير مما قاله، خاصةً أنها لم تفهم لفظ البلوكات الذي كرره أكثر من مرة واستنبطت أنه يقصد ربما الغرف الصغيرة الخاصة بالخيل...

توجه نحو السيارة وهي خلفه، قفز سريعاً داخل السيارة وركبت هي بهدوء وكانت تشعر بالإرتباك لإضطرارها للركوب بجانبه على عكس ركوبها مع المهندس حسن الذي اعتبرته كأخٍ أكبر.

قال وهو يحرك السيارة:

ـ بتعرفي تسوقي يا دكتورة؟

إيناس:

ـ لأ.

خالد:







- أصل يومياً لازم تفوتي الصبح على الإسطبلات، بس مش مشكلة ممكن تروحي معايا أو أي حد يوصلك من العمال لو أنا مش رايح.. وإذا اتعلمتِ السواقة، العربيات مكانها هنا والمفاتيح بتكون فيها.

أومأت برأسها بالإيجاب ثم ظلت صامتة بقية الطريق، وصلا سريعاً للإسطبلات.. وعندها لاحظت إرتباك العمال عند وصوله، وخوفهم الشديد من كلماته، وإمتثالهم السريع جداً لأوامره.. أما هو فكان يبدو كمن عاد لمنزله بعد غياب..

انطلق سريعاً ليطمئن على الخيل خاصته ويسأل العمال عن كل جواد بالإسم والحالة وبمتابعة دقيقة جداً لكل ما يحدث..

أخيراً توجه نحوها ببصره بعد أن ظنت أنه ربما نسي وجودها

نظر خالد نحوها وقال بلهجة آمره:

- تعالي يا دكتورة..

تقدمت سريعاً داخل الغرفة الصغيرة وكان وقتها يجلس على الأرض وقد أمسك بإحدى قدمى الحصان ورفعها قليلاً ثم قال:

- شايفة الحافر؟..

لم تستوعب ماذا يريد!!.. فالحافر يبدو كأي حافر أو ربما لا!!..

فتلك هي المرة الأولى التي ترى فيها حافر جواد..

حاولت أن تخفي إرتباكها وتابعت:

- أيوه..

خالد بغضب:

- بصي يا دكتورة.. عندي المشكلة دي مع كذا حصان، جروح ومشاكل في الحوافر.. والعمال مش واخدين بالهم والإسم سايس خبير.

"أرجع أنا ألاقي الخيل بقى أعرج ساعتها حاكسر رجلكم"





قال جملته بغضب شديد وصوت زاعق وهو يوجهه للعمال ثم تابع بجدية وهو ينظر نحوها:

ـ اكتبي معايا رقم البلوك والفرسة إسمها ياسمين.. وحنفوت على الباقي، وبعد ما نخلص ترجعي على العيادة تشوفي مراهم الجروح اللي عندك وفي كام رباط ضاغط.. و كمان لو محتاجين مضادات حيوية وترجعي وتخلي الباشوات دول يشتغلوا.. مفهوم؟

إيناس:

ـ مفهوم.

قالتها سريعاً حتى قبل ان تستوعب كل الكلمات وتحاول أن ترتب داخل عقلها كل ما طلبه منها..

مر سريعاً على بقية الأفراس ولم يخلو مروره من التوبيخ والإهانة لكل سائس وعامل مقصر ثم نظر نحوها سريعاً وتابع:

ـ كتبتِ يا دكتورة؟

إيناس:

ـ أيوه كتبت.. في ٤ عندهم مشاكل في الحافر.. و٢ عندهم مغص.

خالد:

ـ بيسو.. يا بيسو..

جاءه على الفور شاباً صغير السن والحجم أيضاً، له وجه بشوش ولكن كان يبدو عليه بعض القصور العقلي..

تحدث بتلعثم شديد وهو يجيبه:

ـ بيه.. بيه.. بيه..

خالد وبنفس نبرته الجادة:





ـ خد الدكتورة إيناس على العيادة.. حتجيب شوية حاجات وبعدين حترجعها هنا تاني.. معاه يا دكتورة.

ظلت جامدة لمكانها لوهلة وهي تفكر في إنتقالها مع هذا الشاب وقدرته على قيادة السيارة..

جاءها صوت خالد بنبرته القوية وهو يقول:

ـ يلا يا دكتورة.. تجيبي الأدوية وترجعي.. تنبهي على المساطيل دول وتشرفي عليهم وتتأكدي إن الخيل خد العلاج.. وما تخافيش من بيسو مش خطر!

تعالت ضحكات بعض العمال بعد جملته ومنهم بيسو نفسه، ولكن خالد نظر نحوهم نظره جعلتهم يصمتوا على الفور وتابع:

ـ بتضحكوا على إيه على خيبتكم!... يلا كل واحد على شغله.

انطلقوا جميعاً كالنحل، كلٍ إلى عمله وهرع بيسو مسرعاً إلى السيارة في انتظارها، وتوجهت هي وراءه على الفور ربما هرباً من هذا الـ "خالد" الذي رأت منه في أقل يوم النقيضين.

****

كان يوماً طويلاً مر بسرعة البرق.. كانت مرتبكة وهي تبحث عن الأدوية المناسبة في العيادة، وزاد إرتباكها عندما عادت ووجدت خالد قد اختفى وأن عليها القيام بكل شيء وحدها.. كان السائس دسوقي ينظر نحوها بخبث وكأنه لمس حيرتها وإرتباكها، ولكنها استجمعت شجاعتها وبدأت في توزيع المهام على الجميع بما فيهم دسوقي نفسه ومر اليوم بسلام، بل وشعرت بالرضا عن نفسها حيث استطاعت في النهاية تدبر أمرها بمفردها.. لم تكد تسند رأسها على الأريكة حتى سمعت طرقات الباب قامت متكاسلة فإذا بها رقية..

رقية:

ـ إيه الأخبار؟





إيناس:

ـ مدام رقية.. اتفضلي.

رقية:

ـ شكلك مجهد، أكيد خالد طلب منك شغل كتير النهارده.

ابتسمت إيناس قائلة:

ـ يعني شوية.

رقية:

ـ ده الطبيعي.. يلا بقى ما فيش أعذار النهارده.. حنتغدى سوا، يعني حنتغدى سوا!

إيناس:

ـ أيوه.. بس..

رقية:

ـ هو إنتِ مكسوفة مني؟!.. ده أنا أختك، وبعدين مش حيجيلك نفس تاكلي لوحدك.

إيناس:

ـ وبرده ما ينفعش أتقل عليكِ كده إنتِ وبشمهندس حسن.

رقية:

ـ إيه الكلام اللي يزعل ده!

إيناس:

ـ معلش خليني براحتي أحسن.






رقية:

ـ خلاص نتغدى سوا النهارده، وبعد كده خليها بظروفها.. أنا عملت حسابي يلا بقى

إيناس:

ـ خلاص.. حغير بس هدومي وأحصلك.

رقية:

ـ ماشي يا جميل مستنيينك.

وبالفعل بدلت إيناس ملابسها وتوجهت لمنزل رقية...

كان خالد وحسن بالحديقة عندما بادره الأخير بسؤاله:

ـ أخبار إيناس في الشغل إيه؟

إبتسم خالد بمكر قبل أن يجيب ثم قال:

ـ خايفة شوية، بس على الأقل بتسمع الكلام!

حسن:

ـ إنت عملت إيه النهارده؟

خالد:

ـ رمتها في البحر وسبتها تعوم لوحدها!

حسن:

ـ برده طريقتك مش عايز تغيرها.. لازم تساعدها في الأول دي خريجة جديدة.

خالد:




ـ لازم تتعب وتدور وتاخد ثقة علشان ما حدش يستغفلها من العمال.. وبعدين ما هي غلطتك!.

حسن:

ـ غلطتي أنا!!!

خالد:

ـ يعني رايح تعين دكتورة، وخريجة جديدة، وكمان متجوزة!

حسن:

ـ وإنت عرفت منين إنها متجوزة؟

خالد:

ـ في إيدها الشمال دبلة.

حسن:

ـ بس هي مش متجوزة.

خالد:

ـ مش فاهم!

حسن:

ـ إيناس أرملة، جوزها مات من فترة كده.

خالد:

ـ أرملة!.. وايه اللي سفرها تشتغل في آخر الدنيا لوحدها كده؟!

حسن:

ـ ححكيلك..



ابتسم خالد بسخرية بعدما قص عليه حسن قصة إيناس، وترشيح دكتور علي لهذا المكان من أجل عملها وعلاجها في آن واحد..

ثم قال ممازحاً:

ـ آآآااااه.. يعني أخو مراتك بيبعت المرضى يقضوا فترة النقاهة عندي.. تكية هي!!..

حسن:

ـ إيه مش عاجبك ولا إيه؟!

خالد:

ـ لا يا سيدي... عاجبني ونص!.. ده دكتور علي ده حبيبي!

حسن:

ـ بس على فكرة، ممكن تكون هي أفضل من الدكاترة الرجالة اللي بيتأمروا علينا وعايزين يشتغلوا في مكان تاني وتالت..

خالد:

ـ ده لو كملت!

حسن:

ـ إيه.. ناوي تطفشها؟!

خالد:

ـ مش قصدي.. بس مسير دموعها تنشف، وتلاقيها قاعدة في الكوشة من تاني وبسرعة قوي كمان.. صدقني أنا بفهم اللي زيها كويس قوي!

صمت حسن عندما استمع لكلمات صديقه، وما عساه أن يقول فخالد ما زال متأثراً بأمه التي تزوجت ثلاث مرات حتى الآن!.. ويرى النساء كلهن سواء.





في تلك الأثناء وصلت إيناس لمنزل رقية وما إن دلفت حتى رأت خالد وحسن وقد إتجها لغرفة المعيشة قادمين من الحديقة..

كانت رقية قد جهزت المائدة ودعتهم جميعاً للجلوس، وكانت إيناس تجلس بمواجهة خالد الذي رمقها بنظرة ساخرة لم تفهم المسكينة ماهيتها... لاحظت رقية أن خالد لم يوجه لإيناس سوى تحية فاترة واقتصر الحديث بعد ذلك عليها هي وحسن، ولكنه كان يختلس بعض النظرات نحوها من آن لآخر...

أما هي فكانت تجلس معهم بنصف عقل، فقد افتقدت ذكريات زوجها.. كانت تود إختلاس بعض الوقت مع نفسها ربما لتنعم ببعض اللحظات الحلوة مع طيفه.

الفصل التاسع:

مر على وجودها بالمزرعة عشرة أيام..

بدأت تعتاد الوجوه القليلة المحيطة بها..

كانت تصحو مع آذان الفجرتصلي وتنفرد بشروق الشمس بحديقتها الصغيرة قبل أن يستيقظ جارها ذو الطبع الحاد..

فقد كانت تتجنب الخروج للحديقة أغلب الأوقات منذ ما حدث، بل أنها اعتادت أن تتوجه في الصباح الباكر للإسطبلات لتمر على الجياد وتتأكد من تنفيذ العمال لتعليماتها على الرغم من استهانتهم بها في أغلب الأحيان...

جعل خالد بيسو تحت خدمتها فكان يقوم بإيصالها يومياً بالسيارة للإسطبلات ذهاباً وإياباً..







ولم يرها في تلك الأيام سوى مرة أو اثنان بالمصادفة، ولم يتعد حديثهما ربما دقائق معدودة للإطمئنان على أحوال الخيل وبالطبع لا تخلو من بعض التعليمات الصارمة بل الشديدة الصرامة فهي هنا للعمل وبجدية ولن تجد غير ذلك..

كانت تقف كعادتها بالإسطبل تحاول أن تتفحص الجواد أمامها بعدما أخبرها السائس ببعض الأعراض التي أصابت عين الجواد..

كانت تلك هي المرة الأولى التي ترى فيها دموع بعين حيوان وكأنه يبكي..

اقتربت من الجواد بحرص في البداية لم تتفحص عينيه، بل ملست على ظهره بحنان كانت تشعر بأنه كائن ضعيف على الرغم من حجمه الكبير وقوته البدنية.. ربما تكون تلك العبرات من ألم لا يستطيع أن يبث شكواه لأحد.. يا له من كائن مسكين!.. بل يا له من كائن رقيق!..

أخرجها صوت السائس الغليظ من خيالها بعنف وهو يقول:

ـ يا دكتورة عايزين مرهم للعين.. يا دكتورة!

نظرت له إيناس قائلة:

ـ نعم.. عايز إيه!

السائس:

ـ مرهم للعين يا دكتورة.. مش هي ملتهبة برده؟

عادت مرة أخرى لوعيها كطبيبة وبدأت بفحص عين الجواد بدقة ثم تابعت:

ـ ممكن تكون حاجة دخلت في عينه وهي اللي عاملة الإفرازات والدموع دي.. أنا حجيب محلول ملحي ومرهم، وأنت غطي عينه على بال ما اجي مفهوم.

السائس دون إهتمام:

ـ حاضر.





همت لتخرج من الإسطبل ولكن ما لبثت أن عادت غاضبة وتفحصت حجرة الجواد بإشمئزاز، ثم توجهت بحديثها للسائس وهي تشير لأرضية الغرفة قائلة:

ـ إيه ده؟!!

السائس:

ـ إيه يا دكتورة!

إيناس:

ـ الأرض مش نظيفة والحشرات ملت المكان، بقالك أد ايه منضفتش هنا؟

السائس:

ـ يا أبلة ده لامؤاخذة بهيمة، يعني لازم يكون المكان مش نظيف!

رمقته بنظرة غاضبة وتابعت بنبرة جادة:

ـ بس من يومين كان المكان زي الفل.. شوف شغلك.. اللي حصل لعينه ده نتيجة عدم نظافة المكان، واضح ان دخل فيها حشرة أو نشارة خشب.

السائس:

ـ حاضر.

خرجت غاضبه وتوجهت للعيادة..

علمت من بيسو أن خالد غائب عن المزرعة منذ يومان ولهذا السبب أهمل العمال في رعاية الخيول..

عادت مرة أخرى بالعلاج سريعاً وهي تتوعدهم جميعاً بعقاب شديد نتيجة إهمالهم، بل وإستهانتهم بتعليمتها أيضاً..

قامت بإعطاء الخيل المصابة العلاج، وقام السائس بالتنظيف الفوري عندما أخبرته أنها ستبلغ المهندس خالد عن إهماله وعن ما حدث بعين الجواد





السائس:

- أبوس إيدك يا دكتورة متقطعيش عيشي.

إيناس:

- وإهمالك؟

السائس:

- سماح النوبة دي كله إلا عين الخيل، كفاية رعد!

إيناس بدهشة:

- إيه!!!

لم تكد تكمل جملتها حتى سمعت ضجيجاً شديداً بأحد غرف الجياد وقد اهتز الباب الخشبي للغرفة بجنون وكأن خلفه وحش كاسر..

بعد ذلك كل ما حدث مر بسرعة البرق..

أصوات العمال تتعالى..

"حاسبي يا دكتورة.. حاسبي!"

شعرت بقبضة قوية تحيط بجسدها وتقذف بها بعيداً عن الحيوان الغاضب الذي خرجٍ محطماً حاجزه الخشبي بعنف وكاد أن يدوسها بأقدامه، لولا صاحب القبضة القوية الذي أحاطها بذراعيه وأزاحها بقوة عن طريق الجواد الثائر ليسقط كلاهما أرضاً..

نظر لها خالد بعيون يتطاير منها الغضب ثم تركها وتقدم نحو الجواد الثائر.. كان جواداً أسود اللون.. ضخم الجثة..

كانت تستمع لصهيله القوي غير مدركة أهو صهيل غضب أم فزع!.. اقترب منه خالد بشجاعة ربما افتقدها الجميع في تلك اللحظة.. شد لجام فرسه بثقة، ثم اقترب حتى تلامست رأسيهما وظل يربت على وجه الفرس بحنان ويهمس بأذنه





بهدوء.. وفي لحظات تبدل حال كلاهما من حالٍ إلى حال.. وامتطى خالد جواده بسعادة لينطلق مسرعاً خارج الإسطبل!..

وكأن الجواد كان يموت شوقاً لتذوق نسائم الحرية..

كان يعدو ببهجة.. بثقة وخالد يمتطيه بسعادة، ربما لأول مرة تلمح بوجهه ابتسامة حقيقية.

كانت تراقب ما يحدث مثلهم جميعاً، جاءها صوت السائس بغلظته التي بدأت تعتادها وهو يقول:

ـ محدش بيعرف يركب رعد غير خالد بيه.

إيناس:

ـ هو الحصان ده ماله؟

السائس:

ـ أعمى يا دكتورة!

إيناس وقد تحولت بنظرها نحوه في دهشة قائلة:

ـ إيه؟ أعمى!!

السائس:

ـ أيوه يا دكتورة.. مش بقولك محدش يعرف يركبه غير خالد بيه.

إيناس:

ـ بس إزاي؟!! .. حصان أعمى!

السائس:

ـ من سنة.. لا من سنة ونص، رعد جاله تعب في عينه.. رعد ده حصان عفيّ.. آه والله يا دكتورة.. ده أدهم.





إيناس:

ـ أدهم!

السائس:

ـ أيوه.. فحل أدهم عربي أصيل.. ده خالد بيه اشتراه بالشيء الفلاني.. المهم.. جاله تعب في عينه، وإحنا إتأخرنا في علاجه وعلى بال ما البيطري جالنا كان نظره راح..

إيناس:

ـ يا حرام!!

السائس:

ـ لو مزرعة تانية كان زمان صاحبها ضربه بالنار وريحه وريح نفسه، لكن خالد بيه روحه في رعد.. ده بيصرف عليه أكثر من أي فرصة تانية هنا!

إيناس:

ـ طيب وهو الحصان ده على طول عصبي كده وخطر؟

السائس:

ـ لا.. لا.. بس زي ما قلت لحضرتك ما حدش بيركبه غير خالد بيه، ولما بيغيب بيتجنن.

نظرت إيناس حولها ووجدت أن خالد وجواده قد اختفيا عن الأنظار وكأنهما كلاهما ودا استراق بعض لحظات الحرية أو ربما العزلة!..

****

كانت ثريا بغرفة إيناس عندما دخل عبد الرحمن للمنزل:

ـ أنا هنا يا عبد الرحمن.





قالتها بصوتٍ عالٍ عندما استشعرت بحث زوجها عنها..

دخل عبد الرحمن الغرفة ووجدها تجلس في وسط كومة من الملابس الثقيلة نظر لها متعجباً وقال:

ـ بتعملي إيه؟

ثريا:

ـ بدور على جاكيت لإيناس.

عبد الرحمن:

ـ جاكيت!.. جاكيت إيه إحنا في الصيف!

ثريا:

ـ مش إنت بتقول الدنيا هناك هو.. والهوا شديد حتحتاجه برده.

نظر لها باسماً:

ـ ماشي يا ستي.. وطبعاً عملتي ليها ما لذ وطاب.

ثريا:

ـ أسكت يا عبد الرحمن.. والله ما مصبرني على بعدها غير بس إن حالتها إتحسنت شوية.. ده كنت الأول باشحت منها الكلام بالعافية، دلوقتي أحسن وكمان بتحكي عن شغلها..

عبد الرحمن:

ـ كويس.. عال قوي.

ثريا:

ـ بس إحنا برده غلطنا.







عبد الرحمن:

ـ غلطنا في إيه يا ثريا؟

ثريا:

ـ ما كنش لازم نسيب الشقه لصاحب البيت.. أهي بنتك أجازتها قربت وإحنا اللي رايحيين ليها ..يا عيني مش طايقة تشوف حد غيره في الشقة.

عبد الرحمن:

ـ كان لازم..علشان تفوق.

ثريا:

ـ طيب وبعدين حتهاجر هي بقى؟!

عبد الرحمن:

ـ لا ياستي مش حتهاجر ولا حاجة.. مع الوقت الجرح حيلم وحترجع تاني، وحتستحمل وتعيش يا ثريا.. تعيش زي كل الناس.. قولي يا رب..

ثريا:

ـ آمين يا رب.

نظرت نحو زوجها مرة أخرى بتردد ثم تابعت:

ـ في حاجه تانية كده كنت عايزة أقولها لك يا ابو أيمن.

عبد الرحمن:

ـ ها خير؟

ثريا:

ـ أيمن زعلان شوية.



عبد الرحمن:

ـ نعم!.. زعلان من ايه؟

ثريا:

ـ يعني.. مش عاجبه سفر إيناس وشغلها لوحدها بعيد كده.. وبيقول لما يرجع ياخدها معاه أحسن.

عبد الرحمن بغضب:

ـ ياخدها فين؟

ثريا:

ـ يعني تقعد معاه شوية هو ومراته بدل ما هي قاعدة بعيد لوحدها.

عبد الرحمن:

ـ آاه تقعد معاه يتحكم فيها وتخدم مراته، قولي له ابوها لسه عايش، لما أبقى أموت يبقى يتحكم براحته.

ثريا:

ـ هو مش قصده يا أخويا هو خايف على أخته.

عبد الرحمن:

ـ ما تضحكيش على نفسك.. هو أكثر حاجة بيخاف منها كلام الناس وكلام مراته.. بقولك ايه قفلي على السيرة دي وحطي الغدا وإلا أدخل أنام.

ثريا:

ـ لأ خلاص.. ما تعصبش نفسك.

عبد الرحمن:



- والله أنا حامل هم البنت دي مش عايزها تتبهدل بعد موتي.

ثريا:

- إيه الكلام ده بقى!

عبد الرحمن:

- دي الحقيقة يا ثريا.. الحقيقة.

****

كانت تجلس بالعيادة تتفحص أحد المراجع عن أمراض العيون بالخيول عندما سمعت صوت سيارته وقد توقفت أمام العيادة..

دخل خالد للعيادة غاضباً دون أن يطرق الباب..

كان الشر يتطاير من عينيه، نظر نحوها بحدة ثم زعق بصوت عالٍ قائلاً:

- عايزة تجيبي لي مصيبة حضرتك!

فزعت إيناس من صوته وهيئته..

كانت دقات قلبها متسارعة بشكل كبير فلم تتوقع هذا الهجوم الحاد منه وبتلك الطريقة..

قالت بصوت خافت يبدو أنها جاهدت لإخراجه:

- نعم.. هو حضرتك بتقول إيه؟!

خالد وبنفس النبرة الثائرة:

- بصي يا دكتورة.. شغل هنا يبقى عينك في وسط راسك.. إنتِ واقفة في إسطبل خيل مش جنينة أسماك، لو كان رعد خبطك ولا داس عليكِ كانت حتبقى كارثة.

ظلت صامتة وهي تستمع لتوبيخه وتراقب ملامحه الثائرة.. ودت أن تصرخ به مدافعة عن نفسها ولكن.. أين إختفى صوتها؟!..





كانت تشعر أن الكلمات حبيسة بحلقها تأبى الخروج، ولكن العبرات هي من فاضت وبكثرة..

مازال يصرخ.. يقذف ثورته في وجهها دون تريث، ولكن فجأة اصطدمت عيناه بعبراتها المنهمرة..

صمت هو بدوره بل تلجم لسانه...

إنها تبكي!..

نعم تبكي..

حاولت حبس عبراتها، ولكن دون جدوى، فقد بدأ الفيضان ولا تستطيع التوقف!!

هدأ قليلاً وتلفت حوله فلم يشأ أن يشهد أحد بكاءها..

اقترب منها وبنبرة هادئة تحدث قائلاً:

ـ يا دكتورة.. دكتورة إيناس..

لم تنظر نحوه كانت عبراتها تسيل رغماً عنها..

شعر بالشفقة نحوها فرغم كل شيء عبراتها تبدو حقيقية تابع بنبرة حانية: ـ ما هو ما ينفعش كده.. يعني كل ما حاتنرفز عليكي في الشغل حتعيطي!!

أخرج منديلاً ورقياً وناوله لها ثم تابع:

ـ خلاص ممكن نهدى..

كانت إيناس تشعر بالغضب من عبراتها، بل من ضعفها وقلة حيلتها أمام صراخه..

شعرت أن ذكراها وحاضرها تجسدا أمامها في لحظات ولم تجد سبيلاً سوى دموعها الساخنة، مرت دقائق وهو جالس أمامها في صمت يتفحصها بنظراته...







ما بال تلك المرأة كلما رآها غرق في تفاصيلها، بل أكثر بل أنه يكاد يجزم أنه اشتم رائحة البندق في خصلات شعرها المموج عندما اقترب منها ليزيحها عن طريق رعد!..

أهدابها المبللة تبدو كظلال مطعمةٍ بزخات مطر تسعى لفرض حمايتها على ضوء العسل المنبعث من مقلة عينيها..

شعرت بالخجل مما حدث ويحدث بل من نظراته نحوها..

مسحت دموعها وخرج صوتها بصعوبة بالغة وهي تقول:

ـ بشمهندس خالد.. لو حضرتك شايف إني مش قد الشغل و..

قاطعها سريعاً:

ـ لا.. لا.. مش كل مشكلة في الشغل حتقولي كده.. ما ينفعش.

ابتسم بسخرية وتابع بنبرة واثقة:

ـ على فكرة أنا ده الطبيعي بتاعي شديد مع الكل، بس إنتِ بقى أول موظف يعيط عندي!

نظرت له بغضب عندما لمست السخرية في حديثه وقالت:

ـ بس حضرتك كان المفروض تقولي عن حالة الحصان رعد علشان آخد بالي.. مش أتفاجئ بوجوده كده.

نظر لها بإمعان وما زالت نفس الابتسامة لها وجهه..

"آه منكن أيتها النساء!.. منذ دقيقة كنتِ تبكين كالأطفال والآن حان دور تمردك!"

لاحظت إيناس أنه ينظر نحوها دون أن يجيب فتابعت وهي تنظر نحوه بكبرياء:

ـ عموماً برده أنا ما كانش المفروض أبكي، وأوعدك يا بشمهندس إن ده مش حيتكرر.







خالد:

ـ أتمنى.. مرجع إيه اللي في إيدك ده؟

إيناس:

ـ ده مرجع عن أمراض الخيل كنت بشوف أمراض العيون.

خالد:

ـ آآآآآآه.. قالو لي النهارده عن الحصان التاني.. برافو أنا بقدر الشغل الكويس.. ما هو أنا مش وحش قوي كده!

إيناس:

ـ العفو يا بشمهندس.. حصل خير.

خالد:

ـ حصل خير.

تركها وتوجه مرة أخرى لإسطبل الخيول فقد شعر برغبة عارمة في امتطاء رعد مرة أخرى.

الفصل العاشر:

آه.. للحظات أتمنى أن أكون مثلك يا رعد...

أركض وأركض في الفضاء الشاسع،





دون حواجز.. دون قلق.. دون حساب..

أُغمض عيناي وأترك لخيالي الحرية في العبث باللوحة السمراء أمامي فأشكلها كيفما أشاء..

أم ربما أتركها كما هي فأنا لا أبالي سوى بنسمات الهواء الحر التي تخترق صدري بعنف فتشعرني بالحياة!

" خالد "

هي بدورها شاردة تفكر فيما حدث، قطبت جبينها عندما تذكرت عبراتها أمامه.. كانت تود أن تأخذ على نفسها عهداً ألا تترك لتلك العبرات مجالاً مهما حدث..

تذكرت رعد شعرت بالشفقة من أجل الجواد المسكين فهو يبدو في منتهى القوة منتهى البطش..

منتهى الضعف!.

****

كانت رقية قد أعدت بعض القهوة ودعت إيناس لزيارتها في المساء،

اعتدلت إيناس في جلستها ورشفت القليل من قهوتها وهي تقول:

ـ الحقيقة فنجان مظبوط وفي وقته كان عندي صداع فظيع.

رقية:

ـ يا ريتك تيجي تشربيه معايا كل يوم، زي ما أنتِ شايفة أنا قاعدة فاضية.

إيناس:

ـ معلش غصب عني أوقات برجع هلكانة بنام بدري قوي.

رقية:





- الشغل متعب؟

إيناس:

- يعني ممكن علشان لسه بتعلم.

رقية:

- معلش وكمان بشمهندس خالد صعب شوية، الخيل عنده خط أحمر.

إيناس:

- هي بصراحة حيوانات جميلة قوي، ما كنتش أعرف إنها جميلة كده.

رقية:

- واضح إنك شخصية رقيقة قوي يا إيناس.

إبتسمت إيناس بخجل:

- متشكرة.

رقية:

- لأ مش مجاملة.. ده بجد.. ويا ريت ما تتكسفيش مني واعتبريني زي أختك الكبيرة على الأقل تونسيني في وحدتي.

لمحت إيناس نظرة حزن على وجه رقية، لم تفكر إيناس بتأني قبل ذلك في حال تلك السيدة الطيبة، فهي سيدة قاربت على الأربعين من العمر تعيش وحيدة مع زوجها دون أولاد.. أيعقل أن تكون السيدة رقية عاقراً لا تنجب وأن تلك اللمحة الحزينة بوجهها هي نتاج إشتياق لنعمة الإنجاب!!

حاولت إيناس تغيير الموضوع فقد شعرت بالشفقة على المسكينة..

تحدثا عن المزرعة وعن حديقتها وزهورها الجميلة..







قطع حديثهما قدوم زائر ظل يطرق الباب بإلحاح، كان شاباً يبدو في أواخر العشرينيات له طلعة بهية يرتدي قبعة مميزة سمراء اللون شبيهة بما يطلق عليه الكاب، ويعلق حقيبة مميزة على ذراعه..

دخل حمزة مع حسن محدثاً بعض الجلبة وتقدم من رقية قائلاً:

- أبلة روكاااا!!.. وحشتيني!

ضربته رقية ضربة خفيفة على ذراعه وتابعت:

- يا بكاش!.. أنا بقى لي يومين بتحايل عليك تيجي تبص على الجنينة.. الورد ما فتحش يا حمزة!..

حمزة:

- الصبر يا أبله.. حيفتح مستعجلة على إيه!!

اقترب منها حمزة هامساً وتابع:

- وهو جوزك ده مش مهندس زراعي برده ولا معاه دبلوم صناعي قسم لحام!!

ضحكت رقية وتابعت بصوت عالٍ:

- بتقول إيه مش سامعة!

حمزة:

- لا ما بقولش حاجة.

عندها لمح حمزة تلك الجميلة التي تقف منزوية تتابع حديثهما في صمت.. تركهما حمزة وتوجه نحوها على الفور موجهاً لها التحية قائلاً:

- مساء الخير.

ردت إيناس بإقتضاب:

- مساء النور.





حمزة:

ـ إيه يا طنط روكا مش تعرفيني بضيوفك!

قال جملته ونظراته مازالت موجهه نحو إيناس، اقتربت منهما رقية وتابعت:

ـ البشمهندس حمزة إبن أخت حسن.. الدكتورة إيناس الدكتورة البيطرية الجديدة هنا.

حمزة:

ـ بجد!!.. ده المزرعة نورت.

إيناس:

ـ متشكرة.

حمزة:

ـ تعرفي يا طنط وإنتِ يا كمان دكتورة إن في دراسة ألمانية بتقول إن الخيل أكثر كائن حي محظوظ!

رقية:

ـ يا سلام!!

حمزة:

ـ آه بجد.. ما كنتيش تعرفي الدراسة دي يا دكتورة؟

إيناس:

ـ الحقيقة لأ.

تابع حمزة بجدية:





ـ دي دراسة اتعملت من سنتين تقريبا عملوا مقارنة وإكتشفوا إن الخيل أكثر الكائنات حظاً.. تحبي تعرفي ليه؟.

إيناس:

ـ ليه؟

حمزة:

ـ أولاً عيونهم واسعة وده بيديهم قدرة قوية على النظر لمسافة بعيدة، وودانهم كبيرة فبيسمعوا كويس حتى دبة النملة.

إيناس:

ـ نعم!!.. دي الأسباب؟

حمزة:

ـ لسه ما عرفتيش أقوى وأهم سبب!

إيناس:

ـ وإيه هو؟

حمزة:

ـ بيكشف عليهم أحلى دكاتر .. كنت أتمنى أكون خيل بصراحة!

نظرت نحوه إيناس بغضب عندما فهمت مغزى كلامه، ونغزته رقية بذراعها وتوجهت لإيناس بحديثها قائلة:

ـ معلش يا إيناس هو حمزة بيحب يهزر كتير..

ابتسمت لهما إيناس بإقتضاب ثم تركتهما مُغادرة بعد وجهت تحيتها لرقية والمهندس حسن وابتسامة فاترة لحمزة.

نظر حسن لحمزة بغضب بعد مغادرتها وقال:







- هو إنت كده على طول ما تعرفش تتكلم باحترام يا بنى آدم إنت!!

حمزة:

- إيه يا خالو بس دي مجاملة بسيطة.

حسن:

- لا والله!!

حمزة:

- بس بجد هي دكتورة حلوة.. يعني خالد يتحسد ده ما بيشغلش غير غفر!

رقية:

- مش خالد اللي عينها دي من طرفي، ممكن بقى ما تضايقهاش.

حمزة:

- خلاص.. خلاص.. وأنا حاشوفها فين؟!. ما أنا مطحون هناك في بولاق مع البقر والكيماوي، مش إنتم هنا قاعدين في جاردن سيتي!!.. بقولك إيه ما تشوفيلي مكان هنا معاكم في جاردن سيتي حيث الخيل والخضرة والوجه الحسن!

رقية:

- مش حاخلص أنا عارفة.

حمزة:

- طيب يلا إعترفي.. تعرفيها منين؟

رقية:

- حمزة.. بلاش تهريجك ده وخصوصاً مع إيناس أبوس إيدك.







حمزة:

ـ ليه بس أنا بهرج عادي والله.

رقية:

ـ حمزة.. إيناس جوزها توفى من فترة مش كبيرة، وهي أصلاً حبيبتي هادية وكلامها قليل ما صدقنا إنها مستقرة واشتغلت وبدأت تواصل حياتها، مش عايزاها تطفش.

حمزة:

ـ إيه ده القمر دي أرملة!.. يا عيني.

رقية :

ـ آه.. شفت.. حبيبتي صغيرة، صعبانة عليا قوي.

حمزة:

ـ أنا مش باتكلم عليها هي.. أنا بتكلم على جوزها، ده أنا لو مت وسبت قمر زي دي ده أنا أتشل!!

رقية بغضب وهي تكتم ابتسامتها:

ـ امشي.. امشي من هنا..

حمزة:

ـ إيه يا أبلة بتبعيني!!.. طيب شوفي من حيظبطلك الورد!.

رقية:

ـ امشي يا حمزة.. روح يلا على بولاق بتاعتك.

حمزة:







- ماشي يا أبلة.. بس حزورك قريب ما تقلقيش.

غادر حمزة وقد كان حسن ترك محادثتهم من قبل وتوجه إلى فراشه، دخلت رقية للغرفة فوجدته قد بدل ملابسه وجلس بالفراش وبيده جريدة سألته بصوت منخفض:

- مش حتتعشى؟

حسن:

- لأ مليش، نفس حنام خفيف.

رقية:

- طيب.. تصبح على خير.

حسن:

- مش حتنامي؟

رقية:

- لأ لسه بدري، حاسهر قدام التليفزيون.

حسن:

- تصبحي على خير.

رقية:

- وإنت من أهله.

قضت رقية سهرتها أمام التلفاز، ولكن غير منتبهه لما يُعرض بل كانت تشاهد شريط حياتها مع حسن...

كانت تفعل كل ما بوسعها لإرضاءه، أصبحت الزوجة والأم والحبيبة..







فعلت المستحيل لتلبية رغباته بإستثناء رغبة واحدة لم تستطع أن تلبيها له ولكن رغماً عنها..

آآآآااه لقد ملت متابعة الأطباء، العلاج الذي لا يبشر بأمل، زهدت الإشتياق وفضلت العيش مع الحقيقة حتى وإن كانت مؤلمة..

ولكن ما حدث منذ عام كان فوق إحتمالها..

حقاً هي تجاهد لتحتمل ولكن لا تستطيع.

****

وكأنها ليلة الذكريات فكما غرقت رقية ببحر من ذكريات عمرها، بسعادتها وآلامها..

كان خالد يُبحر في ذكرى مريرة تتوغل بخبث داخل عقله..

لن ينسى تلك الليلة التى جاءت فيها أمه لغرفته بملامح من القلق ونبرات من التردد..

كان قد أتم عامه الثاني عشر منذ شهور قليلة ربما بعد وفاة والده ببضعة أيام، كانت نبرتها هادئة ولكن صارمة..

لقد قررت الزواج، فهذا المنزل يحتاج لرجل..

ليس من أجلي فقط بل من أجلك أنت أيضاً..

لاحت على شفتيه ابتسامة ساخرة عندما تذكر صوته الذي كان يجاهد ليبلغ مبلغ الرجال وهو يخبرها أنه أصبح رجل المنزل الآن وسيتمكن من الإعتناء بها، ولكن لم يكن هو رجل المنزل ولا أبيه..

بل أصبح هناك آخر..

لا يعرف لماذا لم يطمئن لتلك الابتسامة الكاذبة والصوت الدافئ، فقد كان مختار أحد الموظفين بأحد شركات أبيه استطاع بخبث وفي شهور قليلة أن يتسلل لقلب





الأرملة، وبعد الزواج وربما في غضون شهور أقل أصبح يتحكم بكل شيء هي.. وإدارة الشركات.. وخالد!!

****

الساعة قاربت على التاسعة صباحاً، نسوة تزين بالرخيص من الثياب والحلي، منهن من تحمل فوق رأسها غنيمتها من الأطعمة اللذيذة، وأخرى تنظر في مرآة متهالكة عسى أن تضيف لمسة أخيرة من الجمال قبل لقاء زوجها..

رجال وقد ملأوا جيوبهم بالمال والسجائر رغبة في تهريب كلاهما لأحد المساجين بالداخل..

كانوا يقفون جميعاً في انتظار إذن الدخول فاليوم هو موعد الزيارة.. ووسط هذا الجمع كانت تتقدم هي بخطوات واثقة، وكأنها جاءت لتلك اللوحة البائسة لتمر أمامهم وتنثر ألوان الغنج مع كل خطوة تخطوها، شعرها الأحمر مسترسلاً على أحد كتفيها،عينيها الزرقاوتين أخفتهما خلف نظارة قاتمة، وزينت شفتيها بلون الكرز الذي طالما تميزت به..

لم يصدق الصول عبد الحميد نفسه عندما وجد تلك الجميلة أمامه..

كيف وقد اعتاد على الوجوه البائسة، نساء اختفى الجمال من وجوههن وحل مكانه أعباء الحياة وتجاعيد الزمن التي توغلت بدقة في ملامحهن.. ابتسم وهو يقوم مسرعاً من أجل مصافحتها قائلاً:

- اتفضلي يا ست هانم.. اتفضلي.. ده البيه المأمور موصيني والله، وهو مش محتاج يوصيني.. يعني لا مؤاخذة اللي زي حضرتك ما يقفش مع دول بردك الناس مقامات.. ولا إيه!

جاءه صوتها الرقيق بعبارة مقتضبة:

- ميرسي.

أدخلها الصول لأحد الغرف الصغيرة لتنتظر المسجون الذي جاءت لزيارته، كانت تلك هي زيارتها الأولى له فمنذ ما حدث قررت الإبتعاد، وربما لولا صداقتها



للواء عادل الذي سهل زيارتها للمكان لم تأتِ.. خطوات بطيئة تقترب من الباب قطعت أفكارها، نعم أخيراً وصل..

لقد مرت ثلاث أعوام تغيرت ملامحه كثيراً، أصبح البأس هو صاحب اليد العليا واتخذت الخصلات البيضاء لشعره طريقاً فأصبح رمادياً..

ابتسم لها ساخراً وشفتاه تنطق باسمها في حنق:

- كارمن!!

الفصل الحادي عشر:

كارمن..

كان يرددها بنبرة ساخطة، جلس أمامها وقد تفحصها من رأسها لأخمص قدميها..

ثم أمسك بيديها ملمحاً لسبابتها المنقوشة بالحناء قائلاً:

- بيعجبني فيكِ إنك مهما حصل بتحبي تحافظي على ستايلك!

سحبت يدها سريعاً وأخرجت سيجارة، نفثت الدخان بحدة وهي تقول: - إزيك يا كريم..

كريم:

- سؤال غريب!

كارمن:

- لأ.. يعني قصدي مرتاح هنا؟

كريم:

- هو الأكل كويس بس الخدمة مش قد كده!

كارمن:

- بتتريأ؟

كريم:

- دي الإجابة الوحيدة على سؤالك.

كارمن:

- أنا كنت مسافرة، لسه راجعة من شهرين.

كريم:

- والله!!.. وكنتِ فين بقى؟!.. بتتفسحي مع خالد باشا؟!!

كارمن:

- كريم.. أنا وخالد اتطلقنا.

نظر لها ساخراً وتابع:

- بجد!!.. زعلتيني!.. ليه كده؟!.. ده إنتِ بعتِ كل حاجة علشانه، أبوكي وأخوكي.

كارمن بآسى:

- كريم.. أنا ما بعتكش.. أنا ما كنتش أعرف اللي خالد ناوي عليه.. صدقني أنا اتفاجئت.

كريم:



ـ وأنا كمان اتفاجئت، اتفاجئت يوم ما لقيته داخل عليا ومعاه عقود ملكية لأكثر من نص الشركة.. فاكرة ولا نسيتِ دي كمان!

لم تنس كارمن، بل كانت تغوص بذكرى كل ما حدث.. ليس فقط منذ زواجها بخالد.. لا بل من قبل ذلك بأعوام..

ربما حتى من قبل لقائهما الأول..

فقد بدأ الأمر بزواج فريدة ومختار..

****

كما تجف قطرات الندى مع شروق كل صباح جديد جففت الأرملة فريدة دموعها سريعاً وانتبهت للتركة الثقيلة، تلك الأمانة التي حملتها بين ليلة وضحاها..

وأيضاً بين ليلة وضحاها تحولت فريدة لغنيمة، بذل مختار الغالي والنفيس للفوز بها..

كان مختار موظفاً مرموقاً بإحدى شركات زوجها الراحل، استطاع في فترة وجيزة كسب ثقة فريدة فأصبحت تعتمد عليه في كل شيء..

وفي خلال شهور قليلة تمكن الموظف الوسيم من عقلها وقلبها وكل ما تمتلك..

وتزوجت فريدة بمختار..

لم يتقبل خالد الزواج منذ أول ليلة، بل كان يشعر بالغضب يمزق ضلوعه خاصة عندما سافرت أمه وتركته لقضاء شهر العسل!!

مرت الأيام والجفاء يزداد بين خالد وفريدة والسبب مختار..

كان كلاهما كعدويين ينتظر كل منهما أقرب فرصة للقضاء على الآخر، غضب خالد من تحكمات مختار بكل ما يخصهم، وإصرار فريدة على جعله أب إجباري له بشتى السبل..



وعلى جانب آخر لم يتوانَ مختار عن مضايقة المراهق المتمرد رغبةً منه في كسر أنفه..

ومع مرور الأيام بدت الطباع السيئة لمختار في الظهور رويداً رويداً، خاصةً حبه للخمر وتعديه بالضرب على فريدة كلما عكرت صفوه كما إعتاد ان يقول لها..

كان صوت صراخها يمزق خالد إرباً وكاد مرة أن يمسك بسكين لقتله، ولكن ما كان يمزقه أكثر وربما يدمر كل القوى بداخله أصوات ضحكاتها ودلالها بعد أن يسرتضيها مختار بطريقته الخاصة!

ومرت الأيام ربما دون لون أو طعم أو رائحة..

كان خالد يقضي أغلب أوقاته خارج المنزل وود لو يستطيع المكوث مع عمته الوحيدة أملاً بحياة طبيعية..

وفجأة حدث شيء لم يكن بالحسبان، توفيت زوجة مختار الأولى وانتقل أولاده للمكوث مع خالد وأمه..

كريم وكارمن..

كانت كارمن الجميلة بنفس عمر خالد، تسلب لب كل من تقع عليها عيناه بشعرها الأحمر المتمرد وعينيها الزرقاوتين، ولكن خالد لم يعرها إهتماماً في البداية فهي بالنسبة له إبنة مختار وفقط!

وبعد مرور عام سافر كريم من أجل أن يُكمل دراسته بالخارج كما أراد والده.. فقد كان مختار يخطط أن يدير كريم بعد ذلك مجموعة الشركات الخاصة بخالد، خاصةً بعد أن أصبحت فريدة كالعجينة اللينة بين يديه يشكلها كيفما يشاء.. وأقنعها أن الأفضل لخالد دراسة الهندسة الزراعية لمتابعة الأراضي الزراعية الشاسعة التي يمتلكها أبيه ملمحاً، أن هذا أيضاً لم يكن بالقليل..

وسافر كريم..

وأصبحت العلاقة أكثر وداً بين كارمن وخالد..





أصبح خالد ونيسها الوحيد وبدأت العلاقة..

علاقة عشق محرم بين الجميلة والغاضب..

في أحد أيام الشتاء الدافئة كانت كارمن تجلس بجانبه بحديقة المنزل، كانت تبدو جميلة تحت ضوء الشمس الذي أعطى شعرها الأحمر وهجاً مميزاً.. نظرت نحوه بابتسامة عابثة وقالت:

ـ عاجبك لون شعري؟

خالد:

ـ أكيد.

كارمن:

ـ الناس حفظتني في الجامعة من أول يوم بسببه.

جذب يديها برقة وأخفاها داخل راحة يديه وتابع:

ـ بسببه هو بس!!

كارمن:

ـ خالد.. طنط تاخد بالها.

خالد:

ـ ما يهمنيش.

ابتسمت برضا وجذبها هو نحوه في ثقة لإختطاف قُبلة.

كان خالد يرى في كارمن كل شيء..

ربما ما لا تراه هي، العبث، الجنون، الثقة، الرغبة!

وتركت هي نفسها لحبه..





كانت تشعر أن الحياة ضحكت لها وستظل كذلك، ستكلل قصة حبها مع خالد بالزواج وليس أي زواج..

فهي ستتزوج من سيجعل حياتها نعيماً ربما كالأميرات، مثل والدها وزواجه من فريدة..

وسعد خالد بلحظات المتعة التي اعتاد أن يسترقها مع كارمن في سكون الليل، وبلغت سعادته ذروتها عندما لمحه مختار في أحد الليالي وهو يخرج عاري الصدر من غرفة كارمن عندها فقط شعر بالإنتصار..

لم يشعر بقوة اللكمات الموجهة إليه، بل إن الدماء التي سالت من فمه كانت بطعم العسل..

كان يشعر بالسعادة بالرغم من نحيب أمه، وصراخ كارمن..

ولكن أجمل ما في تلك الصورة كانت شرارة الغضب التي تبرق داخل عيني مختار!!

وبعدها كان قرار مختار سريعاً، وأذعنت فريدة لأمره..

ففي النهاية خالد قد ارتكب خطيئة لا تغتفر..

ورحل خالد عن منزله..

مكث مع عمته بعيداً ولم يكن يحادث والدته إلا قليلاً، فأصبح غريباً عن ما يمتلك..

وبعد مرور عامان كان مختار قد نفذ خطة وضعها بإحكام، وفوجئ خالد بإتصال من والدته تطلب منه العودة للمنزل سريعاً..

كانت باكية، انطلق للمنزل مسرعاً غاضباً وهناك كانت تجلس فريدة في انتظاره، دخل خالد للمنزل وهو يجول ببصره باحثاً عن مختار ويقول: ـ حصل ايه؟

فريدة:





ـ طيب.. أقعد وأنا حافهمك.

خالد:

ـ تفهميني إيه؟.. ايه اللي حصل؟.. ومختار عمل ايه؟..

فريدة باكية:

ـ سامحنى يا ابني.. مختار ضحك عليا!

خالد:

ـ إنتِ بتقولي ايه!

فريدة:

ـ مختار خلاني أمضي على شيكات بدون رصيد، وبيهددني يا نتنازل ليه عن الشركة يا حيبسني!!

خالد:

ـ إيه!.. مش فاهم.. وإنتِ ما عندكيش رصيد في البنك؟!!

فريدة:

ـ أصلي سحبت الفلوس كلها علشان الشركة كانت محتاجه سيولة!

خالد:

ـ إيه!!.. حرام عليكِ.. حرام عليكِ.

فريدة:

ـ الحيوان بان على أصله، أمك حتتحبس يا خالد!

كانت كلماتها كالصاعقة..





فمختار لم يسرق أمه وحياته وسعادته فقط، بل يسرق أمواله وبفجور.. كان يشعر بالغضب، بالحيرة، بالضعف..

ولكنه بدا قوياً كالصخرة وعلى الرغم من صغر سنه شعر بالمسؤولية، بالرجولة، نظر لها بثقة وتابع:

ـ موافق بس بشرط.

فريدة:

ـ شرط إيه؟

خالد:

ـ تطلقي منه فوراً.

وهكذا خرج مختار غانماً من حياة فريدة، ولم يتبقى لخالد من شركات أبيه سوى فرع صغير بالإسكندرية والفرع الآخر بأمريكا الذي كان يديره كريم وكبده خسائر فادحة..

واستطاع خالد استلام باقي تركته بعد بلوغه سن الرشد، وسافر للولايات المتحدة حتى يتمكن من إنقاذ ما يمكن إنقاذه بفرع الشركة هناك وإستكمال دراسته أيضاً..

ولكن بعد شهور قليلة من سفره تزوجت فريدة مرة أخرى!

نعم مرة أخرى..

وتلك المرة من شاب يصغرها بأعوامٍ عديدة بل شاب في مثل سنه!!..

كانت صدمة زواجها تلك المرة ربما أقوى من صدمته الأولى، فقد أعادت الكرة رغم كل ما حدث ولم تبالِ بشيء...

ولن تبالي بشيء سوى فريدة..

وكارمن لا تبالي سوى بكارمن..













ومارجريت التي تزوجها بعد زواج أمه بأيام لا تبالي سوى بمارجريت..

ومرت الأيام وقرر خالد العودة لمصر وبدء مشروعه الذي طالما حلم به منذ سنوات، وساعده صديقه حسن على اتمام الفكرة بحكم خبرته..

وبدأ خالد ببيع ممتلكات أبيه من أراضي وعقارات حتى يحصل على الأرض التي يبغاها بالصحراء ليبدأ مشروعه، ولكنه لم ينس مختار...

ورآها، عن قصد منه تتبعها، زادت بريقاً وجمالاً، شعرها المموج بحمرته المسترسلة بثقة على كتفيها وشفتاها التي طالما تزينت بلون الكرز، عيناها والبحر الثائر بداخلهما..

لم تصدق نفسها عندما وجدته يقترب منها، كانت قد ارتشفت القليل من قهوتها الصباحية بأحد المقاهي الشهيرة، تركت الفنجان ونظرت له بدهشة: - خالد!.. مش ممكن!!..

ابتسم ساخراً وتابع:

- الدنيا دي صغيرة قوي!

كارمن:

- فعلاً.. وإنت شكلك كمان اتغير خالص.

نعم..

فخالد قد تغيرت ملامحه كثيراً، أضافت بشرته الداكنة وبأس السنوات لملامحه جاذبية قوية، وأصبح بنيانه الجسماني أقوى مما كان عليه بفترة المراهقة..

نظرت له كارمن بإعجاب وتابعت:

- بس تغيير للأحسن طبعاً!

جلس خالد في مقابلتها دون دعوة ثم ارتشف القليل من قهوتها وتابع: - وإنتِ إيه أخبارك؟.











كارمن:

ـ أخباري، عادي بقيت فنانة تشكيلية.

خالد:

ـ واو.. برافو.. طول عمرك بتحبي الرسم.

كارمن:

ـ لازم تيجي تزورني وتتفرج على شغلي.

خالد:

ـ كمان فتحتِ معرض؟!

كارمن:

ـ لا.. أنا بعمل معرض كل سنة ولا اتنين.. قصدي في بيتي.

خالد بدهشة ونظرة تتسم بالخبث نوعاً ما:

ـ بيتك!

كارمن:

ـ أيوه بيتي. إيه المشكلة؟

خالد:

ـ وباباكي حيرحب؟!!

ابتسمت ساخرة:

ـ مختار بيه!!... لا متقلقش.. أنا قصدي بيتي أنا.. ما هو أنا ليا بيت لوحدي دلوقتي.. تقدر تقول دي الحاجة الوحيدة اللي إستفدت بيها من جوازتي اللي فاتت!





خالد:

- إيه ده إتجوزتي؟!

كارمن:

- وإتطلقت.

خالد:

- زميلة يعني!

كارمن:

- إنت كمان!!.. طيب يبقى لازم نتقابل بقى ونحتفل بالمناسبتين دول!

خالد:

- أكيد.. بس أتمنى إن ده ما يسببش ليكي مشاكل.

كارمن وقد لاحت ابتسامة واثقة على شفتيها:

- ومن إمتى كارمن بتقلق من المشاكل؟!

خالد بثقة:

- يبقى إديني العنوان.

وهكذا عادت كارمن مرة أخرى بجنونها وعبثها لعالمه، ولكن تلك المرة بخطة محكمة من جانبه..

فقد حان الوقت لإسترجاع حقه المسلوب.







الفصل الثاني عشر:

الرغبة..

هذا الشعور الذي يتولد لدينا فننطلق دون بصيرة لإشباع حاجتنا..

يرى أفلاطون أن الرغبة غريزة فطرية في الإنسان، إذ أن الإنسان بطبيعته كائن راغب وعلى العقل أن ينظم تلك الرغبات ويتحكم بها.. ويبدو أن هذا كان حال كارمن، فطالما تحركت خلف أهوائها دون حساب ولم تدع المجال لعقلها أن يتحكم بتلك الأهواء خاصةً في علاقتها بخالد.. وعلى جانب آخر..

يرى سبينوزا أن الرغبة هي نتاج أفكار الإنسان من أجل الإستمرار في الحياة، في الوجود.. فهي في نظره أساس الفكر والإرادة والسلوك.. ورغبة خالد في الإنتقام من مختار طالما كانت هي المحرك الوحيد لسلوكه إتجاه كارمن..

جلس يتفحص المكان حوله باهتمام، تقدمت منه وقد صففت خصلاتها الحمراء بعناية وزادت من بريق أحمر الشفاة خاصتها عن قصد وتابعت: ـ عجبتك الشقة؟.

ابتسم بمكر وقال:

ـ شبهك!

نظرت له بثقة:

ـ يبقى عجبتك.

خالد:

ـ طول عمرها عاجباني.

كارمن:





- هي مين دي؟.

خالد:

- يعني مش عارفة!!

كارمن:

- وداني تحب تسمعها..

خالد:

- كارمن.. أنا عايزك تكوني مراتي.

تبدلت ملامحها، لم تتوقع أن يبادرها بطلب كهذا وبتلك الطريقة وعلى الرغم من سعادتها به بل تمنيها لهذا الطلب ومنذ زمن.. ترددت، صمتت قليلاً ربما حتى تنتظم دقات قلبها المتسارعة، تابعت وقد لاحت ابتسامة على شفتيها:

- إنت بتقول إيه؟!

خالد:

- اللي سمعتيه.

كارمن:

- وبابا؟!.. ومامتك؟!.. و..

اقترب منها، وضع إصبعه على شفتيها ليوقف حديثها،

همس بأذنها بثقة:

- وإحنا من إمتى بيهمنا حد؟!!

وتم الزواج..





وجن جنون مختار، حتى أنه امتنع عن مخاطبة إبنته بعد إصرارها على إتمام الزيجة..

وفريدة ظلت كعادتها ضيفة شرف في حياة نجلها، فعلمت بخبر زواجه عن طريق الهاتف!

ومرت عدة أشهر دون أن يقوم بشيء سوى إسعاد كارمن..

شعرت أن حُلمها تحقق فهى تعيش كالأميرات مع الزوج الذي طالما رغبته، لم يفعل خالد شيئاً سوى الإهتمام بعمله وبث رسائل الطمأنينة في قلب كارمن، فلم يكن يسألها عن ما يخص أبيها أو شركته السابقة، بل ركز جهوده في تحقيق حلمه الأكبر وهي مزرعة الخيل..

كان يود افتتاحها في أقرب وقت، فطالما كانت لحظاته مع الجياد هي أسعد أوقاته، كان يهرب من أحزانه على مر السنوات ويذهب لإمتطاء الخيل، يشعر بالراحة كلما بث شكواه بهمسات متقطعة لتلك الكائنات الرقيقة وكأنها تفهم شكواه، تشعر به، تنطلق به وتعدو بحرية فيشعر أنه امتلك عالم آخر، عالم أفضل.

****

اقتناص الفرص..

إستراتيجية بسيطة لا يتبعها الكثيرون، ولكن خالد اتبعها وبدقة..

وعندما جاءته الفرصة.. أصبح الرجل المناسب في المكان المناسب، كان المرض تمكن من مختار فأصبح قعيداً أغلب الأوقات تاركاً الجمل بما حمل كما يقولون لإبنه كريم الذي برع وبشدة في إفشال كل نجاح يتعثر به..

واستطاع خالد بعلاقته القوية بكبار رجال الأعمال أن يساعد على إبراز فشل كريم، بل ومساعدته أيضاً على الفشل وبتفوق..

حتى أنه كان يعلم كل صغيرة وكبيرة عن صفقات كريم المشبوهة من أجل الحصول على المال السريع..





وعلى جانب آخر ملت كارمن من الحالة المتردية للشركة والخسائر الفادحة التي تكبدها كريم لهم جميعاً..

وبأحد الايام جاءته كارمن باكية..

خالد:

ـ حبيبتي.. مالك في إيه؟؟!

كارمن:

ـ بابا يا خالد.. بابا تعبان قوي.

خالد:

ـ عرفتِ منين؟

كارمن:

ـ كريم الزفت اتصل، قالي تخيل إنه دخل المستشفى!

خالد:

ـ طيب.. ايه اللي حصل؟

كارمن:

ـ ما اعرفش.. بيقوللي جلطة في القلب، أكيد طبعاً اتحسر من اللي كريم بيهببه في الشركة.. بالطريقة دي حنفلس وقريب كمان.

خالد:

ـ طيب.. اهدي.

كارمن:









- أهدى إزاي بس!!.. الغبي حيضيع كل حاجة.. الشركة بتخسر سنة ورا التانية.. يا ريتني أعرف حتى أبيع نصيبي.. بس مش عايزة بابا يزعل مني تاني.

خالد بدهشة مدعياً عدم معرفته بالأمر:

- نصيبك!!

كارمن:

- أيوه.. ما هو بابا من فترة كتب الشركة بإسمي أنا وكريم.. أنا الثلث وهو الثلثين.

خالد ساخراً:

- حسب الشرع يعني؟!!

كارمن:

- حظي إنه عمل ده قبل ما نتجوز، ولا كان زماني بخ مع إنها ما عدتش فارقة دلوقتي!

خالد:

- عندك حق.. ما تزعليش مني كريم عنده مشاكل كتير والكلام منتشر في السوق.

كارمن:

- آه.. يعني كمان السمعة انضربت مش حاعرف أبيع.

خالد بمكر:

- بصي يا كارمن أنا عندي حل.

كارمن:

- إيه؟








خالد:

ـ عندي مشتري.

كارمن:

ـ بجد!!.. ومين ده اللي حيشتري مني أسهم شركة خسرانة؟!.. أكيد حينزل السعر في الأرض.

خالد:

ـ لا ما تخافيش.. المشتري ده هو اللي أنا بعت ليه فرع إسكندرية، وممكن يدفع كويس علشان يدخل شريك في الفرع الرئيسي.

كارمن وقد عاودها التردد مرة أخرى:

ـ أيوه.. بس بابا...

اقترب منها خالد ليحتضنها:

ـ أنا بعمل ده علشانك وعلشان أحفظ حقك قبل ما كريم يضيعه، لو مش عايزة بلاش.. بس خدي بالك دي ممكن تكون آخر فرصة.

كارمن:

ـ آخر فرصة!

صمتت لوهلة قاطبة جبينها ثم تابعت:

ـ خلاص.. أنا موافقة.

وبالفعل في غضون أيام قليلة قدم خالد، حسن لكارمن على أنه المشترى المذكور..

وباعت كارمن نصيبها في الشركة وهي سعيدة بالمبلغ الوفير الذي جنته من تلك الصفقة الرابحة ..








صفقة تمت بالتوازي..

فعلى جانب آخر وقع كريم عقد بيع ثلث أسهمه بالشركة لحسن أيضاً أملاً في إخراج الشركة من الضائقة المالية التي أصبحت ملازمة لها، وطمعاً بعد أن أقنعه حسن بخبث أنه مستثمر ساذج يستطيع كريم بدهاء أن يُحّمِله الخسارة ويوفر المكسب لجيبه فقط..

وهكذا وبعد توقيع آخر بسيط ونهائي أصبح خالد مالك لحولي ٧٠% من شركته السابقة..

وبقي الجزء الأخير من خطته لإمتلاك الجزء الباقي.

****

نظر كريم لحسن بتردد ثم تابع:

- أيوه.. بس أنا ما عنديش سيولة في البنك تكفي اللي حامضي عليه ده.

حسن:

- إيه يا كريم باشا.. الشيكات حنسددها من المكسب أول بأول.. الصفقة دي حتكون صفقة العمر، والأجهزة اللي حنستوردها دي حتاكل السوق أكل، ومتقلقش لوحصل عجز أنا سداد، ولو خايف تمضي مش مشكلة بس علشان أمضي أنا لازم يكون ليا حق الإدارة وكل حاجه حتتغير.

كريم:

- لا.. لا.. خلاص حامضي أنا هات الشيكات.

وهكذا وقع كريم، وقع دون بصيرة كما وقعت فريدة قبل ذلك ولم يتبقَ لخالد سوى خطوة أخيرة

****





لم يصدق كريم عينيه عندما رأى خالد أمامه يدخل مختالاً وقد جلس أمامه في عبث ورفع قدميه على المكتب في مواجهته..

نظر له كريم بغضب:

ـ إنت ايه اللي جابك هنا؟

خالد مقهقهاً بسخرية:

ـ سؤال ذكي!.. لا بجد برافو عليك!!

كريم:

ـ إتكلم كويس.

خالد:

ـ والله المفروض إنت اللي تتكلم كويس مع صاحب المال اللي إنت قاعد تبرطع فيه!!

كريم:

ـ نعم!

خالد:

ـ أنا ما عنديش وقت.

قذف خالد صورة من عقود بيع كريم وكارمن لأسهمهم في الشركة لحسن، وعقد بيع حسن لنصيبه كاملاً لخالد..

ظل كريم ينظر في العقود وملامح الغضب والصدمة بادية بقوة على وجهه، نظر لخالد نظرة شيطانية وقذف العقود بوجهه وهو يقول:

ـ آه يا كلاب!.. طبختها إنت والكلبة مراتك.

خالد ببرود وسخرية:





ـ المشاكل العائلية دي ما ليش فيها، تبقوا تحلوها مع بعض.. المهم حضرتك دلوقتي تمضي لي على المبايعة دي بباقي نصيبك، إتفضل..

كريم وقد تمكنت منه حمرة الغضب:

ـ نعم!.. إنت بتستهبل ولا بتستعبط؟

قام خالد وتوجه بجسده القوى نحو كريم الذي كان أضعف منه في البنيان بمراحل، ونظر له بغضب وبصوت زاعق ارتدعت منه فرائص كريم وصرخ وبقوة:

ـ لا يا حبيبي.. الإستهبال ده خاص بيك إنت والبيه أبوك، ومن الآخر كده حتلم الدور وتمضي دلوقتي، وإلا الشيكات اللي إنت مضيتها يا حلو من غير رصيد حتكون بكرة في النيابة ويا الدفع يا الحبس.

كريم:

ـ كلب.. كلب.

لم يشعر كريم بعدها إلا وقبضة خالد القوية تحطم أنفه وكلمات خالد تغزو أذنه كالصدى:

ـ مش خالد رضوان اللي يتشتم ومن حشرة زيك!

كان كريم يشعر أنه بدوامة، يده المرتجفة تتحرك بتردد لإمضاء العقود، واليد الأخرى تمسك بمنديل يحيط بأنفه المدماة، نظرنحو خالد بعداوة ثم تابع بنبرة خافتة يملؤها الحقد:

ـ مش حاسيبك.. بقى تار بيني وبينك.

خالد دون إكتراث:

ـ آه.. وماله.. بس مش دلوقتي، كمان سبع خمس سنين كده!!

كريم:





ـ إيه؟!!

خالد:

ـ آه.. أنا نسيت أقولك ما هو البوليس جاي يقبض عليك دلوقتي، ما هو مش شركات رضوان القاضي اللي شغلها يمشى بالرشوة على آخر الزمن.. معلش بقى أصل حبايبي كتير وفي ناس خدمتني فيك!

ظلت ملامح خالد البائسة هي ذكرى كريم البائسة خلف القضبان، كلماته في ذلك اليوم لم تفارق عقله ولو ليوم واحد..

"إبقى سلم لي على مختار بيه وقول له مش خالد رضوان اللي يسيب حقه"

نظر كريم نحو كارمن بأسى وتابع:

ـ وأنا برده مش حسيب حقي يا كارمن.. فاهمة؟.

كارمن:

ـ قلت لك أنا ما ليش دعوة.. هو ضحك عليا زيك بالضبط، وبعد ما خد اللي هو عايزه طلقني.. افهم بقى أنا اتطلقت بعد حبسك بأسبوع واحد وفي الآخر بابا مات غضبان عليا.

كريم:

ـ مات بحسرته بسببه.. مش حاسيبه.. فاهمة مش حسيبه.

كارمن وقد لمعت عيناها بنظرة مختلفة، نظرة ماكرة مُطعمة بغضب دفين ظل ينمو داخل قلبها لسنوات حتى تمكن منها فأصبحت الرغبة في الإنتقام هي من تقودها، طغت تلك الرغبة على فكرها، إرادتها، سلوكها!

تابعت بنبرة خبث ممزوجة بالسخرية:

ـ وأنا كمان مش حاسيبه!

لاحت على فمه ابتسامة ماكرة..





اقترب منها كريم وأمسك بوجهها وتابع:

- يبقى لازم يدفع الثمن يا كارمن، لازم تدفعيه الثمن.

كارمن:

- إزاي؟

كريم:

- زي ما ضيع مننا كل حاجة، حنضيع منه كل حاجة، فاهمة؟.. كل حاجة.

وكأنها كانت تنتظر كلماته، وكأن تلك الكلمات هي منبع راحتها بعد سنوات الغضب..

الغضب الذي حل محل عشقها المتمرد نحو خالد..

هل ما زالت تعشقه؟..

لا... هي تكرهه حتى النخاع..

عادت لمنزلها الذي احتضن من قبل لحظاتها الدافئة معه..

أمسكت بالفرشاة وعلى لوحتها البيضاء نثرت مشاعرها..

مزجت ألوان الغضب بالحب، الثورة، الجنون، العشق، الرغبة.

نعم فالإنسان بطبعه كائن راغب ولكن المعضلة هي..

ماذا يرغب؟!








الفصل الثالث عشر:

نظرت ثريا من نافذة السيارة تتفحص الطريق في فضول..

كان الطريق هادئاً وكأن سيارتهما هي الوحيدة التي قررت اقتحامه مع ساعات الصباح الأولى..

بدا كشريط أسود لامع وقد تناثرت رمال الصحراء على جانبيه حتى بلغت الأفق..

نظرت نحو زوجها وقالت بنبرة يشوبها الملل:

ـ لسه كتير يا عبد الرحمن؟

عبد الرحمن:

ـ خلاص يا ثريا، قربنا.

ثريا:

ـ برده بعيد قوي المكان.

عبد الرحمن:

ـ ولا بعيد ولا حاجة، إنتِ بس اللي إتعودتِ على المسافات القريبة.

ثريا:

ـ جايز.

بعدها بقليل وصلت السيارة التي تقل ثريا وعبد الرحمن للمزرعة، وعلى الرغم من تأفف ثريا من بعد المسافة إلا أنها لم تخفِ إعجابها بالمزرعة لحظة دخولها، خاصةً أشجار الليمون التي صفت على التوازي يميناً ويساراً تحتضن طريقاً ممهداً صمم بإبداع..



كانت الساعة لم تتعدى الثامنة صباحاً وإيناس تنتظرهما أمام مدخل الفيلا ممسكة هاتفها النقال بيدها لتطمئن أن أبيها لم يضل الطريق..

وصلت السيارة وودع عبد الرحمن السائق منبهاً عليه أن يعود ليقلهما في المساء..

شعرت إيناس بالحنين عند رؤية أمها وأبيها..

كانت قد افتقدتهما بشدة، ولكن رؤيتها لهما جعلتها ربما توقن أكثر بدقات قلبها المرتجفة نحوهما..

اقتربت إيناس من أمها واحتضنتها بشدة وهي تقول:

ـ وحشتيني قوي يا ماما.

ثريا وهي تملس على شعر إبنتها وتقبل وجنتها في حنان:

ـ وإنتِ كمان يا حبيبتي وحشتيني قوي.

نظر لها عبد الرحمن بابتسامة قائلاً:

ـ وأنا مليش نصيب في الأحضان دي ولا إيه!!

إيناس:

ـ يا خبر إزاي يا بابا!.. إنت وحشتني جداً.

احتضنت إيناس أبيها بقوة بدوره ثم دلفوا جميعاً للداخل، نظرت ثريا بإعجاب للمكان حولها وقالت:

ـ حلو المكان، مفروش كويس.

عبد الرحمن:

ـ مش قلتلك.

ثريا:






- بس برده المكان فاضي قوي.

عبد الرحمن:

- ده إسمه هدوووووووووووء..

ثريا:

- هدوء إيه ده إسمه ملل.. إيناس يا حبيبتي لو زهقانة إرجعي معانا!!

عبد الرحمن:

- إيه اللي إنتِ بتقوليه ده؟!

ثريا:

- إستنى بس يا عبد الرحمن، مش بسألها.

إيناس وقد ابتسمت لأمها لتشعرها بالطمأنينة:

- أنا مش زهقانة يا، ماما ومرتاحة هنا.

ثريا:

- بجد؟

إيناس:

- أيوه بجد.

ثريا:

- بس إنتِ ما كنتيش عايزة تسافري.

إيناس:

- وسافرت.. ودلوقتي اتعودت، وبجد مرتاحة في المكان.










ثريا:

ـ بس هادي قوي.

إيناس:

ـ ما هو ده أحلى حاجة فيه.

عبد الرحمن وهو ينظر لثريا بلوم:

ـ خلاص إرتحتِ.. ممكن بقى نفطر في الجنينة الحلوة دي؟

إيناس:

ـ بس كده.. أنا ححضر الفطار حالاً.

ثريا:

ـ تحضري إيه!!.. أنا جايبه معايا الفطار.

إيناس:

ـ يا خبر يا ماما!!.. أنا عندي هنا كل حاجة، ما أنتِ عارفة مدام رقية ما بتسبنيش، وكل ما تجيب طلبات تسألني عايزة أيه وتجيب لي معاها.

ثريا:

ـ الست دي شكلها ذوق قوي.

إيناس:

ـ هي فعلاً كده.

ثريا:

ـ برده أنا جايبة الفطار.. بصي أنا سلقت بيض، بيض بلدي مش بيض السوبر ماركت.. ومعايا جبنة قريش، كمان وعجينة طعمية عاملاها بإيدي.





إيناس:

ـ يا خبر يا ماما!

ثريا:

ـ وأدي شوية أكل بقى بيتي بجد.. حطي في الفريزر يلا.. ودي حاجة الغدا حاطبخها ليكي النهارده.

إيناس:

ـ إيه يا ماما ده كله؟!

ثريا:

ـ أسكتي، إنتِ قاعدة بعيد ولا بتعرفي تاكلي ولا تشربي أنا عارفة.

ابتسمت إيناس لأمها فهي تعلم طباعها جيداً ، نعم إعتادت ثريا أن تهتم بكل صغيرة وكبيرة منذ صغرهم وهي تعمل بتفان من أجل إسعاد الجميع فتتحقق سعادتها بدورهافهي ببساطة أم مصرية

جلس عبد الرحمن على الطاولة الصغيرة منتظراً إيناس وأمها وطعام الإفطار، اشتم بأنفه رائحة الطعمية الساخنة التي جلبتها ثريا وقال في حماس زائد:

ـ ريحتها جميلة والأجمل الهواء النقي ده.

ثريا:

ـ هو الجو حلو فعلاً.. في دي عندك حق.

جلبت إيناس باقي الطعام وجلست معهما وعندها لاحظت ثريا الفيلا الأخرى الموازية لفيلا إيناس والحاجز الشجري الرفيع بين الحديقتين، نظرت ثريا نحو إبنتها وقالت:

ـ هو في حد ساكن هنا يا إيناس؟










إيناس:

ـ أيوه.. صاحب المزرعة.

ثريا:

ـ بس يا بنتي إنتِ كده تبقي مش بحريتك، ده الجنينة أكنها واحدة.

إيناس:

ـ ما هو أنا تقريباً مش بخرج الجنينة.

ثريا:

ـ وليه حبس الحرية ده؟ ما كنش في مكان تاني؟

إيناس:

ـ لأ ما فيش.. هما ٣ فلل بس هنا في مزرعة الجياد، والفيلا التانية المستقلة اللي فيها مدام رقية وبشمهندس حسن.

ثريا:

ـ وليه ما أخدتيش إنتِ المستقلة؟

إيناس:

ـ أنا ما اخترتش هما على طول جابوني هنا، ده غير إن ده مكان سكنهم من الأول ومستقرين فيه.

ثريا:

ـ آآآآآآآاااااااه

عبد الرحمن:

ـ مالك يا ثريا بس؟





ثريا:

ـ ما هو ما ينفعش يا عبد الرحمن، البنت برده قاعدة لوحدها.

إيناس:

ـ يا ماما.. اعتبري الجنينة دي مش موجودة أكنها شارع.

ثريا:

ـ وهو صاحب المزرعة ده راجل كبير ولا شاب صغير؟

إيناس وقد قطبت جبينها وبدا عليها الإنزعاج الشديد:

ـ وحتفرق في إيه؟

نظر عبد الرحمن لزوجته بلوم ثم توجه ببصره لإيناس وطلب منها بابتسامة:

ـ إيناس عايزة أشرب شاي من إيدك الحلوة.

تركتهما إيناس لإعداد الشاي، انسحبت بغضب، بصمت، إنزوت قليلاً بأحد الأركان وهربت عبرة ساخنة من بين أهدابها..

في تلك اللحظة شعرت بالوحدة، شعرت بالغضب، أيقنت أنها في النهاية ستكون مجرد أرملة..

نظر عبد الرحمن نحو زوجته في غضب وتابع:

ـ أنا عايز أفهم إنتِ بتدوري على أي سبب علشان ترجعيها البيت؟

ثريا:

ـ بص بقى أنا مش مرتاحة لقعدتها، لوحدها وكمان ما يصحش.

عبد الرحمن:

ـ ده مش كلامك يا ثريا.





ثريا:

ـ ده كلام العقل.

عبد الرحمن:

ـ عايزة تسمعي كلام العقل ولا تشوفيه؟

ثريا:

ـ مش فاهمة!

عبد الرحمن:

ـ بصي كده لوش بنتك.. فاكرة آخر مرة شفتِ ضحكتها كانت إمتى؟.. شايفة وشها رد إزاي.

ثريا:

ـ ما هو خلاص مدام بقت كويسة ترجع بقى.

عبد الرحمن:

ـ هو إنتِ فاكرها بتتعالج في مستشفى ده شغل، حياة جديدة ووجوه جديدة هو ده علاجها يا هانم.

ثريا:

ـ أنا بس بقول..

عبد الرحمن مقاطعاً:

ـ لا تقولي ولا تعيدي.. أنا زيك وأكثر، عايز بنتي قدام عيني، لكن بشغل عقلي مش قلبي بس.

ثريا:







ـ أنا خايفة عليها.

عبد الرحمن:

ـ وأنا زيك، بس أنا عارف بنتي وعارف أخلاقها، ولا إيه؟

ثريا:

ـ يا سلام طيب ما أنا كمان عارفة أخلاق بنتي كويس.

عبد الرحمن:

ـ يبقى ما لوش لزوم الكلام ده.. ومن الآخر بقى ما تسلميش ودانك لأيمن كتير، فاهماني؟.. وإياكِ تفتحي معاها الموضوع السخيف اللي كلمك فيه إمبارح.

ثريا:

ـ مش حافتحه.. بس مش معنى كده إنه موضوع سخيف.

عبد الرحمن:

ـ لأ سخيف.. ومش وقته، جواز ايه وعريس ايه اللي جايبه ليها!!.. ده لسه ما فاتش على موت جوزها ٧ شهور!

ثريا:

ـ وهي حتتجوز بكره يا عبد الرحمن.. والعريس اللي قال عليه ده بيشتغل معاه وعلى بال ما ينزل أجازة حيكون فات يجي سنة.

عبد الرحمن:

ـ يعني إنتِ موافقة على العريس بقى؟

ثريا:

ـ لأ مش موافقة طبعاً.. ومش حاجوز بنتي لواحد معاه عيال، لكن برده ما هي مسيرها للجواز يا أبو أيمن.. ولا حتعيش كده لوحدها طول العمر؟









عبد الرحمن:

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله.. مش دلوقتي، ومش كده.. البنت لسه بتقول يا هادي.. يا دوبك بدأت تشم نفسها.. بلاش ضغط عصبي عليها بقى وكلام ما لوش لازمة.. ولا عايزاها ترجع تتنكس تاني؟

ثريا:

ـ بعد الشر.

عبد الرحمن:

ـ ما هو لو فتحتِ سيرة الجواز دلوقتي ما حدش عارف رد فعلها حيكون إيه، وممكن ترجع زي الأول وأسوأ وتعاند إيه رأيك بقى؟

ثريا:

ـ خلاص مش حاتكلم، ارتحت؟

عبد الرحمن:

ـ أيوه.. يُفضل تسكتِ خالص.. البنت جاية.

اقتربت إيناس ووضعة صينية الشاي وجلست شاردة، لم تتحدث وزالت عنها نبرة المرح التي استقبلتهما بها..

حاولت ثريا أن تتحدث، ولكن عبد الرحمن رمقها بنظرة حادة لكي تلتزم الصمت وهكذا احتسوا الشاي في جو من الهدوء الحذر، ثم اتجهوا للداخل وقررت ثريا التوجه للمطبخ لتحضير طعام الغذاء..

وتوجه عبد الرحمن لغرفة إيناس لإجراء محادثة سريعة..

****

وفي الحديقة كان هناك من يجلس بأحد الأركان المنزوية بحديقته..





شاءت المصادفة أن يستمع لكل شيء..

ابتسم بسخرية كعادته..

إيناس الملاك البرئ، ربما بنظر الجميع..

عزيزتي لن تتحملين ثوب العفة كثيراً، بل ستخلعينه سريعاً قبل أن يقضي عليكِ ويقتل أنفاس الحياة بداخلكِ..

ستتوقين في النهاية لقلب حقيقي يحتضن أحلامك بشغف فأنتِ في النهاية مجرد امرأة!

****

نظر عبد الرحمن لإبنته بتفحص وقبل أن يتحدث بادرته بقولها:

ـ بابا.. أنا ممكن أرجع البيت، إنت عارف أنا ما سعتش لا لسفر ولا لشغل.

عبد الرحمن:

ـ وهو الشغل عيب؟

إيناس:

ـ لأ.. بس ماما واضح إنها مش مرتاحة، وأنا..

عبد الرحمن:

ـ سيبك من ماما.. هي بس بتتلكك علشان إنتِ بتوحشيها، ولا إنتِ كمان بتتلككي زيها وعايزة ترجعي؟

إيناس:

ـ لأ.. أبداً.

عبد الرحمن:





- خلاص.. يبقى نقفل الموضوع ده وتعملي لبابا فنجان قهوة مظبوط وتحكي لي عاملة إيه مع الخيل.

ابتسمت وبدا على وجهها الراحة وقالت:

- حاضر.. ثواني وحاجيبه لحضرتك.

وامضت بعدها إيناس الوقت برفقة والدها الذي جعل محور حديثهما حول عملها والخيل.. وفقط..

كانت ثريا تقف بالمطبخ عندما سمعت جرس الباب، نظرت نحو إيناس متسائلة:

- حد جايلك؟

إيناس:

- دي أكيد مدام رقية.

وبالفعل دخلت رقية بمرحها المعتاد وألقت التحية على الجميع، اقتربت منها ثريا مرحبة:

- مدام رقية.. إيناس كلمتني عنك كتير.

رقية:

- المزرعة نورت النهارده.

ثريا:

- الله يخليكي، منورة بيكم.

رقية:

- وإيه رأيك في المكان؟

ثريا:







ـ جميل بس ساكت قوي وفاضي.

رقية:

ـ هو مش فاضي قوي، بس أصل أغلب العمال ومدربين الخيل سكنهم بعيد عننا.. وكده أحسن أصل كلهم رجالة.

ثريا:

ـ بس هنا ٣ فلل بس؟

رقية:

ـ أيوه أنا وجوزي.. وصاحب المزرعة، ودكتورتنا العسل دي لازم تكون في وسطينا علشان ناخد بالنا منها.

ثريا:

ـ الله يخليكي ويطمنك.

رقية:

ـ خلاص.. إنتم بكرة أن شاء الله حتتغدوا عندي.

ثريا:

ـ الله يخليكي.. بس معلش مش حينفع.

رقية:

ـ إيه يا ست ثريا إنتِ طالعة لبنتك ولا إيه!

ثريا:

ـ لا والله.. اصلنا حنمشي بالليل.

رقية:








- ايه؟؟.. ليه بسرعة كده إيه يا إيناس.

إيناس:

- للأسف مصممين.

ثريا:

- مصطفى إبني لوحده، وعنده إمتحانات مش حينفع أسيبه، هو يوم واحد بالعافية.

رقية:

- ما لحقتوش.

ثريا:

- معلش.. والأجازة الجاية إيناس تنزل بقى وحضرتك تيجي تنورينا.

إيناس:

- ربنا يسهل.

ثريا موجهة حديثاً حاداً لإبنتها:

- ما فيش أعذار.. أنا فوتها لك المرة دي، المرة الجاية تنزلي أجازتك.

رقية وقد تفهمت خوف ثريا وقلقها على إبنتها:

- تعرفي يا ست ثريا أنا برده بقيت أقعد هنا على طول.. اتعودت على المكان، مش عايزاكي تقلقي على إيناس.. أنا تقريباً مش بنزل مصر، ده بيتي وقاعدة هنا على طول.

ثريا:

- بس برده بيتك في مصر مش بيوحشك؟





رقية:

- هنا بيتي والمكان اللي برتاح فيه.. يلا أسيبكم بقى براحتكم.

ثريا:

- رايحة فين؟.. لسه بدري.

رقية:

- بدري من عمرك يا ست الكل، سلام يا أنوس.

إيناس:

- مع السلامة.. حاكلمك في التليفون بالليل.

نظرت ثريا لإيناس بعد رحيل رقية وقالت:

- طيبة قوي الست دي.

إيناس:

- فعلاً.. طيبة قوي.

رقية أو كما يلقبها حمزة روكاااا..

الشعور بالذنب تملك من إيناس لأنها كانت تتعمد التباعد عنها في البداية، ولكنها اكتشفت مع مرور الوقت قلب رقية الطيب وصحبتها الممتعة، فأصبحت رقية ونيسها الوحيد المسموح له إختراق عزلتها، العزلة التي بدأت تتبدد مع الوقت، تنقشع كعتمة ليلة مظلمة بعد أن يجتاحها ضوء الشمس دون هوادة..

ربما لن تصمد عزلتها..

بل ربما تتراجع مهزومة أمام ضوء الحياة فتصبح مجرد ذكرى.









الفصل الرابع عشر:

انتهت زيارة عبد الرحمن وثريا لإيناس بالمزرعة، على قدر حنينها إليهما وافتقادها لصحبتهما إلا أنها شعرت بالراحة عندما انفردت بنفسها وتقوقعت داخل عزلتها مرة أخرى..

كان الباب يدق بإلحاح، نظرت للساعة فوجدتها قد قاربت على السادسة مساءً ولمحت أكثر من ست مكالمات على هاتفها الجوال..

منذ أمس وهي غارقة دون وعي مع ذكريات زوجها الراحل وكأنها تؤكد لنفسها قبل الجميع أنها مبحرة في ذكرى شريف حتى الغرق ولا شيء غير ذلك..

مازال الباب يدق بإلحاح..

قامت متكاسلة لتجد رقية والقلق بادياً بقوة على ملامحها، وضعت يدها على صدرها ونظرت نحو إيناس بغضب وتابعت:

ـ وقعتِ قلبي وخضتيني عليكِ.

إيناس بتلعثم وهي تغلق الروب الطويل الذي ارتدته مسرعة قبل أن تفتح الباب:

ـ مدام رقية.. خير؟!

رقية:

ـ كل خير يا حبيبتي، بكلمك من الصبح تليفونك مش بيرد، وكمان بخبط وغيبتِ على بال ما فتحتِ.. قلقت جداً.. طبعاً كان خلاص قدامي شوية وأنادي على خالد يكسر الباب.

إيناس:



ـ معلش.. أصل الموبايل كان جرسه مقفول من امبارح وأنا ما أخدتش بالي.

رقية:

ـ واضح إني صحيتك من النوم.

إيناس:

ـ لا عادي.

رقية:

ـ عموماً مش حامشي وأسيبك تنامي براحتك والكلام ده.. يلا قومي إلبسي.

إيناس بدهشة:

ـ ألبس!!!

رقية:

ـ أيوه.. حنخرج.

إيناس:

ـ نخرج نروح فين؟

رقية:

ـ عيد ميلاد يلا بقى!

إيناس:

ـ طيب أفهم بس.. عيد ميلاد مين؟

رقية:

ـ عيد ميلاد حبيبي. ارتحتِ.









نظرت نحوها إيناس بدهشة وابتسمت:

ـ هو إنتِ عاملة عيد ميلاد للبشمهندس حسن؟

ضحكت رقية بشدة، ضحكت حتى تبدلت ضحكتها بابتسامة تحمل في طياتها الألم، تابعت بنبرة تصتنع المرح:

ـ حسن سافر مصر الصبح.. ومش حيرجع إلا بكرة بالليل.

إيناس:

ـ طيب ليه ما سافرتيش تغيري جو؟

رقية:

ـ هو أنا يا بت مش قلت ليكي مكاني هنا وبيتي هنا.. هو وراه مشاغل حيقضيها ويرجع ويلا بقى ما تعطلنيش.

إيناس:

ـ طيب احنا رايحيين عيد ميلاد مين؟

رقية:

ـ عارفاكي حتتعبيني، عيد ميلاد عمر حبيبي.

إيناس وقد ابتسمت وعقدت حاجبيها في محاولة للفهم:

ـ اللي هو يبقى مين؟

رقية:

ـ ده يا ستي يبقى أجمل طفل في الدنيا.. حبيب قلبي تم سنة.. أصل عمر ده اتولد على إيدي.. على فكرة مامته نفسها تتعرف عليكي وشددت عليا اعزمك على عيد الميلاد.

إيناس:








ـ وهي تعرفني؟

رقية:

ـ ما هو أنا أصلي رغاية وحكيت ليها عنك.. نرمين مهندسة زراعية وشغالة هي وجوزها في الجزء التاني من المزرعة.. الجزء الطبيعي والأكثر مرحاً يا حبيبتي.. وما فيش اعتذار، أنا بصراحة مش عايزة أخرج لوحدى.

إيناس:

ـ خلاص.. حاجهز نفسي مع إني ما ليش في جو الحفلات ده.

رقية:

ـ السواق مستنينا، نص ساعة وتكوني في العربية.. فاهمة؟

إيناس:

ـ فاهمة.

صعدت إيناس لغرفتها، بدلت ملابسها وكعادتها اختارت زياً بسيطاً مكوناً من فستاناً أنيقاً بلون رمادي فاتح وارتدت فوقه سترة قصيرة من خامة الجينز، صففت شعرها سريعاً وتركته مسترسلاً خلف ظهرها ثم سحبت حقيبتها على عجل وتوجهت للسيارة حيث تنتظرها ثريا، نظرت ثريا لإيناس بإعجاب وقالت:

ـ إيه الحلاوة دي!

إيناس:

ـ آه.. يعني أرجع أغير هدومي، شكلي ملفت ولا إيه؟

رقية:

ـ حبيبتي.. حلاوتك في بساطتك، ويلا العربية حتتحرك اتأخرنا.

إيناس:








- بس دلوقتي أنا لازم أجيب هدية، حجيب منين؟!

رقية:

- اتفضلي يا ستي.. دي هدية بسيطة عليها اسمك، عملت حسابك طبعاً معايا.

إيناس:

- يا خبر!.. طيب حسابها بقى؟

رقية:

- الحساب يوم الحساب.

إيناس:

- لأ مش حينفع.

رقية:

- خلاص يا ستي نتحاسب بعدين، الدنيا مش حتطير.. اطلع يا عم فاروق.

وهكذا انطلقت بهما السيارة ربما نحو عالم آخر، أناس وأشخاص جدد تلتقي بهم إيناس في عالمها الجديد..

فالبشر أنواع..

نوع تسمح له بالدخول لعالمك، ونوع تقذف به خارجه دون تردد، ونوع آخر يقتحم عالمك رغماً عنك ودون إستئذان..

كانت تلك هي المرة الأولى التي تسلك فيها إيناس الطريق نحو المزرعة الأخرى، بعد حوالي أربع كيلو مترات من الظلام بدأت تظهر بوادر هذا العالم الآخر، لم تكن بنفس رونق مزرعة الخيل على الرغم من أن مساحتها أكبر بكثير ربما الضعف أو أكثر..







أراضي زراعية بمساحات شاسعة وقد زرعت بمختلف أنواع الفاكهة والخضروات..

نظرت ثريا نحو إيناس وقالت:

- على فكرة بيزرعوا هنا فاكهة حلوة قوي، وبجد خالد عنده ضمير مش شغل هرمونات وكيماوي مضر.. بجد حاجة تشرف.

إيناس:

- هو صحيح الدنيا ضلمة فأنا مش شايفة قوي، بس واضح إن في تنظيم واهتمام بكل حاجة.

رقية:

- أصل خالد والده كان عنده أراضي زراعية كتير.. يعني هما في الموضوع ده من زمان، بس هو باع كل حاجة وجه اشترى الأرض هنا وعمل المزرعة دي.. ده كان حلم كبير عنده.

إيناس:

- جميل إن الواحد يحلم ويحقق حلمه.

رقية:

- وإنتِ يا إيناس يا ترى إيه حلمك؟

نظرت نحوها وصمتت قليلاً فقد بادرتها رقية حقاً بسؤال صعب.. اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول:

- بس أنا ما عنديش حلم.

رقية وقد شعرت بالحزن لرؤية دموع إيناس:

- معقول ما عندكيش حلم!!





إيناس:

- كان.. كان زمان عندي أحلام مش حلم واحد، بس دلوقتي خلاص.

أخذت رقية نفساً عميقاً ثم توجهت ببصرها للسائق وقالت بنبرة ثابتة: - فاروق.. ارجع تاني عن الأراضي لو سمحت.

إيناس:

- ليه حنروح فين؟

رقية وقد بدت عبراتها هي الأخرى ولكنها تغلبت عليها بابتسامة كاذبة: - حوريكي حلمي!

عادت السيارة مرة أخرى وتوقفت بإشارة من رقية التي خرجت على الفور من السيارة وفتحت ذراعيها وكأنها تسعى لملئ رئتيها بكل نسمات الهواء المتاحة أمامها..

تبعتها إيناس في دهشة وتوجهت نحوها قائلة:

- هو إحنا نزلنا ليه؟

رقية:

- شايفة الأرض دي؟

إيناس:

- اللي قدامنا دي؟

رقية:

- دي بتاعتي أنا وحسن.

إيناس:

- أرضكم؟



رقية:

ـ حلمنا.. كنا ناويين لما نخلف نكتبها باسم إبننا.. ده كان إقتراح من خالد، باع لحسن النص فدان ده.. حتى خلانا نقسط تمنه، وقاله لما تجيب ولد اكتبها باسمه.. خليها فال خير، بس زيي ما أنتِ شايفة الأرض لسه بتاعتي أنا وحسن.

إيناس وقد بدا عليه الحزن، لطالما شعرت بألم رقية ولكن لم يتحدثا من قبل بهذا الشأن، خرجت الكلمات متلعثمة من حلقها وهي تقول:

ـ أنا.. مش عارفة أقول إيه.

كانت رقية تنظر للأفق بعبرات متحجرة، استدارت نحو إيناس وأمسكت بيدها وتابعت:

ـ أنا اللي حقول يا إيناس، حقولك إن أنا كان حلمي طفل.. ابن أو بنت ينور دنيتي زي كل الستات، ولما اتجوزت حسن طلب مني نأجل الخلفة... كنا في أمريكا وكان بيشتغل وبيدرس والدخل كان على القد وسمعت الكلام وأخدت موانع.. خمس سنين وأنا ببلبع في حبوب علشان ما اخلفش، ولما آن الآوان وحبيت أحقق حلمي ما عرفتش.

هربت عبراتها رغماً عنها، تابعت رقية وهي تحاول التحكم في المطر الأسود المنهمر من عينيها:

ـ طبعاً رحت لدكتور واتنين.. وكورس علاج ورا التاني علشان نصلح الضرر اللي عملته الموانع، بس زي ما أنتِ شايفة زي ما يكون ما فيش أمل... بقى لي خمس سنين بتعالج لغاية ما زهقت وبطلت أحلم.

شعرت إيناس بالآسى من أجل رقية.. ربتت على يديها محاولة أن تواسيها..

نظرت رقية للأفق مرة أخرى وتابعت:

ـ إيناس.. جايز دلوقتي ما عندكيش حلم، وجايز عايشة في حلم قديم.. بس نصيحة لما تعرفي حلمك ما تسيبهوش.. إمسكي فيه بإيدك وسنانك.. حققيه..








علشان ما تندميش بعد كده.. علشان ما تبقيش زيي يا إيناس.. صدقيني الوحدة وحشة قوي عاملة زي الضلمة بتحسي إنك مش شايفة حاجة.. حتى نفسك.

إيناس:

ـ إنتِ شايلة هم كبير قوي.. بس ليه اليأس، ده ربنا كبير.

رقية:

ـ ونعم بالله.

إيناس:

ـ ممكن بقى تمسحى دموعك دي فوراً.

رقية:

ـ تصدقي إحنا ستات نكد.. بدل ما نروح عيد الميلاد ننبسط قاعدين نعيط.. زمان السواق بيقول علينا مجانين!

ضحكت إيناس وما زالت العبرات بعينيها وأمسكت بيد رقية وإتجها معاً نحو السيارة، فرقية مثلها تماماً تكتوي بنار الفراق ربما يكون فراقاً من نوع آخر، ولكنها بالتأكيد تشعر بالألم الراقد بين ضلوعها وتقدره.

****

ألقت رقية النظر مرة أخيرة على عينيها قبل أن يغادرا السيارة وقالت مصطنعة المرح:

ـ ده جزاء اللي يحط كحل ويعيط!!.. بس اعمل أصل أنا قديمة شوية ما اعرفش أنزل من البيت من غير كحل.

إيناس وقد ابتسمت لها في حنان:

ـ خلاص ما تقلقيش ما فيش حاجة باينة.







رقية:

ـ طيب نطلع بقى علشان اتأخرنا عليهم.

كانت بناية تتكون من أربع أدوار، ولكنها بناية عريضة فكل دور يحتوي على ست شقق..

أخبرتها رقية أن هذا مقر سكن الموظفين بالمزرعة، وأن هناك بنايات أخرى لسكن العمال على الجانب الآخر..

نظرت إيناس للبناية بإعجاب فقد صممت بإبداع وتزين مدخلها بأنواع مختلفة من شتلات الزهور والنباتات..

ضحكت رقية عندما لاحظت إعجاب إيناس بمدخل البناية وقالت:

ـ العمارة نصها تقريباً مهندسين زراعيين..عايزة مدخلها يبقى عامل إزاي!

إيناس:

ـ صح عندك حق.

رقية:

ـ إحنا حنطلع السطح.. أصل هنا الشقق صغيرة، بس هما موضبين السطح ومخلينه قعدة ظريفة لإن ده يعتبر النادي بتاعهم اللي بيتجمعوا فيه.

إيناس:

ـ فكرة حلوة وعملية كمان.

وصلت رقية وإيناس للحفل، كان السطح لا يختلف كثيراً عن مدخل البناية، فالأرضية مبلطة برخام أنيق وتزينت جميع الأركان بالنباتات المتسلقة وشتلات الورود المتعددة، وقد وُضعت بعض الكراسي المعدنية والطاولات بتصميم بسيط في مختلف جوانبه..








ولاحظت وجود طاولة أكبر حجماً في المنتصف وقد تزينت بمختلف أنواع الأطعمة والمشروبات..

تقدمت منهما فتاة صغيرة الحجم بابتسامة واسعة..

كانت ترتدي حجاباً بسيطاً وقد عقدته بحرفية خلف رقبتها، لها ملامح رقيقة وبشرة عاجية ملساء، أظهرت جمالها بأحمر شفاه من اللون الغامق.. نظرت نيرمين لرقية بلوم وقالت:

ـ كده التأخير ده كله..

رقية:

ـ معلش يا حبيبتي.

نيرمين وهي تنظر لإيناس مرحبة:

ـ نورتيني.. إنتِ إيناس صح؟

إيناس:

ـ أيوه.

نيرمين:

ـ وأنا يا ستي نيرمين.. مامت عمر صاحب الليلة دي.

إيناس:

ـ كل سنة وهو طيب.

نيرمين:

ـ وإنتِ طيبة يا قمر.. وتاعبة نفسك ليه بس.

قالتها بعد أن قدمت لها إيناس الهدية ثم تابعت:





- بس فعلا زي ما رقية وصفتك بالضبط.. رقة وأخلاق ما فيش كده.

إيناس:

- ربنا يخليكي.

نيرمين:

- طيب يلا علشان أعرفك على بقية المجموعة، ما تتخضيش من الزحمة هما كلهم لذاذ خالص.

جذبت نيرمين إيناس من ذراعها برقة وتوجهت بها نحو بقية الضيوف، أما رقية فقد تركتهم بعد أن ألقت التحية على البعض وتوجهت لقضاء بعض الوقت المنفرد مع عمر..

قدمتها نيرمين للجميع وعرفتها بهم أيضاً..

كان هناك يوسف زوج نيرمين شاب يبدو في الثلاثين من عمره له بشرة سمراء ووجه يبعث نحوك دون أن تشعر برسائل من الطمأنينة والراحة مثل زوجته تماماً..

وهناك دينا وهي خريجة كلية الآداب وتقيم مع زوجها بالمزرعة وقررت شغل فراغها بإفتتاح حضانة صباحية للأطفال أمثال عمر..

لاحظت أن الجميع يعمل حتى وإن لم يكن له تخصص يناسب العمل هنا..

علمت من نيرمين أن خالد يحاول أن يجعل من المزرعة مجتمع سكني صغير يوفر كل متطلباتهم، ولكن المشكلة التي ربما ستواجههم مستقبلاً هي مدارس الأطفال حيث تقع أقرب مدرسة جيدة على بعد ساعة..

قطع حديثهم حدوث حالة من المرج عند دخول أحدهم المكان، إلتف الجميع حول حمزة الذي كان يبدو عليه الإجهاد الشديد..

كان يبدو بنفس الهيئة التي رأته فيها المرة السابقة خاصة قبعته المميزة وإن كان استبدل لونها حسب ملابسه..









تقدم منهم حمزة مبتسماً وكانت وقتها تجلس مع نيرمين وداليا..

حمزة:

ـ إيه ده مش ممكن!.. منورة يا دكتورة يا إيناس.

نيرمين:

ـ إيه ده إنتم تعرفوا بعض؟

إيناس:

ـ أيوه.. أنا شفت البشمهندس عند مدام رقية.

نيرمين:

ـ امممممم.. إتأخرت ليه؟.. عمر حيزعل منك.

كاد حمزة أن يهم بالإجابة ولكن فاجئته يد صغيرة بسحب قبعته، كانت رقية تحمل عمر واقتربت من حمزة بغرض إغاظته..

إستدار حمزة لهم وهو يحسن من خصلات شعره الناعمة التي تطايرت على جبينه بفعل طولها وجذب الصغير ورفعه برفق وقال:

ـ كده يا عمر طيرت القُصة!

ضحكت رقية وهي تجلس بجانب إيناس وتابعت:

ـ عارف يا حمزة لما تقص شعرك أنا حادبح بطة!

حمزة:

ـ ياااااااااااه.. كده حتقعدوا كتير قوي ما تاكلوش بط!!

رقية:

ـ بقى كده.. ماشي.. واتأخرت ليه يا أستاذ؟.. شكلك لسه صاحي من النوم.









حمزة:

ـ جوزك السبب يا أبلة.. مش عايز يسوق، خلاني وصلته الصبح واخدت السكة صد رد.. وكمان بكرة حاروح أجيبه.. أهو ده عيب إن مديرك يبقى قريبك!

ابتسمت رقية بسخرية عند سماع عبارته وأخذت عمر من حمزة الذي جلس بهيئة القرفصاء بجانب كرسي إيناس..

ثم تابع وهو يوجه حديثه نحوها:

ـ والله مش ميزة يا دكتورة إيناس، بالعكس ده بيستغلني آخر حاجة

رقية:

ـ حقوله.

حمزة:

ـ بس هو راجل طيب بصراحة.. وبرده بيقولوا الخال والد!

نظرت نيرمين لحمزة بخبث ثم قالت:

ـ طيب روح أقعد قعدة مريحة ولا هات كرسي.

حمزة:

ـ لاااااااااااااا.. أنا حاروح لجوزك، ويلا بقى فين التورتة؟

نيرمين:

ـ حالاً.. بس وعد حتغني.

حمزة:

ـ خلاص بلاش فضايح!

نيرمين:



ـ ما ليش دعوة إنت وعدتنا.

حمزة:

ـ خلاص.. أهو على الأقل أعرف رأي جديد لصوتي.

كان موجهاً كلماته لإيناس التي ردت عليه بابتسامة وإيماءة بسيطة، ثم ظلت تراقب رقية ومداعبتها للصغير.. كانت تبدو وكأنها بعالم آخر تمسك بأقدامه الصغيرة فتلتهمها بفمها في مرح، ثم تطبع قبلة رقيقة على يديه، وتُبدل ملامحها ربما كل أربع ثوانٍ من أجل إضحاكه..

ظلت إيناس جالسة أغلب الوقت مع رقية، لم تختلط بالجموع وبعد أن أطفأوا الشمعة الواحدة المعبرة عن مرور أول عام بعمر الصغير وبعد تناول الطعام طلبت نيرمين من حمزة بصوت عالٍ أن يبدأ بالغناء..

أمسك حمزة بجيتاره وإلتف الجميع حوله..

شعرت إيناس أنها بعالم مختلف، علاقات مجتمعية مترابطة ربما لم تتأثر بعد بصخيب الزحام وضوضاء المدينة، صوت هادئ لا يصاحبه سوى موسيقى الجيتار خاصته ربما بعيداً كل البعد عن ثقافة إمتزاج الأصوات التي أصبح يعاني منها المجتمع ككل فأصبحنا لا نفسر أغلب ما نستمع إليه وأجمل ما إلتقطته أذناها تلك الكلمات التي يغنيها حمزة..

شعرت أنها تخترقها بل تقرأها.. بل ربما تقرأ الجميع..

أنا مش فارس ولا فتى أحلام..
انا زحمة وربكة وشغل جنان..

نص بيضحك والتاني زعلان..
أنا شيخ فلتان..






طيب شرير..
وجريء وجبان..
أوقات مشرق.. وأوقات بهتان..

وساعات سلم ساعات تعبان..
مفتري جداً..
وكمان غلبان..

شبابيك وببان..
توهة عنوان..

أنا من الآخر عفريت لابس بدلة إنسان...

"ملحوظة الأغنية لفريق بلاك تيما"

مازالت الكلمات بأذنها وكأنها تصف حالها، حال رقية التي أصابتها حالة من الشرود بعد إنتهاء الحفل وكأن الدقائق القليلة التي تقضيها مع عمر توقظ داخلها مشاعر الأمومة، الفطرة التي تولد بها كل امرأة، وربما تصف حاله هو أيضاً، كان خالد يقف مع السائق لحظة خروجهما من البناية.. رمقها بنظرته الحادة كعادته، وكعادته أيضاً أصدر الأوامر للجميع فأمر السائق بالعودة وحيداً بالسيارة وأخبرهما أنه سيوصلهما بسيارته في طريق العودة..

نظرت له رقية بعد أن إستقرت في المقعد المجاور له:

ـ كنت نورتنا في الحفلة يا بشمهندس.

أجابها دون اكتراث وهو يغير وضعية مرآة السيارة:

ـ إنتِ عارفة ما ليش في جو الحفلات والتجمعات ده.. أنا كان عندي





سهرة مع بتوع الحسابات.

جلست إيناس في المقعد الخلفي وعادت رقية لشرودها..

كان خالد يتابعها بعينيه عدّل مرآته ليراها جيداً، بل أطال النظر نحوها على أمل أن تلتقي نظراتهما عبر المرآة!!..

لا يعلم ماذا يصيبه أمام ملامحها الهادئة، أهدابها الطويلة تطلق العنان لخياله كما انطلقت نسمات الهوء الباردة فعبثت بخصلات شعرها النائم فأيقظته من سباته، ولكن لم توقظها هي من شرودها..

كانت تبدو وكأنها في عالم آخر، أغمضت عينيها وأشعلت النسمات الباردة ذكرى مدفونة داخل عقلها، كانت تستمع بتلك النسمات ليلاً في شرفتها، عندما كان شريف يحضر لها المثلجات بنكهتها المفضلة، بل إنها تكاد تشعر بطعم المانجو المثلج على شفتيها ولا تشعر بسوى ذلك، بل لا تريد أن تشعر بسواه..

تتمنى أن يتوقف العالم عند تلك اللحظة غير عابئة بالحاضر الذي يراقبها بشغف!

أحلام اليقظة..

تلك الحالة الفريدة من الشرود، من العزلة، من الخيال، حيث لا قيود لإشباع رغباتك..

ولكن مهلاً..

هي مجرد أحلام..

إما أن تجتاحك وإما أن تجتاحها..

وربما يكون هذا هو الفرق بين الخضوع والمثابرة...





الفصل الخامس عشر:

كانت إيناس في البداية تخشى الإقتراب من الخيل، بل وتتجنب التعامل المباشر معهم، ولكن مع مرور الأيام اكتسبت شجاعتها المفقودة، بدأت تستكشف تلك الكائنات الجميلة عن قرب، والبداية كانت مع سهيلة، تلك الفرسة الناعمة كالثلج وكأن اسمها من صفتها، فكان لها لوناً ثلجياً مميزاً، فجسدها يبدو كمزيج سحري من اللبن والفضة، مزيج رائع يسلب اللب ويأسر الكيان في لحظات خاصةً عندما تلمح خصلاتها المنسدلة التي تبدو كخيوط رقيقة من الألماس..

كانت سهيلة فرسة هادئة الطبع مما شجع إيناس على الإقتراب منها والتعامل السلس معها فكانت نقطة البداية مع سهيلة، وأول إبرة علاج أعطتها إيناس للخيل بيديها كانت لسهيلة، أول من إلتهم قطع السكر من يديها كانت سهيلة..

وكعادتها كل صباح اتجهت للإسطبلات ولكنها الآن أصبحت تقضي وقتاً أطول وخاصة مع فرستها المفضلة المطعمة بلون السلام..

كانت بالغرفة تتحسس خصلاتها الماسية بيديها وتقدم لها بعضاً من السكر وكأنها تشيد جسراً من التآلف الحلو المذاق بينهما، لحظات ثمينة قطعها صوت صهيل قوي بل خائف، خرجت من الغرفة مسرعة وعندها وجدت أحد العمال يحاول سحب رعد بقوة خارج الإسطبل..

رعد...

الجواد الثائر..

النقيض لسهيلة ربما في كل شيء...

الثورة والهدوء...

الأسود والأبيض..





الخوف والإطمئنان..

الحرب والسلام..

نعم.. فثورة رعد نابعة من خوف حقيقي، خوف من الظلام الحالك المحيط به، خوف من المجهول الذي يتقدم نحوه رغماً عنه..

نظرت إيناس للسائس بغضب وقالت:

- إيه!!.. في إيه؟

السائس:

- معصلج يا دكتورة.. مش راضي يطلع.. وإحنا المفروض كل يوم نطلعه نمشيه الصبح ونرجعه تاني.

إيناس:

- طيب.. إشمعنه النهارده؟

السائس:

- لا.. هو كده.. أوقات يطلع معانا، وأوقات يرفض ونضطر نطلعه بالقوة.

شعرت إيناس بالأسى من أجل الفرس المسكين، فالسائس يصر على اخراجه والفرس متشبث بالأرض وكأنه طفل يخشى التعثر..

اقتربت إيناس من السائس وفي حركة غير متوقعة سحبت منه السير المتصل باللجام، لفت الحزام بثقة حول يديها وتابعت:

- هو إنت أول مرة تتعامل معاه ولا إيه؟!... مش بالعنف ده.. بالراحة.

السائس بجدال:

- يا دكتورة زيه زي بقية الخيل محتاج شدة.

إيناس وقد شعرت بعدم جدوى النقاش معه:







- فين دسوقي؟

السائس:

- دسوقي، خالد بيه بعته مشوار، وعلشان كده خلاني أنا اللي أطلع رعد.

إيناس:

- امممممم.. طيب روح إنت شوف شغلك وسيبلي رعد.

السائس بدهشة:

- حاضر يا دكتورة.

تركها السائس وحيدة بالإسطبل مع الحصان، كانت تشعر أن دقات قلبها كطبول الحرب..

ماذا تفعل الآن مع هذا الثائر الخائف؟.. وما تلك الورطة التي أقحمت نفسها بداخلها؟..

حاولت أن تسحب السير بهدوء حتى تعيده للغرفة خاصته، ولكن الحصان رفض أن يتحرك معها بل كاد أن يثور ويمتد صهيله لأقصى الكون عندما زادت من قوتها لتسحبه.. شعرت باليأس..

صمتت قليلاً ثم مدت يديها المرتعشة في محاولة للتربيت على رأسه، تخللت أناملها الرقيقة بحذر خصلاته السوداء الناعمة، كانت تنتفض رعباً من داخلها، عجيب هذا الفرس تستطيع أن تعشقه وترهبه بنفس اللحظة!!.. بعث هدوء رعد في نفسها بعض الطمأنينة مما جعلها تسترجع بعض ما قرأت عن فن التعامل مع الخيل، خطوة أخرى قد تمكنها من ترويض هذا الجواد الغاضب، ولكنها تخشى تنفيذها.. كلما حاولت الإقتراب منه من أجل أن تكسب وده ببعض الهمسات تتراجع سريعاً خاصةً أنها تلمح الخوف المتجسد بوجهه، وكأنه مرض فينتقل إليها بمجرد النظر إليه..







تقرر تركه ثم تتراجع عندما تشعر بالشفقة من أجله، فالظلام خانق كالموت ولن يبدد كآبته سوى نسمات الهواء فتلك النسمات هي عطر الحياة الذي يخترق صدرك في ثوانٍ معدودة فيجدد الأمل بداخلك من جديد وأنت حقاً تحتاج لتلك النسمات أيها المسكين فأنت غاضب مسكين..

وكأن الجنون لحظة وأي فعل مجنون ستقدم عليه، جذبت قطعة من الشاش الطبي الذي تحتفظ به في حقيبتها، غطت عينيها لتزيح وجهه الغاضب عن بصرها، أحكمت الرباط حول رأسها، تكاد تكون مثله الآن، ترى ظلامه، تشعر بإحساسه وتتفهم خوفه..

اقتربت بجرأة وبدأت تبث همساتها في أذنيه وهي تُمَلس برقة على وجهه، وكأنها همسات من السحر.. وكأن الطبيعة تأبى العجز فتعوض فاقد بصره بقدرة فائقة على السمع فهمساتها الصامتة المرتجفة لها فعل السحر على الجواد الغاضب.. وكأن جسور الثقة تنشأ في لحظات، لحظات من الصدق واستجاب الحصان لها في النهاية وبكل بسلاسة ويسر خرج معها من الإسطبل.

****

خلعت رباط عينيها سريعاً وكأنها تسعى لإخفاء وصفتها السحرية، ربما السر الذي ستحتفظ به مع رعد، همست بإذنه مرة أخرى:

ـ خلي ده سر بيني وبينك.

ووسط دهشة العمال سحبت الجواد بثقة ليستمتع ببعض التريض في الهواء الطلق وللحظات شعرت بسعادة ليس لها مثيل، شعرت بسعادته...

لم يصدق خالد عينيه عندما لمح خطواتها هي ورعد، كانت تمسك السير برقة وتسحبه بهدوء والفرس خلفها طائعاً...

خصلاتها البندقية تتطاير بفعل الرياح، خصلات ثائرة وابتسامة ساحرة، ابتسامة قد تروض أقسى القلوب، تذيب الجليد عنها وتخترق حاجزها الحجري بخبث..





سيطرت عليه حالة من الغضب أم ربما هي الغيرة!!.. فهو وحده من يستطيع ترويض رعد..

رعد أيها الأحمق هل طوعتك الأنثى بدهائها في لحظات!

اقترب منها وقد بدا غاضباً:

ـ إنتِ طلعتِ رعد إزاي؟

كان قريباً منها لدرجة أنها شعرت بأنفاسه الحارة الغاضبة تلفح وجهها تراجعت خطوة إلى الوراء بعد أن شعرت بالخجل والخوف ثم قالت بصوت خافت:

ـ أبداً.. السايس ما كانش عارف يطلعه، وأنا حبيت أساعد.

خالد وقد بدت نبرته أكثر حدة:

ـ أنا مش منبه عليكِ تاخدى بالك ومن رعد بالذات.. ده حصان أعمى يعني ممكن يفاجئك بأي حركة وما تعرفيش تتصرفي.

زمت شفتيها وغابت ابتسامتها، قالت له بنبرة حادة على غير عادتها: ـ أعتقد ما حصلش مشكلة.. وحضرتك شايف إنه هادي، وبعدين أنا بقى لي فترة بقرأ وبكون معلومات، يعني خطواتي مدروسة يا بشمهندس مش بجرب وخلاص.

خالد:

ـ دكتورة إيناس.. أنا بحب كلامي يتسمع ومش بحب جدال كتير.. ترويض رعد ده مش شغلك.. شغلك العناية الطبية وبس.. مفهوم؟.

إيناس:

ـ مفهوم.

قالتها بغضب.. بل ربما بحسرة.. بل بكلاهما..







أما هو فلم يشعر بحلاوة الإنتصار فقد تبدلت ضحكة عينيها في لحظات بسببه وغدت حزينة مرة أخرى، خصلاتها البندقية هدأت وكأنها عادت لسباتها وحزنها مرة أخرى.

وتلامست أيديهما عن قصد منه وهو يسحب السير من يديها، شعرت بالغضب وبإرتجاف الحصان المسكين من نبرته الحادة..

تركت السير ثم مدت يدها أمام فم الحصان لتمهله دقيقة من المتعة مع بعض قطع السكر الحلو، دغدغ الحصان أناملها الصغيرة بسعادة بعد أن لونت حاسة التذوق لديه ببعض الحلا..

وعندها رحلت في شموخ..

أما هو فعلى قدر غضبه على قدر إعجابه، وكأن حدته هي حصنه المنيع ضد سحر أمثالها..

****

كانت بمكتبها تُنهي بعض الأوراق وتفكر فيما حدث..

ما الداعي لتحمل أسلوبه الحاد معها؟..

تلك الفظاظة الفطرية خاصته، لا عجب أنه لا يستطيع التعامل سوى مع الخيل..

لا.. فالخيل كائنات رقيقة، هو ربما سيكون أفضل حالاً مع بعض الأسود أو ربما النمور!!

لاحت على شفتيها ابتسامة وهي مستغرقة في أفكارها الشريرة تتخيل خوفه أمام من هم أكثر منه شراسة، أخرجها صوته من خيالها سريعاً كان يقف متكئاً على الحائط بجانب الباب وينظر نحوها وعلى وجهه ابتسامة ماكرة..

خالد:

ـ طيب ما تضحكينا معاكي!






إيناس:

ـ نعم!!!

خالد:

ـ واضح إنك إفتكرتِ شيء بيضحك.

إيناس بجدية:

ـ لا أبداً.. اتفضل دي التقارير اللي حضرتك كنت طلبتها مني بخصوص الخيل اللي في بلوكات ١٤ و ١٦

خالد:

ـ ممتاز.. خلصتيهم بسرعة.

إيناس:

ـ ده شغلي.

أخذ منها الأوراق وهم بالمغادرة، ولكن ما لبث أن عاد مرة أخرى..

ضغط بيديه على المكتب فأصبح في مواجهتها، نظر نحوها بتأمل مما أربكها فقالت على الفور:

ـ حضرتك عايز حاجة تانية يا بشمهندس؟

خالد دون أن تتغير نظرته، بل ظلت ثابتة موجهة نحوها بثقة ثم تابع: ـ روضتِ رعد إزاي؟

إيناس:

ـ بيتهيألي إن الموضوع ده إتقفل خلاص.. أنا شغلي العناية الطبية وبس.

خالد وبنبرة أكثر إصراراً:







ـ روضتيه إزاي؟

إيناس وقد اكتسبت ثقة أشعرتها بالإنتصار:

ـ حضرتك اعتبره حظ مش أكثر.

خالد:

ـ بس الحظ صعب يتكرر.

إيناس:

ـ ما هو مش حيتكرر.

خالد بابتسامة:

ـ لأ.. حيتكرر!!

إيناس:

ـ مش فاهمة؟

خالد:

ـ اعتبري مهام الوظيفة بتاعتك اتغيرت.. العناية مش طبية بس زي ما إنتِ عايزة.. وساعتها حاعرف كان مجرد حظ ولا لأ.

غادر بعد أن رمقها بنظرة من التحدي..

غادر وتركها حائرة ولكن سعيدة.

****

نظر يوسف نحو صديقه الذي كان يبدو عليه أنه غارقاً بأفكاره حتى الثمالة، اقترب يوسف من حمزة وبنبرة حانية قال له:

ـ مالك يا صاحبي؟





حمزة بضيق:

ـ ما ليش.

يوسف:

ـ هو أنا حتوه عنك.. متغير بقى لك كام يوم من ساعة الحفلة.

حمزة:

ـ باين عليا؟

يوسف:

ـ هي الدكتورة حركت مشاعرك ولا إيه؟

ابتسم حمزة بسخرية:

ـ المشاعر ما بتتولدش في يوم وليلة يا يوسف.

يوسف:

ـ إيه الكلام الكبير ده!

حمزة:

ـ أنا أعرف ناس قصة حبهم تتكتب في ملاحم، وبرده مش سعداء.. مش بيقولوا الحب وحده لا يكفي؟.

يوسف:

ـ يا سلام.. في إيه يا حمزة؟.. الموضوع مش موضوع إيناس.

حمزة:

ـ هو إزاي الواحد يقدر يعيش جوه كدبة؟

يوسف:













ـ إيه!!.. مش فاهم؟..

حمزة:

ـ إنك تكدب طول الوقت.. بتكدب على نفسك وعلى اللي حواليك' لغاية ما تصدق كدبتك وتبقى شايفها حاجة عادية مع إنها سخيفة.. سخيفة قوي.

يوسف:

ـ مالك يا حمزة في إيه؟..

حمزة:

ـ كنت موصله إسكندرية مش مصر.. الأول كان بيخبي، بس دلوقتي ولا فارقة معاه.. تفتكر سلبيتها السبب؟

يوسف:

ـ هو مين ده؟!

حمزة:

ـ تعمدت أقول قدامها أني موصله مصر علشان أراقب ملامحها.. أحاول أفهم هي ساكتة ليه!

يوسف:

ـ هي مين؟!.. إنت بتتكلم عن مين؟

حمزة بآسى:

ـ عن أبلة رقية..

يوسف:

ـ مدام رقية وبشمهندس حسن؟!







حمزة:

- هو متجوز.. وهي عارفة إنه متجوز.. وهو عارف إنها عارفة، وبرده مصممين يعيشوا في متاهة.. يعيشوا في كدبة.. تفتكر هي دي السعادة؟

يوسف:

- حمزة.. إنت بتتكلم في موضوع حساس، أنا مش عارف أقولك إيه!

حمزة:

- بجد إيه الأسلم، إنك تتكيف مع التغيير حواليك ولا تغمي عينك وتسد ودنك وتعمل نفسك مش شايفه؟

يوسف:

- دايماً ضحكتك قريبة، بس اللي يعرفك بجد هو اللي يفهم القلق المعشش جواك.. فوت يا حمزة، مش لازم تقف قدام كل حاجة وتحاول تحللها وتفهمها..

حمزة ساخراً:

- ما أنا زحمة وربكة وشغل جنان!

يوسف:

- أنا برده قلت حمزة جواه حاجة، مش بيغني من فراغ.

حمزة:

- أبلة رقية خايفة تواجهه وتواجه نفسها.. خايفة من زلزال يغير حياتها وما تتقدرش تتأقلم معاه.

يوسف:

- طيب أنت ما دام فاهم مستغرب ليه؟

حمزة:








ـ أنا مش مستغرب.. أنا حزين علشانها، وعلشانه كمان لإني عارف هو قد إيه بيحبها.

يوسف:

ـ طيب ليه إتجوز عليها؟

حمزة ساخراً:

ـ يعني مش عارف ليه؟!

يوسف:

ـ أنا شايف إنهم إتصرفوا صح، هو ما حبش يجرح شعورها، وهي فضلت تتجنب زلزال ممكن في لحظة غضب يهد كل حاجة.

صمت حمزة..

هل تحليل يوسف هو الأقرب للمنطق؟.. للعقل؟..

أم أن رقية تعيش تحت ضغط هائل؟..

جدار حمايتها الزائف سيتصدع مع مرور الوقت، هي تتجنب الزلزال الذي قد يحطم كيان أسرتها في لحظات..

ولكن ماذا عن النار المتأججة بداخلها؟!..

ماذا عن البركان؟!

الفصل السادس عشر:

تقف حائرة بالمطبخ بين أكواب الدقيق والبيض، وضعت الشكولاته الجافة بأحد القدور لتقوم بتذويبها كما نبهتها رقية..





آآآااااه...

رقية تلك المرأة المسالمة التي تتبدل وتصبح وحشاً كاسراً عندما يتعلق الأمر بالطعام!!..

كانت حقاً تود التملص من تلك الدعوة خاصةً عندما علمت بوجود حمزة، فنظرات إعجابه تتزايد يوماً بعد التالي، وكلما رمقها بها كانت تشعر بضيق لا حدود له يتمكن منها ويطغى على أنفاسها، وكأنه ذنب بل ربما خيانة..

ولكن هل حمزة فقط هو سبب رغبتها في عدم الذهاب أم ربما خالد؟..

فمنذ مغامرتها الطائشة مع رعد وهي تشعر أنه يراقبها..

ينتظر دون صبر ترويض آخر منها لحصانه الثائر، وكأنه ينتظر فشلها أو هروبها، فكأنها بترويضها لرعد قد تعدت على أهم ممتلاكته وقامت دون أن تقصد بفك شفرته الخاصة التي لا يبرع فيها أحد سواه!

يا له من طفلٍ كبير..

طفل غاضب كبير، ولكنها مع ذلك لم تستطع الابتعاد عن رعد..

كانت تتسلل بخفة لحجرة رعد بعد أن يترك خالد الإسطبلات ويعود لمكتبه...

وكأن لحظاتها الثمينة مع رعد ملك لها فقط وليس من حق أي أحد التلصص عليها، فهي لحظات ليست فقط من أجل رعد بل من أجلها هي أيضاً..





شعور جارف بالراحة، بل بالسلام يجتاحها كلما ربطت عصابة عينيها ووقفت أمامه تُربت بحنان على وجهه وتهمس في أذنه بشكواها، وكأنه أفضل مستمع على وجه الأرض..

تخبره كل ما تريد دون تردد أو خجل، وهو يستمع إليها دون كلل أو ملل، هي لحظات ليست من أجل رعد فقط بل من أجلها أيضاً.

****

أخيراً أنهت كل شيء..

ألقت نظرة أخيرة على كعكة الشوكولا ثم لفتها بحرص واتجهت نحو منزل رقية..

نظرت نحوها رقية بمكر وهي تفتح لها الباب وقالت:

ـ طيب ما كنتِ جيتِ بدري ما دام مش عايزة حد غيري يفتح لك!!

إيناس:

ـ زي ما وعدتيني ما حدش يعرف إن أنا اللي عاملاها، لو طلع طعمها وحش ذنبك إنتِ بقى.. إنتِ اللي أصريتِ إن أنا أعملها!

رقية:

ـ ما هو لولا كده كان زمانك قاعدة في البيت وما جتيش ما أنا عارفاكِ

إيناس مبتسمة:











. بصراحة آه.. هو مين وصل؟

رقية:

. نيرمين وعمر ويوسف وحمزة.. وخالد هو اللي لسه ما وصلش.

وأنا وصلت أهو!

كان هذا صوت خالد وقد وصل لتوه، وكان ظهر فجأة خلف إيناس وكأنه جاء من العدم..

نظرت نحوه رقية مرحبة:

. أهلاً.. أهلاً.. اتفضل يا بشمهندس.

كانت إيناس ما زالت ثابتة بمكانها غير مدركة أنها تعترض طريقه..

نظرت رقية نحوها بابتسامة:

. إيناس.. يلا يا حبيبتي اتفضلي.

أدركت لحظتها أنها تقف في طريق مروره، فدخلت على الفور وهي تقول:

. متأسفة.

دون أن تنظر نحوه، ودخل هو أيضاً دون أن ينظر نحوها أو يوجه لها التحية..









تقدم خالد من حسن الذي قابله مرحباً ثم جلسا سوياً منفردين بعيداً عن باقي المجموعة..

وانشغلت رقية بتوضيب المائدة وساعدتها إيناس...

قال خالد لحسن هامساً:

ـ شكلك مبسوط يا حسن.. كان باين من صوتك وإنت بتعزمني.

حسن:

ـ بيني وبينك طاير.. بس بحاول أخبي!.

خالد:

ـ إيه؟

حسن:

ـ رحت مع سهام امبارح عند الدكتور وعرفنا نوع الجنين.

خالد:

ـ بجد!.. مبروك.

حسن:

ـ ولد.. هو طبعاً الحمد لله.. كل اللي يجيبه ربنا كويس، بس فرحت قوي





خالد:

. ربنا يقومها لك بالسلامة ،بس هي رقية برده ما فتحتش معاك الموضوع؟

حسن:

. من ساعة لما سهام كلمتها وقالت ليها ما تكلمتش، بيني وبينك في الأول أنا غضبت جداً وكنت ناوي أطلق سهام، بس لما حملت ما كانش ينفع ورقية فضلت ساكتة.. جالي وقت كان نفسي تتكلم تنطق، تغضب أو حتى تغلط وتريحني..

خالد:

. حسن.. إنت بتحبها؟

حسن:

. وما بحبش غيرها.. ما فيش مقارنة بين مشاعري ناحية رقية وعلاقتي مع سهام، لكن برده بحب إبني.. من حقي يا خالد أنا ما أجرمتش.

خالد:

. ومين قال إنك أجرمت؟

حسن:











. عينيها، نظراتها ومعاملتها ليا.. أنا بجد مش عارف أرضيها إزاي؟.. ده أنا طول الوقت معاها هي، والتانية يوم ولا إتنين كل أسبوع.

خالد:

. أنا مش عارف أقولك إيه، بس أنا عارف إنك مش حتقدر تستغنى عنها..

حسن:

. مستحيل.

خالد:

. خلاص لما مراتك تخلف يبقى يحلها ألف حلال.

حسن:

. يا مسهل.. يلا يا حبيبي الأكل جهز.

إلتف الجميع حول مائدة الطعام جلست إيناس بجانب نيرمين، وسحب حمزة مقعده وجلس بجانب إيناس متحججاً بمراقبة التلفاز الجيدة من هذا الموقع، وكان خالد يجلس على الطرف الآخر من المائدة بجانب حسن واستغرقا في الحديث عن العمل..

قالت نرمين لرقية:

. أكلك ما لوش حل بصراحة.. بتعقد لما باكل هنا!





رقية:

. بالهنا والشفا يا حبيبتي، بس إنتِ أكلك طعمه زي العسل ما أنا دقته وعارفاه.

نيرمين:

. بتجامليني!!.. ماشي.. ماشي أنا موافقة.

حمزة:

. أكل أبلة روكا ما لوش مثيل.. ولا إيه رأيك يا دكتورة؟

قال جملته وهو يوجه بصره نحو إيناس..

إيناس:

. طبعاً ده مش محتاج كلام.

كان رد إيناس على حمزة مقتضباً وكأنها تود تجنب الحديث معه ولكنه لم يعبأ وتابع:

. بس ما قولتليش يا دكتورة إيه رأيك في صوتي؟

إيناس بدهشة:

. نعم!

حمزة:











ـ صوتي.. إحم إحم.. لما كنت بغني نسيتِ ولا إيه؟

نيرمين بسخرية:

ـ معلش يا إيناس أصل حمزة بيهتم قوي برأي الجمهور!

حمزة:

ـ بقى كده إتريئي.. إتريئي.. ماشي!..

رقية:

ـ إنت يا حمزة قاعد مصدعنا ليه؟.. ما تروح تقعد جنب الرجالة!

حمزة:

ـ بتحرجيني يعني!!.. أنا أصلاً قاعد جنب التليفزيون علشان الماتش قرب.. ده غير هناك مود كئيب!

أتبع بقية كلماته بصوت خافت وقال:

ـ خالد وخالي كلام في الشغل ومكشرين كالعادة، ويوسف مركز في الأكل بطريقة غير طبيعية!

نظر حمزة لنرمين ضاحكاً وقال بصوت عالٍ:

ـ نيرمين.. خدي بالك أكليه كويس، ده لو ما لقاش أكل حياكلك إنتِ وعمر!!











يوسف:

. بقى كده!!.. طيب شوف مين حيوصلك وإحنا مروحين!

حمزة:

. مش مهم.. حبات هنا.. تستضيفوني يا أبلة رقية؟..

رقية:

. ولا أعرفك.

حمزة:

. شفت الناس لبعضيها إزاي!!.. ميرسي يا أبلة، حضري لي بيجامة خالي التركواز!

رقية وهي تكتم ضحكتها:

. أسكت يا حمزة.. أسكت شوية، وكُل يا بني.. إنت مش بتاكل على فكرة.

حمزة:

. معدتي تاعباني، مش قادر.

رقية:

. برده!.. يا بني روح للدكتور يكتب لك حاجة لمعدتك دي.





نظر نحو إيناس بابتسامة وتابع:

. بقولك يا دكتور ما ألاقيش عندك دواء للمعدة؟!

إيناس بضيق:

. آه عندي، بس من بتاع الحصان.

ضحك يوسف بصوت عالٍ عند سماع جملة إيناس مما جذب إنتباه خالد نحوهم ونحو محادثتهم سوياً..

نظر حمزة نحو إيناس بابتسامة قائلاً:

. ما فيش مشكلة.. وعلى فكرة لو جبتيه حاخده، أصلك ما تعرفنيش.. أنا مجنون!!

ابتسمت له ابتسامة صفراء وتابعت تناول طعامها ببطء، أما خالد فظل يراقبها هي وحمزة بقية الوقت...

جلس الرجال لمتابعة مباراة كرة القدم بعد الطعام، وإستقرت كل من رقية وإيناس ونرمين بالحديقة..

نظرت رقية نحو زوجها الذي مرت جميع الألوان بدرجاتها على وجهه وهو يتابع المباراة بشغف وقالت:





. علشان كده جبتكم تقعدوا معايا النهارده، بجد مش بستحمل تعب الأعصاب بتاع الكورة ده..

انتفضت إيناس رعباً بعدها بدقائق عند سماع صوت صراخ حسن وحمزة فضحكت رقية بشدة وتابعت:

. معلش يا إيناس.. جون!

إيناس:

. أصل أنا مش متعودة على الكورة.

رقية:

. قصدك مش متعودة على مجانين الكورة..

نيرمين:

. اللذيذ إن عمر قاعد معاهم مش خايف، بالعكس منسجم خالص.

رقية:

. امممممم.. خدي بالك لحسن يطلع مجنون كورة زيهم.

نيرمين وما زالت تنظر نحو تجمعهم بإهتمام:

. بس خالد مش مجنون كورة خالص، حتى قاعد هادى ومبوز كالعادة!













رقية:

. حرام عليكِ يا نيرمين.. لعلمك خالد من جواه طيب.

نيرمين:

. جايز..

توجهت ببصرها نحو إيناس وتابعت:

. إنتِ عاملة إيه في الشغل معاه؟

إيناس:

. لأ عادي.. هو شديد شوية، بس عادي يعني.

نيرمين:

. شديد شوية!.. يا بنتي ده البيج بوس بتاعنا، كلنا بنترعب منه.. إنتِ مش شايفة يوسف وحمزة واخدين جنب ومنكمشين مع نفسهم إزاي

رقية:

. يا بكاشة مش للدرجة دي!

نيرمين:



. مش للدرجة دي!!.. طيب ده أمبارح مسك عادل الدكتور البيطري اللي بيتابع مزرعة المواشي مرمط بكرامته الأرض، صوته كان واصل للطريق الصحرواي.

رقية:

. ليه إيه اللي حصل؟

نيرمين:

. مش عارفة، بقرة ماتت وإتنين عيانين جامد، مش فاكرة.

رقية:

. بصي يا نيرمين.. خالد شديد في حقه، كلنا عارفينه.. لكن مادام شايفة شغلك مظبوط خلاص.

نيرمين:

. مش بخوفك يا إيناس والله أنا بحكي عادي.

إيناس:

. لأ عادي ما فيش مشكلة.

رقية:

. أنا حقوم أعمل نسكافيه علشان نشربه مع الكيك











نيرمين:

. تمام.. فعلاً محتاجة الإتنين

تركتهما رقية وعندها كان يبدو أن المباراة أنهت شوطها الأول..

تقدم حمزة نحوهما وهو يحمل عمر الصغير وتوجه به نحو نيرمين وعلى وجهه ملامح الإشمئزاز قائلاً:

. خدي يا نيرمين غيري له.

نيرمين ضاحكة:

. عمل بيبي!!

حمزة:

. أنا نفسي أعرف بتأكلوا الواد ده إيه؟!!.. دي مش ريحة بيبي طفل أبداً!!

نيرمين:

. يا سلام خبير حضرتك حتى في دي!

حمزة:

. إنت ناسية إني بتاع سماد ولا إيه.










ضحكت نيرمين بشدة ومعها إيناس على جملته ثم أخذت نيرمين يوسف لتقوم بتبديل حفاظه وجلس حمزة دون دعوة مع إيناس

قال لها بابتسامة:

ـ أخيراً ضحكتِ على حاجه قلتها، ده أنا كنت قربت أقتنع إن دمي تقيل.

إيناس وقد تبدلت ابتسامتها بمظهر أكثر جدية وقالت:

ـ لأ عادي.. أنا مش بيكون قصدي على فكرة.

حمزة:

ـ طيب مش حتقولي رأيك بقى؟

إيناس:

ـ رأيي في إيه يا بشمهندس؟

حمزة:

ـ في كلمات الأغنية.

إيناس:

ـ أغنية!

حمزة:











ـ اللي غنيتها في عيد ميلاد عمر، بلاش صوتي بس أسمع رأيك في الكلمات.

إيناس:

ـ الكلمات جميلة.

حمزة:

ـ بصي عادةً باكدب وبقول إنها من تأليفي، لكن معاكِ حقولك الحقيقة.. هي بتاعة فريق إسمه "بلاك تيما".. تسمعي عنه؟

إيناس:

ـ لأ.. بس عموماً هو اختيار موفق.

حمزة:

ـ يعني عجبك تأليفي؟!

نظرت له بدهشة ممتزجة بسخرية، ثم تجولت ببصرها بحثاً عن رقية أو نيرمين، وعندها تلاقت نظراتها مع خالد الذي كان يرمقهما بنظرات حادة..

لا تعرف ماذا أصابها، ولكنها شعرت بالإرتباك.. لا بل بالغضب من حمزة وجلوسه معها، ومن نفسها لسماحها له بذلك، ومن تلك النظرة الغاضبة أو ربما اللائمة التي وجهها خالد نحوها..

قامت على الفور تبحث عن رقية بحيرة فنظر نحوها حمزة بدهشة ثم قال:











ـ في إيه؟

إيناس:

ـ ما فيش.. بدور على رقية.

ظهرت رقية أخيراً وهي تحمل أكواب النسكافيه، وعندها تقدمت إيناس نحوها تاركة حمزة دون أن توجه له حديث..

نظرت لها رقية في دهشة:

ـ إيه يا إيناس؟.. قمتِ ليه؟

إيناس:

ـ معلش لازم أمشي.

رقية:

ـ تمشي!.. لسه بدري، ما احنا قاعدين.

إيناس:

ـ معلش تعبانة ولازم أروح أنام.. سلام.

خرجت مسرعة..

هاربة لعزلتها مرة أخرى لعلها تهتدي إلى الراحة بين ثنايا قميص شريف..





أم ربما الغفران!.

الفصل السابع عشر:

استيقظت مبكرة..

لم تنل قسطاً كافياً من النوم، ارتدت ملابسها واختارت بضعة من الصور خاصته ووضعتها في حقيبتها ربما لتنظر إليها من آن لآخر..

أم ربما لتلمس وجوده بجانبها،هو فقط من يجب يكون معها وليس آخر..

توجهت للإسطبلات مبكراً عن موعدها المعتاد، لم تجد بيسو في انتظارها كعادته فقررت الذهاب على قدميها..

ليست بمسافة طويلة ربما نصف ساعة أو أقل..

كانت تفكر به طوال الطريق، مازالت تشتاق إليه..

أغضبها ما حدث بالأمس، اهتمام حمزة الذي ربما بدأ الجميع بملاحظته وبما فيهم خالد..

خالد وتلك النظرة التي وجهها نحوها!!..

شريف.. أين أنت؟..

هل سيفقدني هذا العمل ذكراك أم إخلاصي لك أم كلاهما؟..

لا لن أنساك حبيبي ما حييت..

لن أكون لغيرك، فأنت زوجي وحبيب عمري..









ألم نتعاهد على ذلك بقلوبنا قبل ألسنتنا؟..

توقفت وأخرجت صورته من حقيبتها ثم قبلتها وهي تنظر نحوها في شوق..

أنت معي دائماً فأنت البطل الأوحد بعالمي الصغير، ومن سواك هم مجرد كومبارس وليس أكثر..

وصلت للإسطبلات..

كان العمال ما زالوا يقومون بتجهيز الطعام وتطمير بعض الجياد..

قررت المكوث مع سهيلة قليلاً قبل أن تبدأ بعملها المعتاد، هي تحتاج للمكوث مع تلك الفرسة بلون الحياة...

رؤيتها تعطيها دفعة من المرح بل ربما من البهجة مثلما كان شريف يفعل معها، وهي حقاً تحتاج لتلك النفحة المبهجة الآن.. كانت تراقبها بابتسامة وهي تملس على خصلاتها الماسية بأناملها الرفيعة..

لم تشعر بوجوده كان يقف بمدخل الغرفة الصغيرة يراقبها..

غريبة هي حقاً تبدو في منتهى البراءة والنقاء، عندما تنظر نحوها تشعر أنك أمام أحد زهور الأوركيد بلونها الأورجواني المميز وطلتها الساحرة..

نعم ساحرة..

تستطيع أن تخدع الجميع ببراءتها، ولكن ليس هو..

فقد رأى ابتسامتها ونظراتها نحو حمزة، ها هي انجذبت بسهولة لأول من دق باباها.

قال على حين غرة ودون مقدمات:

ـ دكتورة.. عايزك في بوكس عشرين.

نظرت نحوه وقد فزعت أول الأمر بحديثه المفاجئ..








أومأت رأسها بالإيجاب وتبعته إلى هناك..

دخل خالد للغرفة الصغيرة حيث كان يوجد حصان ضخم بلون متدرج من درجات الأصفر والبني، اقترب من الحصان بفخر ثم نظر نحوها وقال:

ـ أنا عايزك تبصي على سهيلة علشان غالباً حاعملها تشبية كمان كام يوم مع مصري.

قال جملته وهو يشير للحصان بجانبه

نظرت له بدهشة وقالت:

ـ مش فاهمة.. هو حضرتك عايز إيه؟

خالد وقد لاحت ابتسامة ساخرة على شفتيه:

ـ إيه يا دكتور!.. تشبية يعنى تلقيح، تزاوج يعني.

طغت حمرة الخجل على وجنيتها ونظرت أرضاً عندما فهمت مقصده ثم تابعت:

ـ حاضر.. بس مش سهيلة صغيرة لسه؟

خالد:

ـ لا مش صغيرة، هو ٣ سنين حلو قوي.. أستفيد من سلالتها وبعدين أدخلها بعد كده سبق أو أبيعها براحتي.

صمتت قليلاً وقد شعرت بالأسى عندما سمعت اقتراح بيعها ثم تابعت بصوت منخفض:

ـ حاضر.

خالد:

ـ بصي عليها بشكل عام، وقيسي النبض، وكمان إديها حقنة مقويات، تمام؟

إيناس:



ـ حاضر.

خالد بنبرة حادة:

ـ حاضر.. حاضر !!.. عارفة حتعملي إيه ولا أنا حاقولك؟

إيناس وقد تمكن منها الغضب:

ـ عارفة يا بشمهندس، عن اذنك بقى علشان أروح أشوف شغلي.

تركته وتوجهت غاضبة للفرسة وتبعها هو بنظرته الساخرة كعادته.

****

لم تشعر بالوقت، ربما مرت ساعة أو أكثر، كانت قد قامت بقياس نبض سهيلة وفحصتها كما طلب منها ثم مرت على باقي الجياد وقامت بوضع بعض المقويات بعليقة البعض، وقررت الإتجاه للعيادة لإحضار الحقنة من أجل سهيلة..

كان جالساً بسيارته دون إكتراث ممسكاً ببعض الأوراق، إنتبه لها عندما خرجت من الإسطبل ولاحظ بحثها عن بيسو لإيصالها.. نظر نحوها وقال دون أن يتحرك من مكانه:

ـ بيسو عيان واخد أجازة.

إيناس:

ـ طيب.. ممكن حد يوديني العيادة علشان أجيب الحقنة؟

اعتدل في جلسته وقام بفتح باب السيارة ثم نظر نحوها قائلاً:

ـ تعالي..

إيناس:

ـ لأ حضرتك ما تتعبش نفسك.. أي حد من العمال يوصلني.

خالد:



- ما فيش تعب.. اركبي.

ركبت بجانبه على مضض، بل ودت لو أنها ذهبت على قدميها، ولكن حرارة الشمس منعتها عن ذلك..

نظر نحوها بعد أن تحركت السيارة وقال:

- ها سهيلة تمام؟

إيناس:

- أيوه.

خالد:

- كويس.. أصلك ما تعرفيش أنا بهتم قوي بموضوع النسل، وسهيلة دي فرسة أصيلة.

أومأت رأسها بالإيجاب دون أن تنطق أو تنظر نحوه

تابع بعدها:

- حنعمل تشبية كذا يوم وبعدها إنتِ بقى تتابعيها لغاية ما نتأكد من الحمل، وبعدين حيكون ليها نظام غذائي معين.. فاهماني؟.. ده غير الأدوية والمقويات.

إيناس:

- حاضر.

خالد:

- بس إنتِ إيه رأيك مصري حصان كويس صح ولا عندك إقتراح تاني؟

إيناس بضيق:

- ما اعرفش.










خالد:

ـ يعني ايه ما تعرفيش؟!.. مش إنتي متابعة الخيل برده!

إيناس:

ـ ما اعرفش يا بشمهندس.. والله النسل والتزاوج ده شيء يخصك إنت.. أنا بتابع طبياً وبس.

خالد:

ـ مش عارف ليه يا دكتورة إنتِ متعصبة من ساعة ما فتحت معاكِ الموضوع، هي دي عصبية ولا خجل؟

ظلت صامتة فلقد كانت تشعر حقاً بالخجل من التحدث عن هذا الأمر وبتلك الطريقة الفجة!!..

لم تنظر نحوه ربما إن فعلت كانت ستلاحظ سخرية شفتيه وهو ينطق جملته الأخيرة..

تابع بعدها:

ـ يا دكتورة.. هو مش لا حياء في العلم برده؟.. والمفروض إني باتكلم مع دكتورة على فكرة.

شعرت أنه يقوم بتحديها وكأنه يسعى لإفشالها،

هل ما زال غاضباً بشأن رعد؟..

نظرت نحوه وقد لمعت عيناها ثم تابعت:

ـ سهيلة تمام ومناسبة، ومصري مناسب.. ولو حضرتك عايزني أعمل تشيك على الخيل الباقي ما عنديش مشكلة، بس الإختيار في الآخر لحضرتك.

خالد بثقة:



- ما هو طبعاً الإختيار ليا أنا.. عموماً وصلنا.. هاتي الحقنة.

خرجت مسرعة وأحضرت الدواء وفي طريق العودة لم يتحدث كلاهما بكلمة.

****

كانت رقية تجلس على طاولة الإفطار وبيدها كتاب صغير..

انتبه حسن للكتاب في يدها واهتمامها به لدرجة أنها لم تسكب له الشاي كعادتها..

نظر نحوها بدهشة وقال:

- ياه.. أد كده الكتاب شاغلك؟!

رقية دون أن تنظر نحوه:

- أصله كتاب حلو.

حسن:

- بس أنا أول مرة أشوفك بتقرأي!

رقية:

- وهي القراءة حاجة وحشة؟

حسن:

- لأ مش قصدي.. واسمه إيه الكتاب بقى؟

رقية:

- "من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي؟"

حسن بدهشة:

- إيه!!.. ودي قصة ولا كتاب؟











رقية:

- الإتنين قصة وكتاب.

حسن:

- وجبتيه منين بقى؟

رقية:

- حمزة جابهولي وقال لي إنه كتاب حلو ونصحني أقرأه.

حسن:

- قولتِ لي حمزة!.. الواد ده كان لازق لإيناس إمبارح كده ليه؟

رقية:

- إنت عارف حمزة بيتصرف بعفوية، وأنا عموماً حاشوفها اتضايقت ومشيت بدري ليه.

حسن:

- طيب أسيبك للكتاب اللي واخدك مني ده.

ابتسمت له ابتسامة بسيطة وتابعت تصفح الكتاب دون أن تكترث بإيصاله لباب الخروج كما اعتادت..

عاد مرة أخرى ثم اقترب منها وسحب أناملها ليقبلها برقة ثم تابع: - حبيبتي.. أنا راجل أناني، مش عايزك تتشغلي بحاجة غيري حتى لو كتاب!

تركها وذهب لعمله..

ابتسمت ساخرة، ثم عادت مرة أخرى لما تقرأه.

****







أنهت عملها مع سهيلة وهمت بالخروج، ولكنه كان يقف على الباب معترضاً طريقها نظر نحوها قائلاً:

ـ خلاص؟

إيناس:

ـ أيوه.

خالد:

ـ تمام.. كده بعد يومين ثلاثة بالكتير حاعمل تلقيح، وبعدها إنتِ عليكِ متابعتها.

إيناس:

ـ حاضر.

خالد:

ـ طيب.. تعالي في لسه شغل.

تحركت خلفه وهي تشعر أنها أمام يوماً طويلاً ربما لن ينتهي..

دخل خالد لغرفة رعد الذي استجاب لصاحبه فور سماع صوته، وكأنه كان ينتظر قدومه أمسك خالد باللجام ونظر نحوها بتحدي قائلاً:

ـ متطلعتهوش تاني ليه؟

إيناس:

ـ حضرتك.. دي كانت صدفة أنا ما سعتش لده.

كان يسحب رعد ويتجه به خارج الغرفة..

مر أمامها، كانت تنظر أرضاً وقد تناثرت بعض خصلات شعرها وتحررت رغماً عنها من ربطتها المنيعة..





لا يدري ماذا حل به، ولكنه توقف أمامها وظل ينظر نحوها دون حراك.. هي أيضاً لم ترفع بصرها، وكأنما شعرت بترصد عيناه وقررت إجتنابها.. أما هو فعلى قدر رغبته في إلتقاء عيناهما على قدر تمنيه بعدم حدوثه!!..

ربما هي حقاً لم تسعَ لذلك، فحمزة هو من فرض نفسه عليها، بل هو من تتبعها للحديقة..

لا..

كان من الممكن أن ترفض الجلوس معه وتتجنب حديثه..

هي مثلهن جميعاً..

ولماذا ستكون أفضل؟!!

فجأة وبدون مقدمات بدأ حديثه بصوت عالٍ:

- حضري لي الطلبات اللي حتحتاجيها علشان سهيلة الأدوية وخلافه.

إيناس:

- حاضر.

خالد:

- خلاص.. روحي إنتِ العيادة، حخلي حد من العمال يوصلك.

تركها وخرج لإمتطاء فرسه وهي خلفه لكي تعود للعيادة مرة أخرى، ولكن استوقف كلاهما سيارة..

سيارة سوداء اللون ترجلت منها امرأة..

كانت تتقدم نحوه بشعرها الأحمر الذي أطلقته حراً بل ثائراً..

تركته للرياح تفعل به ما تشاء..

ابتسامتها تسبق قدميها للوصول نحوه..



نظرت إيناس بدهشة لتلك الحمراء التي تتقدم نحوهما، هي حقاً كذلك.. فبجانب حمرة شعرها المتوهج، ارتدت ثوباُ من اللون الأحمر القاتم وقد إلتصق بجسدها بشكل فاضح فبدوا وكأنهما كياناً واحداُ..

شفاها المطعمة بحمرة الكرز، خطواتها الجريئة التي جذبت إنتباه كل من في المكان لدرجة أنها تخيلت أن رعد ذاته إنجذب لها بشوق من رائحة عطرها النفاذ!

اقتربت كارمن من خالد بجرأة، واستقبلها هو بملامح من الدهشة..

كارمن..

طالما نظر نحوها كوسيلة وليست غاية، وسيلة للإنتقام، وسيلة للمتعة.. ويبدو أنها تصر على حصر نفسها بهذا القالب!!..

قالت له:

ـ ما فيش حمد الله على السلامة!

خالد ببأس:

ـ كارمن..

كارمن:

ـ وحشتني.

خالد:

ـ إيه الزيارة الغريبة دي؟

إبتسمت بدهاء:

ـ مش مهم إنها تكون غريبة، الأهم إنها تكون مرغوبة!

نظرت حولها بملل ثم قالت:





- ما فيش مكان تاني نتكلم فيه؟.. أنا حاسة إن كل الناس بتبص عليّ!

قالتها في إشارة واضحة للعمال المتواجدين حولهما، وأيضاً إيناس التي كانت مازالت تقف بجانب السيارة منتظرة أن يقلها أحدهم..

ابتسم خالد ساخراً كعادته وقال:

- ما هو فستان زي ده لازم الناس حتبص ولا ايه!

كارمن وهي تضحك بثقة:

- الموضوع ملوش علاقة بالفستان، له علاقة بصاحبة الفستان!

وجه خالد كلماته نحو إيناس ونظراته ما زالت مرتكزة نحو كارمن

خالد:

- دكتورة إيناس.. بعد إذنك دقيقة.

اقتربت إيناس نحوهما في دهشة من طلبه لها وقالت بجدية:

- أيوه يا بشمهندس..

خالد:

- خدي رعد مشيه إنتِ شوية على بال ما أخلص كلام مع المدام.

جذبت إيناس رعد دون أن تلتقي عيناها بأي منهما، ولكن كارمن ظلت تتفحصها من رأسها حتى أخمص قدميها..

نظرت لخالد وابتسمت بثقة بعد رحيلها وقالت:

- مش بطالة!

اقترب منها خالد أكثر وتابع بهمس في أحد أذنيها:

- مش بطالة إزاي!.. دي زي القمر.





كارمن:

ـ والله!!.. طيب.. مادام عاجباك ممكن..

صمتت لوهلة ثم تابعت بابتسامة ماكرة:

ـ أرسمها لك!!

خالد:

ـ على فكرة حتبقى لوحة جميلة.. ألوانها طبيعية، مش لوحة تقليد بتدور على ألوان صارخة علشان تثبت بيها وجودها!

كارمن:

ـ إنت شايف كده؟

خالد:

ـ رجعتِ ليه يا كارمن؟

كارمن:

ـ مش جايز وحشتني!

خالد:

ـ ما تتعامليش معايا على إني راجل غبي.

كارمن:

ـ تفتكر ده ممكن بعد اللي عملته فيّ؟

خالد:

ـ كارمن.. بلاش تعيشي دور الضحية، خاصةً يعني إنك لملمتِ جراحك بسرعة قوي وإتجوزتِ بعد العدة بأسبوع واحد.







قالت بدهشة:

ـ ده إنت متابع بقى؟!

خالد:

ـ أنا الأخبار بتجي لي لغاية عندي.

كارمن:

ـ معلش أصل ورقة طلاقي كانت مفاجئة، وبرده وحدتي كانت مفاجئة بعد موت بابا وسجن كريم.

خالد:

ـ إنتِ جاية بعد السنين دي علشان تنبشي في ماضي؟

كارمن:

ـ ما أنا قلت لك وحشتني ما صدقتنيش!

خالد:

ـ وإن صدقتك؟

كارمن:

ـ يبقى تركب عربيتي ونكمل كلامنا في المكتب.

خالد:

ـ بس إحنا كلامنا خلص ومن زمان يا كارمن.

بدلال تقدمت نحوه، ابتسمت بجرأة ونظرت نحوه بغموض وهي تهمس بصوت خافت متناغم مع لون البحر في عينيها وكأنه هدوء ما قبل العاصفة:

ـ إحنا كلامنا عمره ما حيخلص يا خالد خليك واثق من ده!.







تركته وتقدمت لسيارتها ولم يجد بداً من إتباعها، ولكنه ألقى نظرة أخيرة قبل رحيله على رعد..

وعليها أيضاً..

صاحبة جدائل البندق!.

الفصل الثامن عشر:

"لم يصدق "هيم" نفسه عندما إكتشف أنه أصبح وحيداً في مأواه الثمين ودون جُبن..

بدأ الأمر منذ فترة عندما اعتاد هو وصديقه "هاو" تفتيش المتاهة يومياً من أجل البحث عن الجبن، فهو يمثل لهما السعادة ربما بأقصى درجاتها..

طعمه اللذيذ ولونه الأصفر اللامع، بل إن سعادتهما اكتملت عندما عثرا على هذا المخزون الهائل من الجبن اللذيذ، ومنذ هذا الوقت توقفا عن البحث وربما عن التفكير..

ظلا يواظبان التردد على مخزون الجبن خاصتهما في حالة تشبه الإستسلام، ودون أن يلحظا التغيير البسيط الذي يحدث حولهما..

فالجبن ببساطة ينفذ..

استيقظا على صدمة عندما اختفى الجبن..

من الذي حرك قطعة الجبن الخاص بي؟..

لابد وأن أحدهم قد حركها من مكانها..







أبعد كل هذا المجهود والبحث المضني يختفي الجبن؟!..

لا سيعود الجبن.. حتماً سيعود.

وهكذا ظل كل من "هيم" و"هاو" في انتظار المعجزة، وهي ظهور الجبن من جديد..

تذكر "هاو" الفأرين الصغيرين رفيقا كفاح الجبن، وتساءل عن ما حدث لهما..

هل وجدا جبناً آخر؟..

ربما علينا العودة للمتاهة والبحث من جديد..

ولكن "هيم" رفض بشدة، فلم يعد به طاقة للمتاهة وطرقها وحتماً سيعود الجبن..

ولكن "هاو" قرر في النهاية البدء من جديد داخل المتاهة قائلاً:

"في بعض الأحيان تتغير الأمور، تلك هي سُنة الحياة ويجب أن نواكبها"

لم يصدق "هيم" نفسه عندما غدا وحيداً دون جبن ودون صديقه فالتغيير مر من أمامه وهو يراقبه دون حراك.."

ابتسمت بسخرية..

ربما بعد أن قرأت القصة للمرة الخامسة..

هل هي القزم "هيم"؟..

ربما لا..

فـ"هيم" في النهاية لحق بصديقه ووجد ما هو أثمن من الجبن، وجد ذاته..

ولكن هي ما زالت قابعة مكانها ترقب بيأس التغييرات حولها دون حراك، وكأن تجاهلها للتغيير سيوقف حدوثه!

****









تفحصت المكان حولها ثم قالت له بنبرة من الدهشة:

ـ المكتب مش من مستواك خالص يا دودي!

خالد:

ـ معلش أصلي مش بهتم بالمكاتب، هنا الإهتمام بالمزرعة وبس.. وبعدين إيه دودي دي هو من إمتى وأنا دودي؟!

ابتسمت بمكر ثم اقتربت منه في دلال قائلة:

ـ عادي بدلعك!

خالد:

ـ بس أنا مش بتاع دلع وإنتِ عارفة.

نظرت نحوه بشوق ثم قالت برقة:

ـ فاكر كنت بتقولي إيه زمان؟.

كان جامداً كالصخر، لم يتأثر بقربها ولو حتى بكميات طبيعية من الأدرينالين البشري..

قال وهو ينظر لعينيها بثبات:

ـ بيجونيا!

ابتسمت بثقة:

ـ كنت بحب لحنه قوي حتى أكتر من اسمي

استدارت وتحركت بعيداً عنه، ثم استقرت بأحد المقاعد..

رفعت إحدى ساقيها فوق الأخرى في دلال وأخرجت سيجارة أشعلتها بهدوء وتابعت:





- بس إنت كنت تقصد أنهي معنى فيهم، الفضيلة ولا الخطر؟

ابتسم بسخرية:

- هو أكيد مش الفضيلة ولا إيه!!.. وبعدين مش المعنى بس، إنتِ شبه البيجونيا.

كارمن وقد نفثت دخان سيجارتها بعصبية ثم تابعت:

- وكل الستات اللي مروا في حياتك كنت بتشبههم بالزهور؟

خالد:

- أغلبهم!

كارمن:

- يعني مارجريت كانت إيه؟

خالد:

- إنتِ جاية هنا علشان تسأليني عن رموز الستات في حياتي؟

كارمن:

- طيب بلاش مارجريت.. البنت اللي بره إديتها إسم ولا لسه؟

تبدلت ملامحه من السخرية للغضب وتابع:

- شيء ما يخصكيش.

كارمن وقد ألقت سيجارتها بعنف في الأرض واقتربت منه بشدة وقد بدت أكثر توتراً:

- لأ يهمني.. و لو كان قصدك تغيظني بيها، فأنا اتغظت يا خالد.. عارف ليه؟.. لإني لسه بحبك.







بنظرة حانية ولمسات رقيقة من أناملها على وجهه نطقت جملتها الأخيرة أزاح يدها ببرود عنه ثم تابع:

ـ لعبة إيه اللي بتلعبيها يا كارمن؟

كارمن:

ـ أنا عمري ما خططت ولا كذبت يا خالد، بالعكس مشيت ورا قلبي وخسرت كل حاجة علشانك.. والنهارده جيت وأنا جوايا مشاعر غضب وكره ملوش حدود، بس كله اتبخر لما شفتك.

نظر لها ساخراً وتابع:

ـ خسرتي كل حاجة!.. خسرتي إيه يا كارمن؟.. أنا اشتريت منك نصيبي بالفلوس.. طلقتك ورصيدك في البنك أكثر من نص مليون.. كارمن.. إنتِ الوحيدة اللي خرجتِ كسبانة من الموضوع، واحمدي ربنا إني سبتك تتمتعي بفلوسي.

كارمن:

ـ يااااااااااه.. أحمد ربنا إنك سيبتني!!.. كنت حاتعمل فيا إيه أكثر من اللي عملته يا خالد؟.. كنت حتسجني زي كريم.

خالد وقد بدأ يفقد صبره:

ـ أخوكِ هو اللي سجن نفسه

كارمن:

ـ وأنا برده اللي سجنت نفسي .. سجنت نفسي سنين جوه حب واحد عمره ما حس بيا.

خالد:

ـ برده مصممة على نفس النغمة؟!

سحبت حقيبتها وأخرجت منديلاً لتجفف به عبراتها ثم تابعت:





ـ أنا حامشي دلوقتِ.. وإنت فكر في كلامي، بس أنا حارجع.. حارجع تاني يا خالد.

اقتربت منه وقد تبدلت عبراتها بابتسامة خبيثة وتابعت:

ـ أنا قدرك ومش حتقدر تهرب مني.

نظر لها ساخراً ثم تابع:

ـ ما اتخلقتش الست اللي يهرب منها خالد رضوان، وافتكري إن كله برغبتي أنا.. تدخلي حياتي وقت ما أحب، وتخرجي منها برده وقت ما أحب.. وأنا دلوقتِ بقولك برة يا كارمن..

كانت جملته صارمة غاضبة ربما كالحصن المنيع ضد أنوثتها الطاغية، سلاحها الأوحد التي طالما أحسنت استخدامه وما زالت..

كانت الابتسامة بخبثها ما زالت على شفتيها ولكنها امتزجت بنظرة غاضبة بعد سماع كلماته..

كادت أن تقتلع قلبه لو استطاعت ولكنها تماسكت واختفت بمشاعرها داخل هيكل من البرود وقالت:

ـ باي حبيبي.. حجيلك تاني بس مش حقولك إمتى خليها مفاجأة!

أخيراً..

تنهد في راحة وقالها لنفسه بعد أن غادرت كارمن..

غادر المكتب بعدها حيث شعر برغبة عارمة في إمتطاء رعد، ولكن هل هي مجرد رغبة لرعد فقط أن أنه يود رؤيتها؟..

تمنى أن تكون ما زالت هناك تمسك بلجام حصانه المحظوظ الذي ربما يشتم الآن عطر جدائلها البندقية إذا كانت الرياح سخية معه..








شرد قليلاً ثم تدارك نفسه وزم شفتيه بعد أن شعر بانجراف مشاعره نحوها رغماً عنه..

لا هي ليست مشاعر، بل مجرد خيال بائس..

كانت قد أنهت لتوها تريض رعد عندما وصل هو للإسطبل، تقدم منها ورمقها بنظرة جادة ثم تابع:

ـ رعد فين؟

إيناس:

ـ دخلته.

خالد:

ـ خلصتِ اللي طلبته منك؟.. أدوية سهيلة ما تنسيش.

إيناس:

ـ حالاً حاروح العيادة وأجهز الطلبات لحضرتك.

خالد:

ـ طيب.. حخلي حد يوصلك..

تردد قليلاً ثم تابع:

ـ ولا أقولك أنا حاوصلك مدام رعد دخل خلاص.

إيناس:

ـ ملوش لزوم يا بشمهندس.

خالد:

ـ ما أنا كده كده راجع، وكمان آخد منك الطلبات علشان أبعت حد يجيبها.



استقرت بالمقعد المجاور له وانشغلت بمراقبة الطريق أغلب الوقت..

نظر نحوها بمكر ثم قال:

ـ على فكرة.. أنا برده حاعرف السر!

نظرت نحوه بدهشة:

ـ سر!.. سر إيه؟!

خالد:

ـ سرك إنتِ ورعد.. حالة الخضوع الغريبة اللي بيكون فيها معاكِ.

حاولت كبح مشاعر الإنتصار داخلها وهي تقول:

ـ إن شاء الله.

شعر بالغيظ وتابع طريقه في صمت وقد زاد إصراره أن يكتشف سر ترويضها لجواده الثائر.

****

لقد كان يوماً شاقاً..

قالتها لنفسها وهي تحاول الإستمتاع بحمام دافئ بعد يوم عمل شاق، عقدت حاجبيها عندما تذكرت كلمات خالد

"خدي رعد مشيه إنتِ شوية على بال ما أخلص كلام مع المدام"

من يظن نفسه ليوجه لها أوامره بتلك الطريقة؟..

وكأنها أحد الساسة، وخاصة أمام تلك الحمراء المتباهية..

فعلتها فقط من أجل رعد، فهي تعشق هذا الجواد بصهيلة القوي ولونه الأسود اللامع..













عجباً طالما كرهت اللون الأسود ولكن مع رعد فإن الأمر يختلف!..

ما أن انتهت من الإستحمام حتى سمعت دقات الباب..

كانت الساعة قد قاربت على السابعة مساءً، وجدت رقية تقف بالباب بابتسامتها المعهودة..

رقية:

ـ نعيماً.

إيناس:

ـ آآااه.. لسه واخدة حمام دافي.

رقية:

ـ حمام الهنا يا جميل.

إيناس:

ـ يلا أدخلي نشرب شاي سوا.

رقية:

ـ معلش أنا جاية أبلغك بس إني حسافر مصر كام يوم.

إيناس:

ـ ليه خير؟

رقية:

ـ لا يا حبيبتي.. ما فيش حاجة.. أنا بس ورايا مصالح حقضيها.. حسافر النهارده بالليل.

إيناس:



- شكلك زعلان. إنتِ زعلانة مني علشان مشيت بسرعة آخر مرة؟

رقية:

- إيه يا أنوس!!.. بطلي هبل.. الحكاية كلها إني محتاجة أقعد مع نفسي شوية ومع علي أخويا.

إيناس:

- تروحي وترجعي بالسلامة.

رقية:

- معلش يا حبيبتي.. ما كنتش عايزة أسيبك بس غصب عني.

إيناس:

- إيه يا رقية وهو أنا صغيرة!!.. ده أنا باخد بالي دلوقتِ يجي من خمسين حصان.

قالتها إيناس ضاحكة في محاولة لإدخال بعض المرح لنفس رقية التي كانت عبراتها على وشك الهطول..

اقتربت منها رقية واحتضنتها بقوة وتابعت:

- يلا أشوف وشك بخير.

إيناس:

- ما تتأخريش عليّ.. هه وإلا حاجي وراكِ!

رقية:

- لا اله الا الله..

إيناس:










ـ محمد رسول الله.

****

كانت تحضر حقيبتها وهي تتذكر المكالمة التي قلبت كيانها، غيرت كل شيء في دقائق معدودة..

صوت سهام وهي تلقى في وجهها قنبلة من نوع خاص..

الخبر الذي ظلت تكذبه لشهور رغم كل رسائل التأكيد التي داومت سهام على إرسالها لها بداية من عقد الزواج حتى إختبار الحمل..

نظر حسن نحوها بعد أن جهزت حقيبتها وقال:

ـ برده مصممة على السفر؟.

رقية:

ـ قلت لك يا حسن محتاجة أغير جو كام يوم.. كمان عايزة أقعد مع علي وحشني.

حسن:

ـ خلاص زي ما قلت لك حاخد أجازة ونسافر سوا، أو حتى نسافر أي حته إحنا بقى لنا كتير ما سفرناش.

رقية:

ـ لا ملوش لزوم تسيب شغلك، وبعدين كمان مش شرط توصلني إنت ما بتحبش تسوق بالليل ممكن أي سواق يوصلني.

حسن:

ـ سواق إيه اللي يوصلك بالليل كده!!.. وبعدين عادي حبات وأرجع الصبح ولا كمان مش عايزاني أبات؟

رقية:







ـ لأ عادي براحتك.

حسن:

ـ خلاص يلا بينا.

استقرت رقية بجانب زوجها الذي رمقها بنظرة ذات مغزى وتابع بصوت هادئ:

ـ ما تيجي ننزل ونسهر مع بعض هنا أحسن!

ابتسمت بحرص وقد فهمت مقصده فقالت بفتور:

ـ لأ معلش.. يلا خلينا نتحرك.

وهكذا تحركت السيارة وداخلها رقية وحسن..

حسن بهواجسه اتجاه زوجته والتغيير الذي طرأ عليها،

ورقية ومحاولتها ربما لمواكبة ما حل بزواجها من تغيير.

****

تمر الأيام متشابهة، صرير الأبواب المغلقة..

فالزنزانة لا تقيد جسده فقط بل أيضاً أحلامه، طموحاته، إنتقامه..

أصبح يحصي الدقائق في إنتظار خروجه البعيد، ولكن الآن بعد عودة كارمن فقد اقترب من حلمه، من سعادته..

نعم..

فهي لن تكتمل حتى يُشبع شهوة إنتقامه.

جلست أمامه وقد بدت أكثر إتزاناً من المرة السابقة ولكن أكثر غضباً..

نظر كريم نحوها بمكر وقال:

ـ روحتي؟



كارمن:

ـ أيوه؟

كريم:

ـ وإيه الأخبار؟

كارمن:

ـ زي ما إتفقنا، هو دلوقتِ فاهم إني بستغل كدبة الحب علشان أنتقم منه.

كريم:

ـ تمام.. ده حيبرر في الأيام الجاية زيارتك ليه في المزرعة، وحيفكر في الإتجاه ده وبس.

كارمن:

ـ وبعدين حاعمل ايه؟

كريم:

ـ زي ما فهمتك.. عينيكِ صقر.. كمان عايزك تصوري المكان من غير ما ياخد باله.. خصوصاً المخارج والمداخل.. وطبعاً تكرري زيارتك لإسطبل الخيل.

كارمن:

ـ وهو مش حيقلق؟

كريم:

ـ ما قلت لك إحنا عايزينه يفتكر إنك جايه تعرضي حبك، وإن ده أساس خطتك في الإنتقام.

كارمن:





- أنا بكرهه.. بكرهه..

كريم:

- بتكرهيه علشان رفضك.. صح؟

كارمن :

- أنا لو عايزاه تحت رجلي من بكره حاعملها، بس أنا اللي مليش مزاج.

ضحك كريم بسخرية شديدة ثم تابع:

- جايز!

كارمن:

- كريم.. أنا عايزة أبرد ناري.

كريم:

- إتقلي يا كارمن.. أنا مش عايزه يشك فيكِ.

كارمن:

- ما يشك.. خليه ما ينامش الليل.

لاحت على شفتيه ابتسامة ماكرة وقال:

- عموماً اللي بتطلبيه شيء مغري مش قادر أرفضه!

كارمن:

- يبقى ننفذ.. اعتبره نوع من المقبلات قبل الوجبة الرئيسية.

كريم:

- مش حددتِ مكان المزرعة؟.





كارمن:

ـ أيوه.. ده العنوان بالضبط وبالتفصيل الممل، بوابة ٢ اللي هي مدخل مزرعة الخيل الحراسة عليها مش شديدة قوى.

كريم:

ـ تمام.. حنبعتله واجب الزيارة.. ده بس علشان خاطرك يا حبيبتي!

ابتسمت بدهاء..

وفي منزلها، عادت لوحدتها مرة أخرى، بل ربما لغضبها..

عادت لتنثر ألوانها على صورته..

ألوان بلون الدم.

****

الفصل التاسع عشر:

كانت تجلس وحيدة على مقعدها الهزاز تتأمل تفاصيل الظلام حولها، هي لا تعلم حقاً أي ظلام هذا الذي تتفحصه!!..

هل ما سبق من غفوتها أم ما هو قادم؟!..

هل هي حقاً غفوة تلك التي تحياها أم رضا أم ربما كلاهما؟!!..





مر يومان منذ أن تركها حسن وعاد للمزرعة، منذ أن أصر على قضاء تلك الليلة، من أجل غرض واحد فقط، غرض ربما غاب عن عالمهما في الأشهر القليلة الماضية...

وكعادتها لبت له رغبته، وكأن سنوات عمرها أبت التغيير في لحظة فارقة.. وفي النهاية رضخت لرغبة حسن..

نظرت حولها فأيقنت أنها غارقة في الفوضى، يومان كاملان من إعداد شتى صنوف الطعام الذي استمتع به حارس العقار وأسرته في النهاية.. ابتسمت بسخرية فقد جاءت من أجل التفكير، ولم تفعل شيء منذ وصلت سوى الهروب منه، وكأنها تتمنى العودة لمنزلها معه وتجاهل كل ما يحدث حولها من جديد، ولكن هل حقاً ستستطيع أم ستظل في منتصف الطريق تخشى العودة وترهب الإستمرار؟!!

****

ابتسمت إيناس بسخرية عندما تذكرت رقية، حقاً افتقدت تلك المرأة البشوش على الرغم من تأففها منها في البداية..

كانت تجلس بالعيادة تُنهِي بعض الأوراق فالعمل لم يكن بالكثير في الأيام القليلة السابقة خاصةً مع انشغال خالد بإتمام التزاوج الثمين وانتظار مهر جديد لينضم إلى عائلته الكبيرة!!

تركت ما بيدها وأخرجت بضعة صور لشريف، وكأنها تسعى لإخراج ذكرى مرئية له بمجرد أن تفكر بشخص آخر وخاصةً إذا كان رجل.. كانت تتمعن في الصورة أمامها، ملامحه الغائبة عن واقعها المحفورة بقلبها ولكنها انتبهت لطرقات خالد ودخوله السريع كعادته، فبادرت بوضع الصور سريعاً في حقيبتها بإرتباك لاحظه هو على الفور كما لاحظ أيضاً الصورة الصغيرة التي سقطت منها رغماً عنها..

جلس على المقعد أمامها دون اكتراث قائلاً:

ـ صباح الخير.



إيناس:

ـ صباح النور.

خالد:

ـ أخبار الشغل إيه تمام؟

إيناس:

ـ تمام.

خالد:

ـ كويس.. فاكرة الطلبات اللي كتبتيها علشان سهيلة؟

إيناس:

ـ أيوه.

خالد:

ـ اكتبيها تاني علشان الغبي اللي بعته ضيع الورقة.

إيناس:

ـ حاضر.. حجهزها وأبعتها لحضرتك.

خالد:

ـ لأ.. اكتبيها دلوقتِ علشان فوراً حابعته تاني.

إيناس:

ـ دلوقتِ حالاً؟

خالد:

ـ أيوه يا دكتورة.. ولا نسيتِ وحترجعي تدوري في الكتب؟

قامت وقد قالت له في ضيق:

ـ لأ ما نسيتش.. ثواني.

أخرجت كتاباً صغيراً وورقة بيضاء لتقوم بكتابة ما طلبه منها، ثم بدأت تبحث بيأس عن قلم!..

وكأن أقلام الكون اختفت بتلك اللحظة!!..

كانت تعبث بمحتويات المكتب أمامها وتفتح الأدراج دون جدوى ومع مرور الوقت زادت حدة توترها خاصةً مع تجسس عيناه وتمعنه في ملامح الإرتباك على وجهها..

قالت وهي تواصل البحث دون أن تنظر نحوه:

ـ معلش بدور على القلم.. مشكلة دايماً تضيع مني الأقلام.

ابتسم بسخرية وود أن يبقيها هكذا لساعات تبحث دون جدوى، فاللوحة المتجسدة أمامه بارتباكها وخجلها تبدو غاية في الروعة ولكنه قرر في النهاية أن يوقف بحثها المضني، ليس فقط من أجلها أو من أجل وقته بل من أجل تلك الصورة التي سقطت منها..

ناولها القلم وهو يبتسم بثقة:

ـ اتفضلي.. أنا معايا قلم.

إيناس:

ـ متشكرة.

شرعت إيناس تكتب الأدوية مرة أخرى وعندها مد هو قدمه بحرص ليسحب الصورة برفق..





أخذها دون أن تنتبه له، كانت صورة لرجل يبدو في أوائل عقده الثالث، وجه بشوش، ملامح تبعث الراحة في النفس منذ أول وهلة، يبدو كرجل مسالم، هادئ..

انتهت إيناس وناولته الورقة وهي تقول:

- خلاص.. اتفضل.

خالد:

- تمام..

ابتسم بمكر ثم ناولها الصورة قائلا:

- دي وقعت منك؟

بدت ملامح الضجر على وجهها أو ربما الذنب لفقدانها الصورة سحبتها سريعاً من يديه وكأنه ليس من حقه الإمساك بها وقالت:

- أيوه.

نظر بسخرية وتابع:

- دي صورة أخوكِ؟

صمتت قليلاً محتدثة نفسها..

"من أنت لتسألني عن صاحب الصورة؟.. فهذا ليس بحق لك"

نظرت نحوه بحده وربما لأول مرة يلحظ تلك اللمعة بعينيها وقالت:

- لأ.. دي صورة جوزي.

****

زوجي..





كانت تلك هي كلمتها، لم تقل زوجي الراحل، ولم تقل المرحوم كما اعتادت والدته..

بل قالت زوجي..

وكأنه ما زال زوجها..

وكأنه لم يرحل..

قابع بعالمها يأبى أن يتحرك..

ما هذا؟!..

هل يشعر بالغيرة من الرجل؟!..

ربما..

فللحظات يتمنى أن يكون مكانه أن تكون إيناس له بإخلاصها وبراءتها حتى بعد أن يموت!

****

كانت تمسك بصورة شريف وبطرف منديل رقيق تنظف الأتربة التي علقت بها..

شعرت بالغيظ ربما منه أم ربما من نفسها لأنها كادت أن تفقد صورته بل ربما من نظراته العابثة للصورة..

لقد كانت ذكراها بين قبضة يديه وهذا ليس من حقه، وليس من حق أي رجل..

طرقات الباب تدق من جديد، تنهدت بضيق لعودته مرة أخرى ولكن تلك المرة لم يكن هو، كان حمزة بابتسامته المعتادة وكأنه جاء في أكثر الأوقات خطئاً بالعالم..

رحبت به بفتور لم يثنه عن الدخول والجلوس بنفس مقعد خالد منذ قليل..

حمزة:













ـ صباح الخير

إيناس:

ـ صباح النور.. إزيك يا بشمهندس.

حمزة:

ـ تمام.. إنتِ إيه أخبارك؟

إيناس:

ـ الحمد لله.

حمزة:

ـ أبلة روكا لسه ما رجعتش؟

إيناس:

ـ لسه.

حمزة:

ـ كئيب المكان من غيرها. صح..

إيناس:

ـ آه فعلاً.

حمزة:

ـ أنا حتى لسه شايف خالو دقنه طويلة وهدومه مش مظبوطه وحالته صعبة.. أصله ما يقدرش يستغنى عنها.

إيناس:

ـ ربنا يخليهم لبعض.












حمزة:

ـ طيب.. أنا مش حعطلك، أنا بس كنت محتاج منك خدمة.

إيناس:

ـ اتفضل.

حمزة:

ـ إنتِ بتعرفي تدي حقن؟

إيناس:

ـ أه.. بعرف.

حمزة :

ـ لبني آدم، مش حصان؟.

إيناس:

ـ أيوه بعرف.. كنت بديهم عندي في البيت.

حمزة:

ـ حقن عرق؟.

إيناس:

ـ أيوه.

قام من على كرسيه على الفور وهو يقول:

ـ كويس جداً.

ثم أخرج حقنة معه ودواء مضاد حيوي وشمر ذراعه وتابع:





ـ ممكن بقى تديني الحقنه دي؟.

إيناس بتلعثم:

ـ دي حقنة إيه؟

حمزة:

ـ اتخضيتِ كده ليه!!.. هو شكلي مدمن؟.. ولا علشان بيان مبسوط!

إيناس:

ـ لا.. أنا آسفة مش قصدي.

حمزة:

ـ أصل أنا رحت للدكتور وقال لي عندك فيروس في المعدة وكتب لي حقن، ويومياً أروح وادي النطرون آخد الحقنة في الصيدلية مخصوص هناك، خصوصاً إنها عرق ومش أي حد بيعرف يدي حقن في العرق، وبعدين فكرت فيكِ وقلت جايز تكوني بتعرفي أهو تريحيني من المشوار.. ممكن بقى خدمه لأخوكِ الغلبان!

أومأت بالإيجاب مبتسمة وكأنها قررت مساعدته عندما لفظ بكلمة أخوكِ..

قامت بتحضير الحقنة وأمسكت ذراعه لإعطائها له، وابتسمت حين لاحظت عينيه المغمضه وفمه المفتوح وكأنه يحضر لعرض الصراخ الشديد!!

نظرت له وقالت وهي تلقي الحقنة في السلة بجانبها:

ـ خلاص خلصنا.

حمزة:

ـ إيه ده بجد!!

إيناس:










ـ أيوه يا بشمهندس خلاص.

حمزة:

ـ ياه ده إنتِ إيدك خفيفة خالص.. يا بخت الخيل!

تبدلت ابتسامتها مرة أخرى وقالت بجدية:

ـ متشكرة وربنا يشفيك.

حمزة:

ـ يا رب.. حاعدي عليكِ بكرة كمان بس علشان آخر حقنة.

إيناس:

ـ ما فيش مشكلة

حمزة :

ـ مش محتاجة أي حاجة أجيبها لك؟

إيناس بدهشة:

ـ لأ ميرسي.

حمزة:

ـ بجد.. بيضتين.. شوية جبنة رومي!

ضحكت بدهشة وتابعت:

ـ لأ شكراً.

حمزة:

ـ أيوه كده.. علشان أسيبك وإنتِ بتضحكي، علشان محسش إن دمي تقيل.



ابتسمت بحرص ولم تجبه.. تابع هو بعدها:

ـ وكمان بوصلك سلام نرمين وعمر.

إيناس:

ـ بلغهم سلامي.

حمزة:

ـ يلا.. أمشي بقى مع السلامة.

إيناس وقد نظرت للأوراق أمامه لإدعاء العمل:

ـ مع السلامة يا بشمهندس.

****

إنها ليلة قمر مكتمل..

هل سيعود الذئب للحياة كما ادعت الأسطورة؟..

إنه الشر الكامن بنفوسنا وقد لا ينجو أحد من براثنه..

مون لايت سوناتا..

طالما عشقت تلك المعزوفة، ربما من أجله، لطالما أخبرها أنها لا تشبه معزوفته الثمينة في شيء، فهي تبدو كمعزوفة صاخبة، مضطربة..

نعم مضطربة.. ولكن بسببك أنت يا خالد..

أطلقت العنان لخصلاتها الحمراء، بل لجسدها، تتمايل على معزوفته، راهنها مراراً أن انحناءتها الرشيقة لا تتناسب مع موسيقى بيتهوفن خاصته، ولكن ها هي الآن تؤدي رقصة أخرى، رقصة من أجله..

ولكن تلك المرة لن يتمكن من المشاهدة، فهو لديه موعد مع نوع آخر من الرقص!!

****

نظر خالد للساعة فوجدها قد قاربت على الثانية صباحاً، ليلة أخرى من الأرق والفضل يعود لكارمن، فعقله دائم التفكير في سبب عودتها.. وبالطبع لا يصدق حيلة العشق البالية التي اتبعتها.. فأي عقل بائس سيصدق هذا الهراء!

أخرجه صوت غريب من أفكاره، نعم هناك، هناك شخص ما بالحديقة.. ارتدى قميصه مسرعاً وقفز لداخل الحديقة ربما قبل أن يربط جميع أزراره، وقبل أن تتجول عيناه بحثاً عن مصدر الصوت باغته أحدهم بلكمة قوية أفقدته توازنه ووقع على الأرض في لحظتها..

كان رجلاً قوياً، ابتسم له بمكر أسفر عن ظهور صف أسنانه الصفراء المتهالكه ثم اقترب منه ليلكمه مرة أخرى، ولكن خالد لم يكن ضعيفاً هو الآخر فجسده يكاد يكون بنفس قوة هذا البائس، فقام على الفور ليقفز برشاقة على المعتدي ويباغته باللكمات، وبالفعل كاد أن يتفوق عليه لولا ظهور آخر من العدم وكان أقصر من كليهما ولكنه كان عنيفاً لأقصى حد.. حيث أحاط رقبة خالد بسلسلة حديدية وباشر في جذبها بقوة فمنع عنه الهواء حتى ارتخت قبضة خالد من على الآخر، وعندها ترك السمين السلسة وقام بلفها على قبضة يده ووجه لكمة قوية لخالد لم تطرحه أرضاً فقط، بل قذفته بقوة ليرتطم ببعض الأواني الفخارية ويسقط داخل الحديقة الأخرى الخاصة بفيلا إيناس.

شعر بطعم الدماء بفمه، حاول أن يتصدى لهم أكثر من مرة، ولكنهما باغتاه بلكمات شديدة بوجهه وبطنه حتى سقط أرضاً في النهاية ولم يعد لديه قدرة على المقاومة..

استمع بصعوبة لأصواتهما البائسة وهم يقولان:

ـ دي تحية من كريم باشا.. ودي مش أول تحية لسه التقيل جاي.

قالها السمين في النهاية وهو يخرج سلاحاً حاداً ويوجهه نحوه، قربه من جسده والآخر يحثه على انهاء ما ينويه سريعاً والهروب وبالفعل قربه منه من أجل أن





يطعنه بمهارة محدثاً أكبر قدر من الألم ولكن دون أن يقضي عليه، ولكن حدث شيء غريب فقد باغتته المياه من كل جهة..

اندفعت صنابير المياة في الحديقة فأغرقتهم جميعاً في لحظات وأُضيئت الأنوار فجأة، مما جعلهما يهربان على الفور، ولكن السمين قام بجرح خالد في ذراعه بسلاحه الحاد قبل هروبه.

****

فتحت عينيها فجأة على صوت ارتطام شديد، يبدو أنه ارتطام جسد بشيء ما، بل وربما تكسير أشياء..

شعرت بالفزع..

قامت على الفور تتحسس طريقها بحرص في الظلام حتى وصلت للنافذة وعندها رأتهم، ثلاث رجال أحدهم أرضاً يتلقى اللكمات بشدة من الآخرين..

لم تكن الرؤية واضحة، ظلت تتابع الموقف بفزع حتى استبينت ملامحه.. إنه خالد!

شعرت بالفزع..

ماذا تفعل؟..

أخذت هاتفها وحاولت الإتصال بحسن ولكنه لم يجب..

كررت الإتصال عدة مرات دون جدوى حتى تملك منها اليأس..

توجهت مسرعة لغرفة المعيشة، وقفت تراقب ما يحدث عن كثب من خلف الستائر الثقيلة والهاتف بيدها تعاود الإتصال دون جدوى..

شعرت بشلل أصاب عقلها وأوقفه عن التفكير، فهي تراقب الإعتداء الغاشم وليس لديها القدرة على فعل شيء، ولكن فجأة تبينت أعينها النصل اللامع في قبضة أحدهم..









شعرت أنها على بعد ثوانٍ من مشهد مقتله وعندها لم تفكر أضاءت جميع أنوار الحديقة دون وعي، وفتحت رشاشات المياة كنوع من جذب الإنتباه.. وكانت محظوظة إذ أنهما فرا هاربين ظناً بوجود رجل آخر في المكان.

نعم هربا..

ظلت جامدة في مكانها لدقائق تحاول استيعاب رحيلهما وعندها أدركت المياة المفتوحة وجسده الممدد على الأرض، فقامت على الفور وأغلقت محبس المياه وهمت تتجه سريعاً نحوه ولكنها استدركت في آخر لحظة أنها ترتدي ملابس النوم، فعادت مسرعة ولفّت جسدها بروب طويل ثم خرجت مرة أخرى للحديقة..

كان ممدداً على الأرض مضرجاً بالدماء..

توجهت نحوه في فزع وهي تقول بصوت مرتجف:

- بشمهندس خالد.. بشمهندس خالد.. إيه اللي حصل؟.. فوق أرجوك.

كانت ملامحها غير واضحة بالنسبة له وكأنه في حالة متأرجحة بين الوعي والغشيان..

نظرت حولها في يأس، فكرت أن تطرق باب فيلا حسن ولكنها تراجعت فربما لن يسمع الباب كما لم يشعر بالهاتف...

لم تجد بُداً من سحبه للداخل ولكنه كان ثقيلاً، فجسدها الضعيف لا يستطيع تحريك جسده الضخم..

كانت تحاول بيأس وتطلب منه مساعدتها حتى تستطيع معالجته..

بدأ يستوعب ما يحدث..

إنها إيناس وهو مكوم على الأرض بحديقتها غارقاً في دماءه وأيضاً في الماء!

حاول الوقوف مستنداً عليها بصعوبة حتى استطاعت جذبه وأجلسته على أقرب مقعد بطاولة بمدخل غرفة المعيشة مباشرةً..





ظلت تنظر نحوه في دهشة لا تدري ماذا تفعل، ولكنها ما لبثت أن استعادت تركيزها..

أحضرت منشفة كبيرة لتجفيف جسده المبلل، وبقطعة قماش ربطت جرحه النازف، وبمنشفة أخرى مبللة بدأت تنظف وجهه المدمم..

كانت أنفاسها مسموعة..

شعر هو بإضطرابها الشديد بعد سماع أنفاسها السريعة خاصةً مع ارتعاش أناملها وهي تحاول تجفيف الدماء التي انسدلت بغزارة من أنفه وفمه..

بدأت ملامحها تتضح رويداً رويداً في عينيه، كانت نظراتها حائرة خائفة مرتكزة بقوة على وجهه وكدماته..

عروق زرقاء صغيرة تخللت جبهتها في إشارة واضحة لتوتر حاد أصابها في تلك اللحظة..

كانت شفتيها ترتجف..

لا بل كانت تتمتم بكلمات غير مسموعة..

ماذا عساها تقول؟!

حرك إحدى يديه وضغط على جرحه بقوة وقال بصوت منخفض يبدو أنه جاهد من أجل اخراجه:

- إنتِ.. بتقولي إيه؟

نظرت نحوه وما زالت ملامح القلق على وجهها..

هي سيدة الموقف..

قالت له بصوت مرتجف:

- إيه؟







خالد:

ـ بتقولي.. إيه؟

إيناس:

ـ بقول أسترها يا رب.

ابتسم لها وتابع بهدوء:

ـ ما تخافيش.

قالها ثم ترك ذراعه المصابه فبدت الدماء كثيرة، نظرت إيناس للجرح في فزع وتابعت:

ـ لازم نكلم حد.. لازم تروح المستشفى.. أنا بطلب بشمهندس حسن مش بيرد.. أعمل إيه؟

خالد:

ـ حسن مش موجود، سافر إسكندرية.

إيناس:

ـ مش موجود!.. طيب أكلم مين؟

خالد بأنفاس متقطعة من الألم:

ـ ما تكلميش حد، بصي.. روحي العيادة وهاتي مطهرات وشاش من هناك.

إيناس بفزع:

ـ إيه!!.. أنا!

خالد بابتسامة ساخرة:



ـ إنتِ خايفة أخلص لك مخزون الخيل ولا إيه!!.. أرجوكِ.. أنا تعبان محتاجك تنضفي الجرح وتربطيه.

إيناس بتردد:

ـ إيوه.. بس ممكن يحتاج خياطة.

خالد:

ـ لا.. لا.. مش شرط.. إنتِ بس هاتي الحاجة، وكمان حتلاقي عندي في الفيلا عندي جنب التليفزيون دوا مسكن.. أرجوكِ هاتيه، بعد إذنك.

إيناس مضطرة:

ـ حاضر.

هرعت بالفعل نحو العيادة وأحضرت بعض المستلزمات من هناك ثم توجهت للفيلا خاصته وأحضرت من غرفة المعيشة دواءً مسكناً وآخر عبارة عن مضاد حيوى وجدته بالمصادفة، وعادت وقد أغمض خالد عينيه وبدا مستغرقاً في النوم، ربما من الألم..

اقتربت منه بحرص وهي تقول:

ـ بشمهندس.. بشمهندس خالد.. أنا جيت.

لم يشعر بكلماتها على الرغم من أن يده كانت ما زالت تضغط بقوة على موضع الجرح، لم تجد بداً من الإقتراب بحرص وتحريك يديه من أجل تنظيف الجرح..

ولكن في حركة فجائية انتفض فزعاً وقام بسحبها بيده الأخرى وكأنها شخصاً يريد مهاجمته..

كانت ذراعه مطبقة على خصرها بقوة وقد جذبها نحوه وهو يقول:

ـ كارمن.. ناوية على ايه كارمن هه؟.. عايزة إيه؟

إيناس وهي تحاول بصعوبة التخلص من قبضته دون جدوى:







ـ كارمن مين؟!!.. فوق يا بشمهندس.. أنا إيناس.. أرجوك سيبني.

ظل جامداً لدقائق ثم ارتخت قبضة ذراعه وتركها..

ابتعدت في فزع وظلت تنتظر نحوه برهبة..

تمتم قائلاً:

ـ أنا آسف.. بجد آسف.. أرجوكِ.. اوقفي النزيف.

أغمض عينيه مرة أخرى..

ظلت ترقبه من بعيد خائفة من الإقتراب حتى سمعت عبارته الأخيرة:

ـ ما تخافيش.. ما تخافيش مني.

اقتربت منه وبدأت في تنظيف الجرح، لم يكن غائراً ولكن فقد بسببه الكثير من الدماء، قامت بتنظيفه وتطهيره بالبيتادين ثم قامت بلف الشاش حوله بإحكام وتأكدت من توقف النزيف تماماً، وعادت لوجهه مرة أخرى وبدأت بمعالجة الكدمات والجروح به..

مرت حوالي ساعة عندها كانت قد انتهت تماماً، بدا وجهه أفضل على الرغم من آثار الكدمات..

كان ينظر نحوها بتمعن، على الرغم من آلامه ظل يراقب تفاصيل ملامحها طول الوقت..

القلق الشديد البادي على وجهها، العسل اللامع بمقلتيها، بدت بشرتها بيضاء وكأن الدماء قد غادرتها فزعاً، كلما لامست أناملها الباردة جروح وجهه شعر بالراحة وكأنها نبات سحري خرج من الحديقة لمداواة جروحه

كانت تتحاشى النظر نحوه طوال الوقت فعينيها لا تنظر سوى لموضع الكدمات من أجل معالجتها وفقط..

قالت له بعد أن انتهت:








ـ خلاص.. خلصت.

خالد:

ـ طبعاً وشي متشلفط!

إيناس:

ـ معلش يومين والكدمات حتروح وحيهدى إن شاء الله.

نظرت نحوه وهي تقول جملتها الأخيرة وعندها لاحظت تلك النظرة المتمعنة التي يوجهها نحوها..

بدأت في لملمة أشيائها وتابعت:

ـ هو بس حضرتك تحط عليها ثلج.

خالد:

ـ طيب عندك ثلج؟

إيناس:

ـ آه.. ثواني..

قامت وأحضرت له الثلج،على الرغم من ضيقها من نظراته في أغلب الأحيان وأحياناً خوفها إلا أنها شعرت بالشفقة من أجله فقد تعرض الليلة لتجربة سيئة مع الألم بل كاد أن يفقد حياته..

وضع خالد كيس الثلج على جبهته وتابع:

ـ إنتِ اللي شغلتِ الميه وإيدتِ النور صح؟

إيناس:

ـ أيوه.





خالد:

- بس كانوا ممكن ما يهربوش ويإذوكي لو عرفوا إنك لوحدك.

إيناس:

- أنا ما فكرتتش.. أنا شفت السكينة في إيد واحد منهم، اتخضيت وعملت كده.

خالد:

- خفتِ يموتوني؟

إيناس:

- هما ليه كانوا عايزين يموتوك؟

خالد:

- لا.. هما ما كانوش عايزين يموتوني.. ده كان مجرد تخويف!

إيناس بدهشة:

- تخويف!!!.. من إيه؟

خالد:

- مش مهم من إيه.. المهم إني أخاف وخلاص، وأعيش في قلق ده كافي إنه يبسطه!.

إيناس:

- هو مين ده؟

خالد:

- واحد.. أو جايز واحدة، بس الأكيد إني ما بسيبش حقي وواضح إني محتاج أفكرهم بده.





صمتت إيناس عندما شعرت بالنبرة الإنتقامية في حديثه نظر نحوها وتابع برقة:

ـ المهم إني لازم أشكرك على اللي عملتيه معايا النهارده.

إيناس:

ـ العفو يا فندم.. أنا ما عملتش غير الواجب.

ظل ينظر نحوها لوهلة صامتاً ثم استند على الطاولة وقام بالوقوف وتابع قائلاً:

ـ أنا متشكر على العناية الطبية المميزة دي، واضح إن الخيل عندي محظوظ لوجود دكتورة شاطرة زيك... أنا طبعاً مش حاقدر أنزل بكرة الشغل، فإنتِ حتكوني مكاني.. وياريت تبعتي لي دسوقي الصبح على الفيلا.

إيناس:

ـ حاضر.. حضرتك ما تقلقش.

ابتسم لها وتابع :

ـ تصبحي على خير.

إيناس:

ـ وحضرتك من أهله.

غادر خالد وتركها مع الأرق ..

ظلت بالحديقة تراقب السماء وتفكر فيما مر من أحداث..

تذكرت هجومه عليها ظناً منه أنها شخص آخر وكأنه كان يحلم..

قال "كارمن"

نعم.. إنها هي الصهباء التي جاءته منذ أيام..

يبدو أن وراءها الكثير من الأسرار وربما الخطر أيضاً.



الفصل العشرون:

على الرغم من أنها لم تنل قسطاً كافياً من النوم إلا أنها كانت تشعر بالنشاط..

توجهت مبكرة للإسطبلات ومارست عملها المعتاد بل شعرت بقدر من المسؤولية في غيابه..

أبلغت دسوقي أن خالد يطلبه بالفيلا، وبعد انتهاءها من عملها ذهبت لرعد..

كانت تقف أمامه، تطعمه قطع السكر المحلاة كما اعتادت وتتحدث.. تحدثت كثيراً، أخبرته عن ما حدث بالأمس وكأنه ليس بجواد لا بل صديق، صديق اعتادت أن تفرغ ما في جعبتها بأذنيه وهو يستمع لها دون كلل.

"تعرف طلع بينضرب عادي زينا!!!"

كانت تلك أول كلماتها بأذن رعد وكأن صورة خالد بقسوتها وغضبها قد تبعثرت أمامها عندما شاهدت الإعتداء عليه..

تابعت وهي تضحك بسخرية:

"كان حيبكي.. فعلاً من الألم حسيت إنه حيبكي لما كنت بطهر الجرح بس مسك نفسه.. عارف الجانب الشرير جوايا كان عايزه يبكي.. جايز ساعتها كنت ححس إنه ضعيف.. ضعيف زيي.. كان ممكن يموت.. تخيل ببساطة كده حد ينهي حياة إنسان.. زي ما يكون الموت ده حاجة سهلة.. هي الناس دي بتفكر إزاي؟!.. هي الناس دي بتحس زينا؟!.. ببساطة كده تلغي وجود إنسان.. يختفي.. تدور عليه ما تلاقيهوش"







كانت كلماتها الأخيرة متزامنة مع عبرات قوية انهمرت من عينيها.. هي لم تعد تعلم عن أيهما تتحدث؟!

خالد أم شريف!.

****

نظر له دسوقي يتفحص الجراح بوجهه بدهشة، ولكن يبدو أن جراح وجهه لم تؤثر على صوته الجهوري وغضبه الحاد الذي أفرغه في وجه الحارس المسكين..

كان محمد يقف مطئطئاً رأسه وهو يستمع لتوبيخ خالد..

خالد:

- أفهم بقى حراسة إيه والمزرعة سداح مداح!!.. دخلوا وخرجوا وحضرتك نايم على ودنك؟!!

محمد:

- يا بشمهندس.. يا بشمهندس ممكن يكونوا نطوا من على السور مش من البوابة.

خالد بغضب:

- سور إيه يا بنى آدم!!.. السور عندي كله حواليه شجر عمرهم ما حيعرفوا يعدوه.. هي البوابة عندك وإنت طبعا نايم في العسل جوه ولا دريت بيهم.

محمد:

- والله يا بشمهندس أول مرة تحصل وحد يفكر يهوب من المزرعة.

خالد:

- وأهي حصلت يا فالح.. لغاية ما اتصرف مش عايز نملة.. نملة.. تعدي من البوابة من غير إذني.. فاهم؟





محمد:

- مفهوم.. مفهوم يا بشمهندس.

خالد:

- دسوقي..

دسوقي:

- أمرك يا بشمهندس.

خالد:

- شوف لي اتنين رجالة من عندك.. يكونوا جامدين كده يساعدوا أخينا ده في الحراسة بالليل لغاية ما اتصرف فاهم؟

دسوقي:

- فاهم.

خالد:

- خلاص روح شوف شغلك إنت وهو.

غادر الرجلان مسرعان وظل هو وحده مع أفكاره..

كارمن، كريم، هو..

تكاد تكون دائرة مغلقة مستمرة في الدوران..

ماذا يفعل لكي يتخلص منهم؟..

هم من اقتحموا حياته في البداية..

هم وليس هو..





****

شعر حسن بالدهشة عندما وجد أكثر من عشرة مكالمات هاتفية من إيناس وبوقت متأخر..

أمسك بالهاتف واتصل بها على الفور..

حسن:

- دكتورة إيناس.. خير في إيه؟

إيناس:

- بشمهندس حسن.. أنا آسفة، بس حصلت حاجة إمبارح علشان كده اتصلت.

حسن:

- إيه اللي حصل؟.. أنا كنت نايم وقافل الجرس.. رقية كويسة؟

إيناس:

- ما تقلقش.. الموضوع ما لوش علاقة بمدام رقية.. ده البشمهندس خالد.

حسن:

- خالد!!.. في إيه؟

إيناس:

- حقول لك إيه!.. ناس إتهجموا عليه إمبارح بالليل وضربوه.. وبالحظ أنا شفت ده، وعلشان كده كنت بكلم حضرتك.

حسن:

- يا خبر!!. وحصل ايه؟.. هو كويس.

إيناس:





ـ أيوه كويس.. حضرتك ما تقلقش.. حضرتك ممكن تكلمه وتفهم منه أحسن مني.

حسن:

ـ خلاص يا إيناس، أنا حاكلمه دلوقتِ.

أغلق الهاتف وملامح الصدمة بادية على وجهه وقبل أن يتصل بخالد جاءه صوتها:

ـ ومين إيناس دي كمان؟.. إوعى تكون الثالثة!

سهام..

زوجته الثانية، كانت امرأة على قدر لا بأس به من الجمال قابلها في حفل زفاف صديق له ورشحها نفس هذا الصديق له كزوجة ..

كانت نصيحة له بأن يجرب حظه مرة أخرى لعله ينول ما يبتغي، وكأن النصيحة جاءت على هوى قلبه وعقله فاتبعها.. وبعد شهر واحد تزوج بسهام التي ظنت بحملها السريع أنها ستملك كل شيء وستقذف برقية خارج عالمها بكل يسر، ولكن حتى الآن ما زالت رقية هي الأولي وهي في المرتبة الثانية..

نظر حسن نحو سهام بضيق وتابع قائلاً:

ـ نعيماً يا ستي ممكن بقى تجهزي لي الفطار علشان رايح على الشغل.

سهام:

ـ شغل برده!.. مين دي اللي كنت بتكلمها؟

حسن:

ـ إيه يا سهام إنت فاضية ولا إيه!.. بقولك شغل.

سهام:

ـ كده بتشخط فيّ.. ماشي أشخط وخلي التوتر يأثر على الجنين.









حسن:

ـ مش وقت دلع يا سهام.. ولا علشان رقية مشيت فاكراها مشيت على طول.

سهام:

ـ والله براحتها بقى.. إنت مش فاضي تتحايل على حد، إبنك محتاج لك

حسن:

ـ ومش فاضي للت والعجن.. حضري الفطار علشان نازل حالاً.

قام من على الفراش وتركها لإتمام مكالمته مع خالد..

وتركته هي غاضبة لإعداد طعام الإفطار..

****

مر يومان..

لم يخرج خالد من المنزل ولكن كان يبدو على حسن الإنشغال الشديد فقد قام بتزويد الحراسة على بوابتيّ المزرعة، ونبه على جميع الحراس أن يراقبوا البوابات جيداً خاصةً في الليل..

كانت إيناس بمكتبها تنهي بعض الاوراق خاصةً أنها ستعود للقاهرة في نهاية الأسبوع حيث ستمضي أول أجازة بالمنزل.. رفعت بصرها فجأة لتجده واقفاً بالباب وعلى وجهه ابتسامة أعطته مظهراً جذابا على الرغم من الكدمات بوجهه..

نظر لها وتابع:

ـ شايفك مشغولة..

إيناس:





ـ اتفضل يا بشمهندس، حمد الله على السلامة.

خالد:

ـ الله يسلمك.. بس مش تسألي عليا بالتليفون حتى.. ما كنش قطن وبيتادين!

ابتسمت بخجل:

ـ أنا ما كنتش عايزة أزعج حضرتك.

خالد:

ـ لا إنتِ آخر واحدة ممكن تزعجيني.. ده إنتِ أنقذتيني.

إيناس:

ـ العفو يا بشمهندس.. قلت لحضرتك ده واجبي.

خالد:

ـ نازلة أجازة بعد بكرة صح؟

إيناس:

ـ أيوة.

خالد:

ـ مش عارف حد قال لك على المعلومة دي ولا لأ.. بس في ميني باص بيتحرك كل يوم الساعة ٩ الصبح لمصر وبيرجع من مصر الساعة ٥.. ده علشان يوصلك ويرجعك.. أغلب الموظفين بيتحركوا بيه.. كل واحد على حسب معاد أجازته.

إيناس:

ـ أنا فعلاً ما كنتش أعرف.. متشكرة.






خالد:

- هو بيتحرك من بوابة ١ في المزرعة التانية، حخلي بيسو يوصلك..

أومأت رأسها بابتسامة وصمتت تابع هو بعدها:

- أنا مش عايزك تقلقي من اللي حصل.. أنا زودت الحراسة على المزرعة ومش حاسمح لحد يرعبنا تاني.. أنا عايزك تكوني واثقة من ده.

كانت نبرته هادئة غاضبة وكأنه يتوعد كل من يفكر في العبث بممتلكاته..

وكأنه لا يقبل بأن يكون ضحية..

أو ربما لن يسمح بذلك.

****

تلك هي أول عطلة تقضيها بالمنزل..

مر حوالي شهر منذ غادرت أول مرة...

لم يتغير شيء، الأثاث مرتب كما هو، رائحة التوابل القوية تنبعث بقوة من المطبخ حيث تقبع والدتها منذ أمس تحضر لها كافة صنوف الطعام وكأن الطعام هو ترحيبها الخاص جداً لكل عزيز، وأخيها الأصغر يصرخ أمام ما يسمى بالبلاي ستيشن وكأن خسارته حقيقية، وأبيها جالس كعادته يتصفح الجريدة بإهتمام على الرغم من أن أكثر صفحاتها أصبحت مخصصة للإعلانات!!

كان عبد الرحمن يتفحص الجريدة بعين ويراقب إبنته الصغرى بعين أخرى..

كانت تبدو وكأنها غابت عنهم ليس فقط لشهر واحد، بل ثمان أشهر..

هي غائبة عنهم منذ موت شريف، الآن فقط عادت..

أصابه بعض القلق عندما انزوت بغرفتها لفترة، ولكنه قرر أن يطرد أفكار الشيطان من رأسه..





وعلى جانب آخر كانت هي تتعمد عدم فتح النافذة، وكأنها كانت تخاف مراقبة الشرفة، حتماً تغيرت، ربما تلمح رجل آخر أو ظل امرأة بمكانه وربما لا.. ربما تجد الشرفة كما هي، ربما تتجسد ذكراها من جديد...

تبددت أحلامها بمجرد أن فتحت النافذة، شهر.. شهر واحد بدّل كل شيء، اختفى المقعد الهزاز الذي كان إعتاد على الجلوس به ووضعت مكانه خزانة قبيحة تحمل صنوف من الثوم والبصل!!..

امرأة شاكية تصرخ بأطفالها وهي تقوم بنشر بعض قطع الملابس الغير متناسقة..

أغلقت النافذة سريعاً..

لقد رحل حقاً..

نعم رحل منذ ثمان أشهر..

وتغير كل شيء رغماً عنها..

طرقات والدها على الباب تزامنت مع إغلاقها للنافذة..

لم تستطع أن تخفي عبراتها..

جلس عبد الرحمن بجانب ابنته وجذبها لتستند على صدره وقال:

ـ ناس مزعجين قوي.. بس احتمال يمشوا كمان شهرين أو ثلاثة.

إيناس:

ـ هما مين دول؟

عبد الرحمن:

ـ اللي سكنوا في شقة شريف.

إيناس:



ـ خلاص ما بقتش شقة شريف.

عبد الرحمن:

ـ لو متضايقة ممكن أرجع أستأجرها تاني.

رفعت رأسه وقالت بإصرار:

ـ لأ.

عبد الرحمن:

ـ لأ مش عايزة؟

إيناس:

ـ ما لوش لزوم ولا معنى ولا حيجمل الحقيقة.. بس هو عايش جوايا يا بابا.. والله عايش جوايا.

عبد الرحمن:

ـ عارف يا حبيبتي.. عارف.

إيناس:

ـ طيب ليه المفروض أنساه؟.. ليه إنتم عايزيني أنساه؟..

عبد الرحمن:

ـ لا.. إحنا مش عايزينك تنسيه.. حتنسي جوزك إزاي؟!.. مستحيل حتنسيه.. إحنا بس خفنا تنسي نفسك، ولو نسيتِ نفسك حتنسيه يا إيناس.

إيناس:

ـ بس أنا خايفة أنساه، ولو نسيته حانسى إيناس اللي أعرفها حابقى واحدة تانية.



ابتسم عبد الرحمن لصغيرته وتابع:

ـ عارفة الدنيا دي يا إيناس على طول تعاكسنا.. تتلون من حوالينا، تفتكري حنفضل زي ما إحنا ولا حندخل جوه اللوحة ونبقى جزء منها؟

إيناس:

ـ بس بمزاجنا ولا غصب عننا؟

عبد الرحمن:

ـ الإتنين... ما هو يا كده يا حننقرض زي الديناصورات.

إيناس:

ـ بس مش شرط التغيير يكون للأحسن.

عبد الرحمن:

ـ عارف.. بس برده ضروري... أنا مثلاً اتغيرت.. عبد الرحمن الأب والجد، غير عبد الرحمن الشاب المتسرع اللي كان واخد الدنيا في دراعته..

إيناس:

ـ ودلوقتِ؟

عبد الرحمن:

ـ دلوقتِ كل همه يحوط عليكم.

إيناس:

ـ وسعيد ولا كنت زمان سعيد أكثر؟

عبد الرحمن:

ـ لا طبعاً دلوقتِ سعيد أكثر.. عارفة ليه؟








إيناس:

ـ ليه؟

عبد الرحمن:

ـ علشان كل يوم بيعدي في عمري بفهم نفسي أكثر وبكتشف حاجات جميلة كانت غايبة عني زمان.

إيناس:

ـ بابا.. ما كنتش أعرف إنك فيلسوف.

عبد الرحمن ضاحكاً:

ـ فيلسوف مرة واحدة!.. طيب ما تقوليش لأمك، خليها مع الثوم والملوخية بتاعتها.. بس بصراحة أنا جعت من الريحة.

إيناس:

ـ وانا كمان.

عبد الرحمن:

ـ يبقى ناكل ونشرب شاي ونتفرج على التليفزيون ونبطل تفكير.. هه..

قال ذلك وقد ضربها برقة على رأسها ثم تابع:

ـ سيبيها كده بالبركة، وقومي صلي وادعي لشريف يا حبيبتي.. لا ينقطع عمل إبن آدم إلا من ثلاث..

إيناس وقد تجمعت العبرات بعينيها:

ـ صح.. أنا لازم أدعي له كتير يا بابا، وكمان حاعمل له صدقة جارية.. بكرة حانزل أعملها يا بابا علشان خاطر شريف.

عبد الرحمن:



ـ حاضر يا حبيبتي.. فكري إنتِ عايزة تعملي إيه وبكرة حاجي معاكِ

وبالفعل قضت إيناس ليلتها تصلي وتدعو لزوجها الراحل وتفكر في الصدقة الجارية، فقد أضاعت ثمان أشهر في الذكريات فقط.. وربما حان الآن وقت شريف لعلها تستطيع أن ترسل له برقيات متقطعة من عالم الأحياء.

****

بخطوات واثقة كان يتجه نحو البناية..

مرت حوالي ثلاث سنوات، كانت تبدو قاتمة، قبيحة..

هل حقاً تغيرت البناية أم هو من تغير؟..

ففي زيارته الأولى كان مدفوعاً برغبة عارمة من أجل الحصول على ما يريد، ولكن الآن الأمر اختلف..

وصل أخيراً لباب الشقة وبيد واثقة دق الجرس..

يكاد يستمع لخطواتها وهي تقترب من الباب وبسعادة ممزوجة بثقة استقبلته عيناها..

كانت تبدو جميلة، لا بل متأنقة وكأنها منتظرة قدومه..

ابتسمت بمكر ودعته للدخول وهي تنطق بعبارتها بدلال:

ـ كنت مستنياك!

دلف بهدوء بعد أن نظر بثقة لعينيها..

اقتربت منه بدهشة وامتدت أناملها الرفيعة لملامسة وجهه..

قالت بصوت هادئ:

ـ علاجك عندي.

تركته وتوجهت للداخل ثم عادت وبيدها أنبوب صغير..



وضعت القليل من محتواه على أصابعها واقتربت منه..

ابتعد عنها بدهشة قائلاً:

ـ حتعملي إيه؟

كارمن:

ـ الكريم ده حيهديها خالص.

اقتربت منه مرة أخرى وتابعت وضع الكريم على وجهه..

كانت ملامحها هادئة، سعيدة!

ظل مستسلماً لأناملها ربما لشعوره براحه فورية وكأنها تمسك بدهان سحري، لم يخلصه من ألم كدماته فقط بل من مظهرها أيضاً..

نظر نحوها ساخراً:

ـ يقتل القتيل ويمشي في جنازته!

كارمن:

ـ بعد الشر.

خالد:

ـ لا والله!!

كارمن:

ـ جيت علشان أنبهك وإنت ما ادتنيش فرصة

خالد:

ـ والمفروض إني أصدق؟!

كارمن:







- إنت حر.

تركته واتجهت نحو الأريكة جلست عليها بعبث ورفعت كلتا قدماها فوقها وتابعت:

- فاكر من ٣ سنين طلبت مني الجواز وإنت قاعد هنا بالضبط، كانت أسعد لحظة في حياتي.

نظرت نحوه فجأة..

كانت زرقة البحر بعينيها لامعة أو ربما تبدو كأمواج ثائرة..

قالت بسخرية:

- إنت جيت النهارده ليه؟

خالد:

- برد الزيارة!

كارمن:

- ياه.. حتضرب واحدة ست!

اقترب منها وأحاط جسدها بذراعيه مستنداً على الأريكة..

بادرها بنظرة تحمل قدراً كبيراً من الغضب وتابع:

- بلاش الأسلوب ده معايا.. وقولي لكريم إني مش بسيب حقي، وأظن هو عارف ده كويس..

ابتسمت بسخرية:

- وأنا وضعي إيه في المعادلة دي؟

خالد:












ـ دورك انتهى يا كارمن.. ونصيحة ما تحاوليش تجدديه تاني.

اقربت منه بجرأة وقالت هامسة:

ـ متأكد؟

ابتسم بمكر وتابع:

ـ طبعاً.

تابعت بثقة:

ـ حنشوف!.

اقترب منها بخبث حتى كادت أن تستسلم له ولقبلته المنتظرة، ولكنه تركها في اللحظة الأخيرة وابتسم بسخرية قائلاً:

ـ مش خالد رضوان اللي حتعرفي تضحكي عليه..

لامس وجنتها بقبضته وهو يتابع:

ـ فوقي..

أزاحت قبضته عنها بغضب..

ودعها بيده بسخرية وقذف قبلة باردة في الهواء ورحل..

قبلة باردة ربما لا تتناسب مع شعلة الغضب المتأججة داخلها فأسوء أنواع الغضب هو غضب العاشق..

الفصل الحادي العشرون:





لم تصدق رقية أذنيها عندما استمعت لصوت إيناس الرقيق بالهاتف

رقية:

- إيناس!!.. وحشتيني.

إيناس:

- إنتِ كمان وحشتيني قوي.. المزرعة وحشة من غيرك.

رقية:

- معلش.

إيناس:

- حترجعي إمتى؟

رقية:

- لسه مش عارفة يا أنوس.

إيناس:

- إرجعي بقى ما تسيبيناش لوحدنا.. شوفتِ لما سيبتينا إيه اللي حصل!!

رقية بدهشة:

- حصل إيه؟

إيناس :

- هو أستاذ حسن ما قالش ليكي؟

رقية بتلعثم:

- لا ما قالش حاجة.. حصل إيه؟!



أخفضت إيناس صوتها حتى لا تستمع والدتها إليها وتابعت:

ـ في ناس هجموا بالليل على المزرعة.. وضربوا بشمهندس خالد.

رقية:

ـ إيه!!.. مين دول؟.. وضربوه ليه؟..

إيناس:

ـ ما اعرفش شكلهم حد مسلطهم عليه.. أنا مش عارفة أحكي لك بالتفصيل علشان عندي في البيت ما يعرفوش.

رقية:

ـ إنتِ في البيت؟

إيناس:

ـ ايوه.. نزلت أجازة إمبارح وحارجع بكرة.. يلا تعالي نرجع سوا.. ولا حتسيبيني لوحدي كده في وسط شغل العصابات ده.

رقية:

ـ خلاص بكرة حتلاقيني في الباص، نركبه مع بعض وتحكي لي بالتفصيل.

إيناس:

ـ بجد!.. كويس قوي.. يبقى معادنا بكرة إن شاء الله.

أغلقت رقية الهاتف وكأنها تعللت بطلب إيناس لتعود..

أقنعت نفسها أن عودتها من أجل المسكينة إيناس التى تركتها وحيدة وليس من أجله هو..

هاتفها حسن مراراً وتكراراً في الأيام السابقة يسألها عن موعد عودتها..









يخبرها عن نومه دون طعام جيد..

وعن وحدته المملة، علها تعود..

دون جدوى..

والآن هي ستعود..

نعم..

فهي لا تحتمل الوحدة.. فالوحدة قاتمة كئيبة.. عجوز تسرق الحياة.. إذاً..

هي ستعود من أجل الحياة، وليس من أجل حسن..

نعم..

ليس من أجله، بل من أجلها هي.

****

غادرت إيناس منزلها للحاق بالحافلة فموعدها في الخامسة مساءً.. استقرت في أحد سيارات الأجرة التي انطلقت تشق الزحام نحو الموقع المنشود..

كانت جالسة بالخلف تتأمل الطريق..

ما هذا؟!..

هل تساعدك العزلة على التأمل؟ التعمق في ماهية الأشياء؟..

طالما مرت من هذا الطريق لسنوات ولكن الآن فقط تشعر أنها تراه..

وجوه قاتمة اعتادت الزحام، أو ربما اعتادها فأصبحوا كياناً واحداً..

رائحة العوادم طغت على طبيعة الهواء..





معزوفة صاخبة شكلتها أبواق السيارت حتى توقفت الأذان عن تذوق الأصوات وشُل العقل عن التفكير، عن التأمل..

فأصبح الجميع كالماكينات يتحركون دون وعي ، دون إدراك بالتغيير الذي يحدث حولهم..

ربما كالأرض تدور في الفلك وتدور حول نفسها دون أن نشعر بذلك..

نعم..

استغرقنا آلاف السنوات لنعرف أنها كروية تدور، وتدور ونحن معها..

وكأننا نتغير في كل لحظة دون وعي.. دون إدراك..

*****

كانت رقية تستمع لها بدهشة وإيناس تقص عليها تفاصيل ما حدث في تلك الليلة والإعتداء على خالد ..

كانت ملامح الصدمة بادية على وجهها وهي تقول:

ـ مش ممكن اللي بتحكيه ده يا إيناس!!

إيناس:

ـ آه والله.. زي ما بقولك.

رقية:

ـ طيب وليه ما كلمتيش حسن؟

إيناس:

ـ كلمته كتير بس تليفونه ما ردش.

رقية:










ـ آه.. تلاقيه كان قافل الجرس، وحتى لو مش قافله هو أصلاً نومه تقيل.

إيناس:

ـ كان يوم.. بس بشمهندس حسن وبشمهندس خالد من ساعتها مشغولين بتأمين المكان.. وزودوا حراسة كمان.

رقية:

ـ ماهو لازم يعمل كده.

إيناس:

ـ تفتكري ليه الناس دي عايزة تأذيه؟

رقية:

ـ هو ما قالش قدامك مين؟

إيناس:

ـ لأ.

رقية:

ـ عموماً هو ما فيش غيرهم.

إيناس:

ـ مين دول؟

رقية:

ـ ولاد مختار.. هي العداوة مع ولاد مختار.

إيناس بدهشة:

ـ مختار مين؟








رقية:

ـ مختار ده كان جوز أم خالد.. راجل بقى.. يلا حقول ايه.. دلوقتِ هو عند ربنا.. كان مثال زوج الأم السئ لخالد، وكمان سرق ماله.

إيناس:

ـ معقول!!

رقية:

ـ خالد بقى رجع حقه بعد كده من ولاده، وفي الآخر كريم إتسجن.. وكارمن كان حسن بيقول سافرت برة مصر.

انتبهت إيناس للإسم وتابعت:

ـ كارمن!.. إنتِ بتقولي كارمن؟

رقية:

ـ أيوة.. اسمها كارمن.. استغربتِ ليه؟

إيناس:

ـ أصل من كام يوم جات واحدة المزرعة تزور خالد وكان قدامي.. وقال لها إزيك يا كارمن..

رقية:

ـ معقول رجعت!!.. وكمان جت المزرعة!.. لا كده يبقى أكيد ليها يد في الموضوع.. ده أصل كارمن وخالد دول حكاية ملعبكة قوي.. حسن نفسه مش فاهم هو كان بيحبها ولا لأ.

إيناس:

ـ بيحبها!.. كانت حبيبته؟





رقية بإبتسامة ساخرة:

ـ كانت مراته.

إيناس:

ـ مراته!

رقية:

ـ مش بقول لك حكاية ملعبكة.. أنا نفسي ما اعرفش تفاصيلها ومش فاهماها، بس اللي أعرفه إنها أسوأ علاقة بين اتنين كانت مستحيل تنجح.

انتهت رقية من حديثها لكن استمرت إيناس في التفكير بالصهباء وما تلى زيارتها..

لم تكن تتوقع أن هناك عشقٌ سالف خلف الأمر..

يبدو أن خالد يخفي الكثير خلف هذا الوجه المتجهم.

****

لم يصدق حسن نفسه عندما لمحها مع إيناس..

ترك خالد الذي كان يقف مع بعض العمال يستفسر عن العمل وتوجه نحوهما وابتسامة واسعة تملأ ثغره..

اقترب حسن من رقية قائلاً:

ـ إيه المفاجئة الحلوة دي!.. طيب ما قولتيش ليه علشان أجيبك بالعربية؟

رقية:

ـ إيناس بقى شجعتني وجينا سوا.



حسن:

- حمد الله على السلامة يا دكتورة.

إيناس:

- الله يسلمك يا بشمهندس.

جاء صوت خالد الأجش وهو يقترب نحوهم بدوره قائلاً:

- مدام رقية.. المزرعة نورت، حمد الله على السلامة.

رقية:

- الله يسلمك يا بشمهندس.

توجه خالد بنظره نحو إيناس وتابع:

- إزيك يا دكتورة؟

إيناس:

- الحمد لله.. إزيك يا بشمهندس.

خالد:

- من بكرة ورانا شغل كتير..ححتاجك تركزي مع سهيلة لغاية ما نعرف في حمل ولا لأ.

إيناس:

- ما تقلقش حضرتك.

حسن:

- طيب عن إذنكم إحنا بقى

أمسك بيديها وتوجها للمنزل..



كان يبدو كالطفل المشتاق لأمه..

ثغره الباسم يعبر عنه وشوق عينيه يكاد يفضحه..

نظر خالد نحوهما ثم توجه لحديثه لإيناس قائلاً:

- كويس إنك رجعتيها.. حسن ما يقدرش يستغنى عنها.

إيناس وقد اندهشت من حديثه والتطرق لهذا الأمر الشخصي:

- ربنا يخليهم لبعض.

خالد:

- هو بيحبها قوي.. على فكرة مش معنى إنه إتجوز عليها إنه ما بيحبهاش!

استدارت له وقد تمكنت الدهشة من شعاع العسل بعينيها..

تمتمت قائلة:

- إيه!!.. هو البشمهندس حسن متجوز؟!

خالد بلامبالاة:

- ما كونتيش تعرفي؟

إيناس:

- لأ.

خالد :

- عادي.. حتى اللي عارفين مننا مش بيتكلموا في الموضوع.. رقية نفسها عاملة مش واخدة بالها!

إيناس:

- يعني إيه مش فاهمة؟







خالد:

- يعني عارفة إنه متجوز وما واجهتوش

إيناس:

- هو إتجوز من وراها؟

خالد:

- كان شايف إنه كده بيحافظ على شعورها وعلى حياتهم مع بعض.

إيناس وقد تبدلت ملامحها فقطبت جبينها وزمت شفتيها وتابعت: - اتجوز علشان الخلفة صح؟

خالد:

- من حقه إنه يبقى أب.

إيناس:

- وهي من حقها تكون أم.

خالد:

- بس المشكلة عندها هي.

إيناس:

- ولو كانت عنده كان حيكون من حقها تسيبه؟

خالد:

- لا.. لا.. الأمر يختلف.

إيناس:

- يعني إيه يختلف؟



خالد:

ـ هو ما سابهاش، لكن لو هي مكانه كانت لازم حتسيبه.. هو حقق رغبته وبرده حافظ عليها.

إيناس:

ـ بس جرح مشاعرها.

خالد:

ـ وليه نصعبها؟.. هو عنده حق وأخذ حقه، دي كل الحكاية.

إيناس:

ـ وهو لما كل واحد عنده حق لازم ياخده، مين اللي حيدي؟.. مين اللي حيضحي؟.

خالد:

ـ أعذريني يا دكتورة.. نظرتك للأمور حالمة قوي، الواقع حاجة تانية.

إيناس:

ـ الواقع إن كل واحد بيفكر في نفسه وبس.

خالد:

ـ معلش يعني ما تقتنعيش إنك مش حتفكري في نفسك في وقت من الأوقات!

إيناس:

ـ نعم!.. حضرتك تقصد إيه؟..

خالد:

ـ يعني حتتجوزي يا دكتورة.. وتبقى أم زي كل ست.





نظرت نحوه بدهشة ممزوجة بغضب..

كادت أن تجيبه، ولكن بماذا؟.. وبأي حق تعطيه جوابها؟. استدارت وتركته غاضبة، غضب جعله يندم في لحظتها على ذكر هذا الأمر..

تبعها وهو يقول:

- دكتورة إيناس..

ولكنها لم تجبه وأسرعت خطاها للإبتعاد عنه، فما كان منه إلا أن أسرع خطاه بدوره وهي يقول:

- إيناس.. إستني..

تخطاها واعترض طريقها ثم تابع:

- أرجوكِ.. إستني..

إيناس:

- لو سمحت يا بشمهندس.. خليني أعدي..

خالد:

- أنا آسف.. مش عارف أنا قلت كده إزاي!

لم تنظر نحوه..

ظلت واجمة.. غاضبة..

أطرقت رأسها لتتجنب النظر نحوه..

شعر هو بالندم خاصةً عندما تمعن بالنظر في ملامحها التي تمكن منها الحزن في النهاية وانطفأ شعاع العسل بعينيها وكأنه خطيئة تسعى لإخفاءها..

تابع بعدها بصوت أكثر رقة:





- أنا أول مرة أعتذر لحد في حياتي.. وغالباً حتكون آخر مرة، فأعتقد إننا لازم نسجل اللحظة التاريخية دي!

رفعت عينيها ورمقته بنظرة ساخرة وكأنها لا تصدق ما يقول..

منذ يومان كان مكوماً بالأرض يستجدي النجاة، والآن يقدم إعتذاره بغطرسة ليس لها مثيل..

صمتت قليلاً ثم نظرت نحوه بجدية وتابعت:

- هو فعلاً يا بشمهندس حضرتك مش حتعتذر تاني، لإن دي آخر مرة حضرتك حتتكلم معايا في موضوع شخصي كده لإنه ببساطة مش من حقك.. عن إذنك.

دلت بدلوها وتركته وعلى ثغره ابتسامة ساخرة..

تتملكه حالة غريبة وكأنها مزيج من الإعجاب والغضب!

****

نظر للحارس دون اكتراث وهو ينطق باسمه:

- كريم مختار.. يلا قوم.. فز، عندك زيارة.

كريم:

- بس ده مش معاد زيارة.

الحارس:

- إنت حتحكي معايا يا بجم إنت.. قوم من غير كلام.

نظر نحوه أحد زملاءه بالعنبر وتابع بسخرية:

- قوم معاه يا كيمو، جايز المزة اللي بتزورك.. هي اللي زي دي يتقفل في وشها باب!



نظر له كريم بغضب ثم هجم عليه بشراسة حتى كاد يقتلع عينيه وهو يقول:

ـ اسكت يا كلب.. هه، اتعلم تتكلم كويس عن أسيادك.

خلص الحراس المسجون من قبضة كريم الغاضب بصعوبة..

كريم الذي كان كالحمل الوديع في بداية أيام سجنه، يتلقى الإهانات ببذخ من الصغير قبل الكبير، ولكن الآن إختلف، إختلف كل شيء، يبدو أنه التغيير .

كان يتحرك خلف الحارس بخطوات عابثة حتى وصل للحجرة، ولكن لم تكن كارمن هي الزائر بل كان آخر..

آخر لم يغب عن فكره لسنوات وها هو الآن أمامه..

كان خالد جالساً على المقعد يتفحصه بنظراته الحادة..

ما زالت ملامحه كما هي، ربما زادت بأساً مثل الشعيرات البيضاء التي هاجمته منذ شبابه ،والآن تمكنت من أغلب خصلات شعره.. كان يراه كالمسخ وكأن جميع خطايا مختار تجمعت في وجه كريم ببشرته الشاحبه وعيونه الزرقاء وشعره الرمادي الذي يبدو كرماد البركان..

وفوق هذا كله نظرته الحاقدة..

قال له خالد ساخراً:

ـ إتفضل يا كريم بيه زي بيتك برده!

تقدم كريم منه ساخراً وجلس بزهوٍ كاذب في الكرسي المقابل له وتابع بدوره:

ـ وليه زي بيتي ما هو بيتي فعلاً!

خالد:

ـ تصدق لايق عليك.



اقترب منه كريم كالفهد حتى اقترب منه وشعر خالد برائحة أنفاسه الكريهة، ولكنه لم يحرك ساكناً بل دون أن ترتجف أهدابه ولو للحظة

تابع كريم بنبرة حاقدة:

ـ برده اللي في وشك لايق عليك!

"مشيراً إلى كدمات وجهه"

نظر خالد بحدة لكريم وقال بدوره:

ـ لو على البلطجية ممكن أسلط عليك اللي يندمك على اليوم اللي اتولدت فيه، وصدقني في كتير هنا نفسهم يخدموني فيكِ

كريم بتحدي:

ـ وريني نفسك!

خالد:

ـ لا.. وريني إنت عرض قفاك، فاهم يعني إيه؟.. يعني لو حد قرب من المزرعة تاني حاقطع رجله ورجلك قبليه، فاتقي شري.. وأظن إنت عندك خبرة في الموضوع ده.

كريم بسخرية:

ـ أنا عندي، بس واضح إن إنت ما عندكش.

خالد:

ـ يعني مفيش فايدة؟

كريم:

ـ خد بالك من نفسك كويس وما تفتحش الباب لحد ما تعرفوش يا شاطر.. هه!

خالد:











ـ إنت اللي خد بالك من نفسك كويس يا.. شاطر!

خرج خالد كاتماً غضبه..

أمسك بالهاتف واتصل بأحدهم قبل أن يتوجه للسيارة:

ـ نفِذ.

****

هل حقاً أحببتك؟

أم هو هذيان قلبٍ متأرجح بين الرغبة والإحجام؟

وكأنني نسيتك!!........

غابت ملامحك عني على مر الأعوام..

والآن بعد التلاقِ عاد القلب لينبض مع رؤيا.......

قلبي الأحمق من يجذبني خلفه كالعمياء...

أتجول دون بصر في غابة أفكارك.........

أفكار سوداء متقلبةً تبعاً للأهواء...

أهواءك أنت...........

فأنت رجلٌ لا يرى سوى بغض الأشياء....

لا أعلم أكنت امرأتك تعشقتي........

تسقيني اللذة بسخاء...

أم كنت مجرد سُلم ألقيته بعبثٍ بعد لحاقك بركب غايتك العصماء...

معشوقي...









تبتغي الحب وقتما تريد وتُعرض عنه وقتما تشاء...

لا...........

الآن حان دوري...........

أكون أو لا أكون...

عفواً هاملت..........

كارمن هي من عادت الآن....

لا لست بكارمن بيزيه...........

لست برذيلة........

لست بإغواء.........

أنا مجرد امرأة تمكن منها الحُب...........

نعم عشقت بسخاء...............

الفصل الثاني والعشرون:

ارتشف القليل من عصير البرتقال ثم وضعه جانباً ونظر نحوها وهو يزفر بغضب مصطنع:

ـ العصير من غير سكر يا أبلة روكا.

نظرت رقية نحوه ضاحكة:





- ده أحلى حاجة فيه مزازته.

حمزة:

- مزازته!.. مش شارب هاتي لي فراولة.

رقية:

- يا بني بلاش عندك حساسية منها.

حمزة وقد قطب جبينه مثل الأطفال:

- بس أنا بحب الفراولة.

رقية:

- فاكر وإنت صغير كنت بتقولها فرررلاولة.

ابتسم حتى ظهرت غمازتي ثغره ثم تابع:

- وكنت باصعب عليكِ

رقية:

- آه.. وكنت أديلك ومامتك يا عيني تلاقيك قلبت أحمر بعد كده.

حمزة:

- ماله اللون الأحمر ده حتى موضة!

رقية:

- كانت أيام حلوة.

حمزة:

- ودلوقتِ برده أيام حلوة.








رقية:

ـ أهي كلها أيام يا حمزة!

حمزة:

ـ أبلة روكا؟

رقية:

ـ نعم يا حبيبي..

حمزة:

ـ سافرتِ ليه ورجعتِ ليه؟

ابتسمت بسخرية ربما لتخفي دهشتها من سؤاله، ارتبكت قليلاً ثم تابعت:

ـ وإنت إديتني الكتاب ليه؟

نظر نحوها بعمق..

ربما لأول مرة تلمس تلك النظرة العميقة بعيون هذا الشاب الصغير..

فرك صدغيه وتابع وهو ينظر نحو الأرض:

ـ مش عارف.. حسيت إن الدنيا بتتحرك من حواليكي وإنتِ ثابتة مكانك، ولو ما اتحركتيش معاها حتسيبك وتمشي، فكان لازم أديكي الكتاب لإني مقدرش أقول لك تعملي إيه، بس أقدر أخليكِ تفكري حتعملي إيه.

دمعت عيناها وتابعت بصوت مرتجف:

ـ بس أوقات بيكون عدم التفكير راحة يا حمزة.

حمزة:

ـ آه.. بس راحة وقتيه مؤقتة، يعني بالبلدي كده بنضحك على نفسنا.





رقية:

- يعني إنت شايف إني بضحك على نفسي؟

حمزة:

- كنتِ بتضحكي على نفسك، لكن أعتقد دلوقتِ خلاص.

ابتسمت له رقية ولكنها لم تجب على سؤاله، بل شردت في سؤاله..

لماذا عادت؟..

عادت من أجلها؟.. أم من أجل حسن؟.. أم ربما من أجل كلاهما؟!..

حسن طفلها المدلل..

كيف لها أن لا تعود؟..

ألم تكن تنتظر إتصاله كل ليلة حتى تطمئن عليه؟..

ألم تفتقد رائحة عطره على وسادتها؟..

قلقها الدائم في الليل لتتأكد أنه مدثر بغطائه ثم توقن في النهاية أنه ليس بجانبها!

زجاجة المياه التي دأبت على وضعها كل ليلة بجانب فراشها ليملأ جوفه بالمياه بمجرد استيقاظه كما اعتاد..

كانت تستيقظ في الصباح تنظر نحو الزجاجة ساخرة موقنة أنها وحيدة بدونه، بل وصل بها الأمر بوضع بعض شرائح الليمون في فنجان الشاي المسائي مثلما إعتاد وشربته هي في النهاية وكأنها.. هو!

لماذا رحلت؟..

لا تعلم ربما رحلت لتعود!

أخرجها صوت حمزة من شرودها:









ـ أبلة روكا.. روحتِ فين؟!

رقية:

ـ ما فيش يا حبيبي.. سرحت شوية.. بقول لك إيه أقعد إتغدى معانا.

حمزة:

ـ لا مش حينفع.. إلا صحيح أخبار إيناس إيه؟

رقية بابتسامة:

ـ كويسة.

حمزة:

ـ إيه بتضحكي على إيه؟

رقية:

ـ ما فيش.. بس باين عليك قوي إنك مهتم.. إتقل شوية.

حمزة:

ـ مشكلتي إني بما اعرفش ما إنتِ عارفاني اللي هنا.. هنا

قال جملته وهو يشير لقلبه ثم للفراغ حوله يقصد خروج مكنون قلبه دوماً رغماً عنه..

تابعت رقية:

ـ بس إيناس يا حمزة لسه عايشة في ذكرى جوزها.

حمزة:

ـ تعرفي إن إيناس زيك محتاجة تقرأ الكتاب.

رقية:



ـ برده!!

حمزة:

ـ هي محتاجة تفهم إن الحياة لازم حتمشي، مش حتوقف بعد موت شريف.. والحياة دي تشمل كل حاجه شغلها.. أسرتها.. مشاعرها..

رقية:

ـ صعب قوي دلوقتِ يا حمزة.. إيناس حتهرب من أول تلميح صريح من أي راجل يقابلها.. حتعتبر ده تعدي على ممتلكات شريف.

حمزة:

ـ ده وفاء؟

رقية:

ـ الست غير الراجل يا حمزة.. الراجل بيحب علشان يتجوز، فدايماً تلاقيه حب الست اللي ينفع تكون مراته يعني بيحسبها بعقله وقلبه.. على عكس الست لما بتحب ما تحسبهاش.. ممكن يكون أناني.. قاسي.. قوي.. ضعيف.. أو حتى ميت!.. إيناس من النوعية دي.. إيناس مش حتتجوز إلا إذا حبت يا حمزة.

صمت حمزة قليلاً وابتسم بسخرية فنظرت له رقية بدهشة وتابعت:

ـ إيه تحليلي مش عاجبك؟

حمزة:

ـ لا.. بس كده حسب تحليلك ده.. أبقى أنا ست!

ضحكت رقية بشدة حتى أدمعت عيناها وحمزة معها..

خلعت قبعته وعبثت بشعيراته المسترسلة وتابعت:

ـ كده يا حمزة اللي حتكون من نصيبك بجد حتكون محظوظة قوي.. يا ريت يا إيناس تطلعي محظوظة، بس نصيحة مني إديها وقتها ما تستعجلش.

حمزة:

ـ ماشي.. حاسمع كلامك ونشوف.

****

تسير بخطوات مرتجفة..

قرقعة حذائها مزعجة بل مرتبكة..

لم يتحمل حذائها الرقيق تشققات الأرض المهترئة تحت قدميها.. تعثرت، هوت أرضاً...

امتدت لها أكثر من يد لمساعدتها على النهوض، وجوه غريبة، بالية وكأنها ظهرت من العدم..

أخيراً وصلت..

كان ممدداً على الفراش متزيناً بجبائر بيضاء أحاطت كلتا ذراعيه وقدمه اليمنى..

قتربت منه في حذر..

نظر لها ساخراً وتابع بصوت ضعيف:

ـ فضلت مستني رسالته أسبوع.. أخيراً وصلت!

نظرت نحوه في دهشة وتابعت:

ـ كنت عارف؟

كريم:





ـ طبعاً.. هو قال لي.

كارمن:

ـ بعت لك ناس السجن؟

كريم ساخراً:

ـ حيبعت بلطجية من بره!!.. ما السجن مليان.

كارمن:

ـ إزاي؟.. هما عملوا فيك إيه؟

كريم:

ـ عادي.. بيكسر رجلي قبل ما أفكر أهوب ناحيته تاني.

كارمن:

ـ بيخوفك؟

كريم:

ـ بيقول لي إنه ما بيخافش.

كارمن:

ـ هو عنيد وإنت عارف.

كريم:

ـ ومغرور.. وغروره ده حيجيبه ورا.. وعلى إيدي.

كارمن مستهزئة:

ـ إزاي بقى؟













كريم:

ـ سيبيه شوية.. شهر.. اتنين.. خليه يفتكر إني خفت.

كارمن:

ـ وبعدين؟

كريم:

ـ ولا قبلين.. حارجع تاني وبضربة أقوى.

كارمن:

ـ أنا مش فاهمة.. إيه شغل عسكر وحرامية ده!.. ما تخلص مرة واحده وخلاص.

نظر نحوها بحدة وشهوة الإنتقام متملكة من عينيه:

ـ لأ.. لازم يعيش في قلق شوية.. يخاف والنوم يطير من عينه، زي ما طار من عيني طول سنين السجن.. لازم يتربى.

كانت صامتة..

تغير كريم..

لم يعد هذا الشاب العابث الذي يسعى خلف ملذاته دون إعتبار، بل تمكن منه الحقد حتى النخاع..

هل هي مثله؟..

هل مشاعر الحقد هي صاحبة اليد العليا الآن؟..

من ستختار حقد كريم؟.. أم عشق خالد؟..

ولكنها هي العاشقة وليس هو..

هو مجرد حاقد مثل كريم..





كلاهما مدفوع بشهوة الإنتقام فقط لا غير..

كلاهما إستغلها.ز

كلٌ بطريقته..

زفرت بملل ثم تابعت:

ـ وأنا إيه المطلوب مني دلوقتِ؟

ابتسم بمكر وتابع:

ـ الإخلاص.

نظرت نحوه بدهشة:

ـ الإخلاص!!

كريم:

ـ أيوه.. يعني دماغك الجميلة دي ما تسرحش ويضحك عليكِ بكلمتين تاني.

ضحكت بسخرية..

كانت ضحكتها رنانة قوية، خيُل إليها أن جميع الجدران قد استوعبتها ووزعتها خلال المشفى البائس تابعت بثقة:

ـ لا.. ما تقلقش من الموضوع ده خالص.. حتى لو أنا غبية، هو مش حيعملها.

كريم:

ـ خلاص.. اختفي شهر لا تكلميه.. ولا تروحيله.. خليه يفتكر إنه انتصر وإن تهويشه خوفنا.

كارمن:

ـ وبعدين؟








كريم:

ـ بعدين.. أنا حقولك تعملي ايه.

****

كانت الأمور تبدو على حالها بالمزرعة فرقية وحسن عادا لحياتهما الرتيبة، ولكن هذا من الخارج فقط فخلف الأبواب المغلقة اختلف الأمر..

تغيرت رقية..

تارة تكون هادئة مسالمة كعادتها.. وتارة تتصرف بعصبية شديدة، تغضب بلا سبب، وتصرخ بحسن لمجرد هفوة أو خطأ صغير.. وعلى الرغم من ذلك تعامل هو معها بصبر شديد ليس من شيمه، بل انقطع عن زيارة سهام بحجة العمل مما أثار جنونها فأصبحت تهاتفه على جواله أكثر من أربع مرات باليوم متحججة بالجنين بأحشائها..

وحمزة ظل يسترق الزيارات لإيناس من وقت لآخر تستقبله بفتور اعتاده، فتور كاد أن يتطور لغضب جامح عندما أخبرها أن ما ترتديه أظهر جمال عينيها.

وعلى جانب آخر انشغل خالد بكل تفصيلة صغيرةً كانت أو كبيرة بخصوص العمل، وكأنه كان يستشعر الغدر من كريم ويتأهب للتصدي له..

وهي أيضاً..

منذ حديثهما الأخير هي تتجنبه..

تتوجه مبكرة للإسطبلات وترحل قبل قدومه، وكأنها آثرت تجنب الحديث معه، بل تجنبت رعد!..

فمرورها على الجواد المسكين انقطع..

وكأن رعد هو خالد، وخالد هو رعد..



فكلما اقتربت من رعد سيقترب منها خالد، فربما إذا ابتعدت عن رعد يبتعد هو عنها ولا يتدخل في شئونها مرة أخرى..

كانت قد علمت لتوها نتيجة اختبار الحمل لدى سهيلة..

كانت تعلم أنه يتنظر النتيجة بفارغ الصبر..

مر حوالي شهر على حديثه الفج..

قررت التعامل مع الأمر بحرفية..

كان هو يتفحص بعض الأوراق بمكتبه عندما سمع نقرات خفيفة على الباب..

لا يعلم لماذا ظل متسمراً لدقائق عندما رآها..

كانت تبدو كالشمس في طلتها، وكأن ظلام الحجرة القاتم قد تبدد بحضورها..

إستدرك نفسه وطلب منها الدخول..

اقتربت إيناس من المكتب ودون أن تجلس ناولته التقرير

نظر لها بدهشة وقال:

ـ إيه ده؟!

إيناس:

ـ دي نتيجة تحليل الدم لسهيلة.. مبروك.

انفرجت أساريره وتابع:

ـ ياه.. كويس جداً.

إيناس:

ـ أنا نبهت على السايس بتعليمات معينة في الأكل ونظافة الميه.. كمان الحركة والمجهود حتكون بحساب.





خالد:

- بتاعتك.. إعملي اللي إنتِ عايزاه.

إيناس:

- تمام عن إذن حضرتك.

خالد:

- إيناس..

استدارت له بعد أن همت بالخروج وكان لديه حالة من الإصرار على رفع الكلفة بينهما..

قالت بجدية :

- نعم يا بشمهندس.

خالد:

- الشهور بتاعة الحمل دي معتمد عليكِ.. لكن الولادة ما تخافيش.. حيكون في دكتور أكبر منك وإنتِ حتساعديه.

كان يتفحصها بعينيه أثناء حديثه، كانت حقاً تبدو جميلة في تلك اللحظة وكأن هناك بريق عجيب اجتاحها، فبشرتها تبدو لامعة، وشعاع العسل بعينيها اخترقه في لحظات، حتى خصلاتها البندقية التي حرصت على عقصها خلف أذنيها جذبت عينيه من أول وهلة.. لم يخفِ نظراته عنها بل صاحبها بابتسامة ساحرة، وكأنه يقول لها.. نعم.. أنا أنظر إليكِ فامنعيني لو إستطعتِ!

قطبت جبينها وتابعت حديثها بضيق:

- تمام .. حضرتك عايز مني حاجة تانية؟

كانت تتحدث بغضب وكأنها قد استهلكت مخزونها من الليمون من أجل هذه المقابلة..









قطب جبينه بدوره واستأنف النظر لأوراقه وتابع بصوت أجش:

ـ لا.. خلاص يا دكتورة ،إتفضلي إنتِ.

من تظن نفسها كي تعامله بتلك الطريقة؟!..

لم تجرؤ امرأة على معاملته بتلك الطريقة الفجة!..

يبدو أنها امرأة ثلجية تجمدت عواطفها منذ زمن..

لا..

ليس مجرد وفاء أو ذكرى قابعة في عقلها تأبى الخروج..

هي امرأة بلا مشاعر، ربما تكون حقاً بلا مشاعر..

لا..

هو يعلم أنها مفعمة بالمشاعر، بالحب..

وربما هذا ما يجذبه نحوها..

****

ـ جاهزة يا كارمن؟

ـ جاهزة يا كريم..

ـ حياخد كام؟

ـ ٥٠ ألف جنيه.

ـ مالية إيدك منه؟

ـ كلب فلوس.. يوم ما رحت أول مرة نضف لي عربيتي علشان ملاليم.. وشغل الشحاتة اللي إنت عارفه سيبت له رقمي، قلت جايز أحتاجه.

ـ أهو نفع.





- البركة في أفكارك.. بس برده حياخد كتير.

- لأ.. مش كتير هو حيهرب ويسيب المزرعة بعدها.

- خلاص.. حكلمه وأشوف حاديهم له فين.

- فهميه نص المبلغ مقدم، والنص بعد التنفيذ

- تمام.

- مش عايزك تفكري تروحي المزرعة دلوقتِ خالص.. لو خالد شافك حيفش غله فيكي

- متقلقش عليا.

- تمام يبقى نبدأ.

****

وأشرقت شمس صباحٌ جديد كان يبدو في بدايته كأي صباح، ولكن فجأة تغير كل شيء..

حالة من الهرج والمرج في الإسطبلات..

ملامح الذعر تبدو على العمال..

ماذا حدث؟..

بل ماذا يحدث؟..

نفقت إحدى الجياد!

جواد قوي..

الأمر مريب وكأنه شيء مرتب..





ماذا يقولون؟..

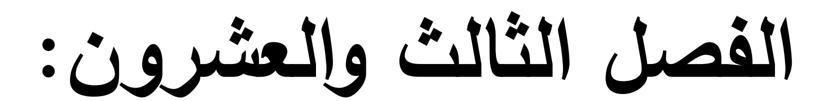
هل يقولون أدهم؟..

أهو جواد أدهم!...

لاااااااااااا....

دخلت صارخة تبحث عنه..

رعـــــــــد!!!



الفصل الثالث والعشرون:

شعرت أن قدميها لا تقوى على حملها..

الطريق نحوه يبدو بعيداً..

كادت أن تتعثر، تسقط أرضاً دون رغبة في الوقوف، حتى وصلت..

ربما بعد دهر,

رأته..!

هناك بمكانه كعادته يبدو متوتراً، فالأصوات العالية دائماً ما تصيبه بالتوتر فهو جواد ينتظر الهمس..











والهمس فقط..

العبرات ترقص بعينايها، هو حي، وجهه الأسود، عيونه اللامعة، خصلاته الثائره، صهيله الغاضب,

رعد حي..

طغت الابتسامة على قسمات وجهها،عيناها، ثغرها........

والعبرات مازالت سيدة الموقف..

اقتربت منه..

لا..

بل احتضنته غير مبالية بزمجرته..

اشتمت رائحته بنهم وكأنها عبير الأزهار، لا بل هي عطر ساحر..

الآن فقط شعرت بالشوق إليه..

فقد غابت عنه لفترة طويلة..

زفرت بإرتياح..

استويعت أخيراً أن رعد ليس الجواد المقصود،عادت للواقع مرة أخرى وبدأت تنتبه للأصوات حولها..




أشار لها أحد الساسة قائلاً:

ـ بوكس ٥ يا دكتورة.. الحصان أدهم.

توجهت بخطوات مترددة..

كان جواداً ضخماً بلون متدرج بين الأسود والبني ممدد على الأرض، وخالد أمامه وقد جلس نصف جلسه فبدا كأنه يجلس القرفصاء، وعيناه حزينة تأبى الضعف فاعتلتها نظرات الغضب والغيظ..

قال بصوت أجش وهو ينظر للجواد:

ـ أدهم.. حصان سبق.

إيناس:

ـ هو إزاي ده حصل؟

أدهم:

ـ زي ما إنتِ شايفة.. تسمم.

لاحظت إيناس بالفعل إنتفاخ بطن الجواد بجانب تشنج أطرافه تابعت بدهشة:

ـ لكن لو تسمم غذائي التطور مش حيكون سريع كده كنا ممكن نلحقه.

قام خالد ووقف بجانبها وتابع وهو ينظر للجواد:






ـ ما هو مش تسمم غذائي طبيعي أو تلوث.. ده سم.. أدهم إطحتله سم، وفي الميه كمان.

إيناس بصدمة:

ـ سم!.. مين يعمل كده وليه!

خالد:

ـ اللي عملها أنا عارفه، والمرة دي لعب في عداد عمره بجد.

كانت نبرته قاسية مريرة..

تركها وخرج..

وجدته يتحدث مع العمال وعرفت من النقاش أن هناك أحد العمال ويسمى مجدي، يختص بتنظيف الإسطبل إختفى منذ الصباح ويبدو أنه رحل لأنه أخذ ملابسه..

كانت عبارات خالد قوية اخترقت أذنيها:

ـ ماشي.. مجدي ده حجيبه، وحيبقى عبرة ليكم كلكم علشان لو حد فكر يخون ما يلومش غير نفسه.

انطلق لسيارته غاضباً..

ثم ناداها بعد أن استقر بمقعد السيارة خالد:





- عايزك يا دكتورة.. تعالي علشان تحضري لي شهادة الوفاة.

ركبت بجانبه ولاحظت بعد ذلك مناداته لدسوقي حيث طلب منه عنوان هذا الذي يدعى مجدي..

كانت يداه تحرك المقود بغضب، قدمه تدوس البنزين بقوة..

السرعة جنونية هي طائرة وليست سيارة والآن ربما هم على بعد دقائق من حادث..

أوقف السيارة فجأة فكادت أن تقفز من مقعدها..

نظرت له ووجدته يضغط على المقود بغضب وهو ينظر أمامه ثم ضرب المقود بيده عدة مرات مما أفزعها للحظة، ولكنها شعرت بالشفقة من أجله عندما أسند رأسه للوراء ووضع كفه على جبهته وعيناه..

بدا أنه يعاني من ألم رأس قوي..

قالت له بصوت خفيض:

- بشمهندس.. بشمهندس خالد إنت كويس؟

زفر بألم ثم تابع دون أن ينظر نحوها:

- أكيد مش كويس.

إيناس:





- هو الناس اللي عملت كده هما نفسهم اللي إتهجموا على حضرتك؟

ابتسم بسخرية:

- ايوه.

إيناس:

- بس هو في ناس كده.. تقتل روح بريئة مالهاش ذنب!.. عشان ايه؟

استدار لها، صمت قليلاً وهو ينظر نحوها بعمق ثم تابع:

- يا إيناس اللي عمل كده مش في دماغه حكاية الروح البريئة دي.. اللي عمل كده حسبها بطريقة تانية خالص.

إيناس:

- طريقة تانية؟.. مش فاهمة!!

خالد:

- أدهم حصان سبق يا إيناس.. خيل عربي مصري نسبه متسجل، فاهمة يعني إيه؟.. عارفة الحصان ده تمنه كام؟.. الحصان ده ثمنه نص مليون يا إيناس.

صمتت قليلاً ثم قالت:

- يعني قتلوه علشان إنت تخسر فلوس؟







خالد:

. آه.. وإختاروه هو بالذات علشان كده، بالإتفاق طبعا مع الخاين مجدي اللي حربيه قبل ما أربيهم.

عاد لغضبه مرة أخرى وأخرج هاتفه وقام بمحادثة أحدهم

خالد:

. حبيبي إزيك..

الشخص:

. خالد باشا.. أؤمرني.

خالد:

. عايز مشوار تاني زي بتاع السجن.

الشخص:

. أمرك.. نفس الواد تحب أبعت لك ناس تربيه تاني؟

خالد:

. لأ ده واحد تاني حمليك عنوانه.. عايزك تبعت رجالتك ليه.

الشخص:





. عيني.. عايز منه ايه؟

خالد:

. عايزه.. خلي الرجالة يجيبوه، حنتفق بعد كده فين.

الشخص:

. اممممممم.. خلاص اديني عنوانه.

خالد:

. غالباً مش حتلاقيه فيه، بس شطارتك بقى تجيبه بسرعة.

الشخص:

. ما تقلقش يا باشا ده إحنا اللي بنشَغَّل البوليس.. يومين بالعدد والهدية توصلك.

خالد:

. تمام.

أغلق الهاتف بعد أن أعطاه العنوان وانطلق بالسيارة مرة أخرى أما هي فلم تجرؤ على سؤاله عما ينوي..







****

لم يتوقع مجدي أنه سيواجه خالد بعدما حدث، فقد قرر الهروب مباشرة بعد فعلته الشنعاء لشعوره أن خالد سيصل إليه آجلاً أم عاجلاً، ولكن يبدو أن هروبه ساعد على أن يتم الأمر عاجلاً..

كانت السيارة تتحرك مسرعة، تشق طريقها في الظلام وكأنها تنطلق نحو الموت.. تُرى هل سيقتله خالد لما فعل؟..

ربما..

فغضب خالد غير محمود العواقب..

سحبه أحد الرجال بعنف وأخرجه من السيارة..

ـ إنزل يا خفيف.. وصلنا.

غطى مجدي عينيه خوفاً من أن يبادره الرجل بلكمة أخرى فوجهه، كان ممتلئ بهم على أية حال، ولكن الرجل سحبه بعنف من ملابسه وألقاه أرضاً..

نظر مجدي للمكان حوله بإرتباك وتابع بصوت مرتجف:

ـ إحنا فين؟!.. دي مش المزرعة.

كانا في الصحراء.. وعندها لمح سيارة خالد وقد ترجل منها وتقدم نحوه مسرعاً..









رفعه خالد بيد واحده وقام بقذفه على السيارة وتابع:

. لا مزرعة إيه.. مش حينفع تلم علينا الناس!

مجدي:

. خالد بيه.. أبوس إيدك سامحني يا خالد بيه.

خالد:

. نعم يا روح أمك..

مجدي:

. يا بيه والله هما اللي وزوني.. شيطانة يا بيه وزتني.. ضحكت عليا.

خالد:

. عرفتها إزاي؟

مجدي:

. أنا كنت نضفت العربية لما هي جت لحضرتك وهي إديتني تليفونها وقالت لي حتساعدني بـ.. بـ شغل سبوبة يا باشا مش أكثر.

خالد:

. سبوبة!!.. وإيه رأيك بقى في السبوبة؟.. حلوة؟!








مجدي:

. أنا حمار يا باشا أبوس إيدك إرحمني.

كان مجدي يتوسل إليه وينظر برعب للسكين بيد أحد الرجال الذين إختطفوه

تابع خالد بدهاء:

. إنت عارف أدهم كان تمنه كام؟

طأطأ رأسه في إذعان ولم ينطق فاقترب منه خالد وركله بقوة في بطنه وتابع:

. ها.. عارف ولا مش عارف؟

مجدي:

. هما قالوا لي أغلى حصان.

خالد:

. دفعوا لك كام؟

مجدي:

. يا باشا..

خالد:

. إنطق وما تكدبش.. وإلا حتتقطع هنا.. خلص قول مش فاضي لك.







مجدي:

ـ خمسين.. خمسين ألف يا باشا.

خالد بسخرية ممزوجة بغضب شديد:

ـ خمسين ألف.. خمسين ألف في حصان ثمنه ٥٠٠ ألف!!.. طيب أنا أعمل فيك إيه؟.. إنت حلال فيك أي حاجة حتى القتل!

مجدي:

ـ يا باشا.. أشتغل تحت إيدك العمر كله والله.. بس أبوس إيدك أنا مش عايز أموت.

استدار خالد وصمت قليلاً من أجل انهيار أقوى لمجدي ثم تابع

خالد:

ـ خلاص بص بقى يا مجدي هما حقين.. حق الفلوس وحق الموت ولازم حتدفع واحد منهم.

كان مجدي ينظر لخالد بحيرة غير مدرك لما يقوله، تقدم منه خالد وأعطاه بعض الأوراق..

نظر مجدي لها بدهشة وقال:

ـ إيه ده يا باشا؟








خالد:

ـ دي وصولات أمانة.. يا باشا!

"قالها بإستهزاء"

دقق مجدي النظر في الأوراق حتى اتفرجت عيناه وقال بحسرة:

ـ يا خراب بيتك يا مجدي!.. يا بيه أنا ما عييش المبلغ ده.. هما ٥٠ ألف وأديهم لحضرتك الله.

نظر له خالد بغضب والشرر يتطاير من عينيه وتابع بصوت جهوري:

ـ ٥٠ ألف إيه يا شحات.. إمضي على النص مليون ثمن الحصان.

مجدي:

ـ أيوه يا بيه بس أنا كده حتسجن.

خالد:

ـ خلاص.. مش عاجبك ناخد حق الموت بقى!

قالها وهو يتوجه بالنظر لأحد الرجال المحيطين بمجدي، فشعر الأخير بالفزع وبجدية خالد، فأخذ الأوراق ومضاها على الفور

ابتسم خالد بمكر وتابع:



ـ شاااااااااااطر.. أول وصل معاد تستيده بكرة.. ها تحب تروح ولا نطلع على القسم على طول..

وهكذا قام خالد بتصفية حسابه مع مجدي وأعلم الجميع بخبر سجنه ليكون عبرة ومثال يُحتذى به..

نعم انتهى من مجدي وبقي كريم.. وكارمن.

****

مرت حوالي عشرة أيام على موت أدهم كلما مرت بحجرته انقبض قلبها منذ ما حدث وجميعهم تغير..

خالد أصبح أكثر حدة مع الجميع وكأنه أصبح يتوقع الغدر وينتظره..

العمال انشغلوا بأعمالهم، بل زاد إخلاصهم للعمل فعلى الرغم من حدة خالد شعروا جميعاً بالحزن من أجله..

وهي..

هي أصبحت تتردد على الإسطبلات أكثر من مرة، بل ربما خمس مرات باليوم..

تقضي وقتا طويلاً مع سهيلة تهتم بها وتتأكد من نظافة طعامها وشرابها، ربما يكون وليدها خليفاً لأدهم وتعويضاً لحزن خالد.. وبالطبع هناك رعد..

منذ ما حدث وأصبحت ملازمه له تزوره يومياً وتعتني به وكأنه طفلها المدلل..











لا تتخيل كيف كانت ستكون حالتها لو فقدته..

أغمضت عينيها وحاولت طرد تلك الفكرة من رأسها، فمجرد التفكير بهذا يؤذيها بقدر كبير..

تنحنح السائس عندما لاحظ شرودها فانتبهت له وقالت:

ـ أيوه يا دسوقي في حاجة؟

دسوقي:

ـ بسألك بس يا دكتورة حضرتك محتاجة مني حاجة؟.. أصل الساعة ٥ وأنا حاروح ألحق ساعة الغدا.

إيناس:

ـ لا.. روح إنت أنا حافضل هنا شوية.

دسوقي:

ـ علشان أوصل حضرتك.. كل العمال مشيت.

إيناس:

ـ لا.. إنت روح، أنا ١٠ دقائق وحامشي.. عايزة أتمشى.

دسوقي:



- أمرك يا دكتورة.. عن إذنك.

استدارت لرعد بعد رحيل دسوقي ثم ملست بأناملها على وجهه وقالت:

- أخيراً بقينا لوحدنا..

زمجر الحصان قليلاً وابتعد عنها فتابعت بابتسامة:

- إنت لسه زعلان مني؟.. معاك حق، أنا وحشة.

اقتربت إيناس من الجواد مرة أخرى، ولكنه عاد للخلف مبتعداً.. شعرت بالحزن وقالت بلوم ضاحك:

- بقى لي ١٠ أيام بصالح فيك يا رعد.. إنت قلبك إسود قوي أعمل إيه.!!

ابتسمت بمكر وأخرجت منديلاً صغيراً من حقيبتها ثم عصبت عينيها

قالت هامسة:

- كده أحسن..

اقتربت منه غير مبالية بزمجرته وملست برقة على وجهه وعلى شعره

همست بأذنيه:

- ششششششش.. إهدى والله لو كان حصلك حاجة كنت ممكن أموت وراك.. إلا إنت يا رعد.. أنا ما كنتش أعرف إني بحبك قوي كده.



بدأ رعد يستكين لهمساتها بل استراح وكأنه افتقدها..

كأنها همسات ساحرة التأثير على كليهما..

علاقة خاصة وكأنه يرى ما ترى ويشعر بما تشعر..

إنه رباط نادر..

حالة خاصة من البهجة..

بل حاسة سادسة اكتسبها كلاهما..

وكأنه نوع خاص من توارد الخواطر..

إنه همس الجياد

دون أن تشعر غرقت بعالم آخر حيث لا يوجد به سوى هي ورعد وأسرارها التي اعتادت قذفها بأذنيه ولكن تلك المرة كان هناك آخر..

****

شعر خالد بالإجهاد بعد أن أنهى أعمالة المكتبية..

منذ أيام وهو قابع على أوراق الحسابات وكشوفات البنوك يراجع ويعاين..

كان يشعر بالقلق من كل شيء، للحظة تصور كريم كأخطبوط رأسه بالسجن وأذرعه في كل مكان..








ابتسم ساخراً..

إذا كان هو بأخطبوط فسأكون سمكة قرش شرسة تلتهمه في لحظات..

نظر للساعة فوجدها قد قاربت على الخامسة مساءً..

ترك أوراقه وقرر المرور بالإسطبلات مرة أخيرة وقضاء بعض الوقت مع رعد..

فأكثر ما يحتاجه الآن هو رعد.

لفت انتباهه صوت غريب بمجرد دخوله للإسطبل..

انتبه وبدأ يخطو بحرص نحو الصوت..

كان بغرفة رعد..

حتماً هناك غريب أم ربما خائن، وسأتمكن منه تلك المرة..

اقترب بحرص..

رآها..

تسمر مكانه وبرقت عيناه..

كانت تقف أمام رعد معصوبة العينين تهمس بصوت منخفض وتبكي..

تبكي بحرقة، فعبراتها تنهمر على وجنتيها بغزارة وثغرها يبدو كالضاحك الباكي بنفس اللحظة..









ظل يراقبها لوهلة..

ماذا تقول؟..!

أهكذا روضته؟..!

هو طائع بين يديها وكأنه يستشعر ألمها وهي..

هي فاقدة للبصر مثله!!

وكأنها قررت الإرتواء بإحساسه، وكأن كلاهما واحد يقرأ أفكارها وتعيش عالمه..

لا يعلم ماذا أصابه، ولكنه ظل يراقبها بشغف، دون أن يشعر ذاب مع كليهما بعالم آخر حيث يكون الإحساس هو بطل الرواية بلا منازع..

ودون ترتيب بدأ بالتقدم نحوها، على الرغم من بكاءها إلا أن أنفاسها كانت هادئة..

مازالت عبراتها منهمرة..

حبات اللؤلؤ تتساقط كالندى على وجنتيها التي تمكنت منهما حمرة الورد..

شفتاها المرتجفة بدت كزهرة الكاميليا، رقيقة، وردية..

لم تشعر به..

كان كيانها كله مع رعد..



لا يعلم ماذا أصابه ولكنه ود أن يحتضنها ويملس على تلك الخصلات البندقية التي سحرته منذ أول وهلة..

فقط لتكف عن البكاء..

أخيراً استمع لبعض ما تقول..

بصوت متحشرج خرجت عبارتها لا يعلم هل تلك العبارة هي كل ما تقول أم أهم ما تقول..

"مش عارفة كان ممكن يحصل لي إيه لو رحت إنت كمان يا رعد.. شريف وحشني قوي.. بجد وحشني قوي.. مش عارفة ليه لما خالد بيبص لي بفكر فيه!.. أنا خايفة.. أنا مش عايزة حد ياخد مكان شريف.. شريف إنت وحشتني قوي.. شريف"

صهل رعد..

شعرت بوجود شخص معها بالمكان..

تسارعت أنفاسها فوضعت يدها على قلبها ربما لتهدئ من طبول الفزع بداخله وسريعاً خلعت العصابة.



الفصل الرابع والعشرون:

"راضي بشيطاني الغاضب فهو جدار حمايتي الخاص..

فالجميع مجروح سواي..

الجميع خاسر سواي..

ماذا يحدث؟..

من أنتِ لتقتحميني بتلك الطريقة؟..

تحطمين أسواري المنيعة..

بل أفكاري المنيعة"

كانت تنطق بإسمه..

شريف.. شريف..

شعور غريب اجتاحه وكأنه قد ارتوى بعد ظمأ بشراب سحري..

مزيج نادر جمع بين السعادة والغضب..

خاصة عندما قالت خالد، انتفض قلبه وغادر ضلوعه وما لبث أن عاد عندما ذكرت شريف مرة أخرى..

وكأنه خشيّ أن تعشقه!!..

"ماذا دهاني؟!.. أعشق وفائك نحوه وأتمناك بنفس اللحظة!!.. هذا المريد بداخلي يأبى أن تكون تلك المشاعر لسواه، فتلك العاطفة أريدها من أجلي أنا فقط ولكن كيف؟!..



أحمق أنا!!.. هل أعشقك حقاً؟.. أم عاشق لعشقك الجارف نحو رجل ميت؟!؟"

شعر بصهيل رعد، إرتباكها، لا بل كاد يسمع دقات قلبها المرتجفة..

لا يعلم متى وكيف ولكنه قفز سريعاً خارج الغرفة الضيقة قبل أن تنزع العصابة بلحظات..

ماذا به؟!..

أيهرب من امرأة؟!..

ولكن كيف تراه؟!.. وماذا سيخبرها؟..

هو الآن أضعف ما يكون بل لم يشعر يوماً بهذا الوهن.. بهذا الإحساس.. لقد قُتل الإحساس بداخله منذ سنوات..

كان يُحييه فقط مع رعد، ولكن معها هي إنه شعور مختلف لم يعتده قبل ذلك..

إنه يشعر بالحياة وكأن نسمات هواء ثلجية تلفح وجهه ثم تخترقه وهي محملة بعبق البندق والياسمين فيستنشق جمالها بحرية.

نظرت حولها في حيرة، لا يوجد أحد ولكن صهيل رعد، بل تكاد تجزم أنها للحظة شعرت بوجود أحداً معها بالغرفة..

خرجت مسرعة وتلفتت يميناً ويساراً لم تجد أحد..

خيال عابث إذاً.. ربما..

ودعت رعد وأغلقت باب الغرفة وهمت لتغلق باب الإسطبل عند خروجها، ولكنها تسمرت مكانها عندما رأت سيارته..

نظرت مسرعة للداخل مرة أخرى، لاحظت أن غرفة سهيلة مفتوحة.. كانت أنفسها متسارعة..

هل كان هناك؟.. هل سمعها؟.. ومتى حضر؟..



توجهت نحو غرفة الفرسة تنظر بحرص، ووجدته..

كان يقف بجانب سهيلة يملس على خصلاتها الماسية ويضع أمامها بعض المياة..

إنتبه لها.. كان جلياً أنه لم يتفاجئ بوجودها..

قال بابتسامة:

ـ إزيك يا دكتورة.. أنا سمعت نصيحتك أهو، لازم نشربها من المية اللي بنشرب منها..

ابتسمت بحرص ثم قالت بتلعثم:

ـ هو حضرتك جيت إمتى؟

خالد مصطنعاً البراءة:

ـ لسه من دقائق كنت جاي أطل على سهيلة، وبعدين أشوف رعد.. إنما إنتِ إيه اللي جابك دلوقتِ؟

نظرت له بدهشة لا تعرف لماذا لا تصدقه، تابعت بنفس نبرتها القلقة: ـ أنا كنت موجودة.. كنت عند رعد.

خالد:

ـ والله!.. كويس.. عموماً أنا راجع حاوصلك في سكتي.

إيناس بريبة:

ـ هو حضرتك مش حتبص على رعد؟

خالد بنبرة ماكرة:

ـ ما هو مدام إنتِ كنتِ عنده خلاص.. وبعدين ما ينفعش تمشي المسافة دي لوحدك.













إيناس:

ـ لأ عادي هي مش طويلة قوي.

خالد:

ـ بس الوقت اتأخر، والمزرعة للأسف مش أمان دلوقتِ.

كانت نبرته مريرة، شعرت بالآسى من أجله..

تابعت بعدها:

ـ مش أمان إزاي.. لا يا فندم ما تقولش كده، وإن شاء الله أزمة وحتعدي.

اختلفت ملامحه، بدت إنتقامية..

تابع بنبرة اتسمت بالخشونة:

ـ لا ما تخافيش.. أنا مش حسيبهم، والموضوع لازم حخلصه.

لم تتردد أن تسأله تلك المرة، بل لم ترهب حدته وملامح الإنتقام البادية في وجهه قالت بشجاعة:

ـ مش فاهمة.. حضرتك حتخلصه إزاي؟

نظر لها بدهشة وتابع:

ـ وليه مهتمة تعرفي؟

ارتبكت للحظة..

هي غير مهتمة ولماذا يظن أنها مهتمة!!

تابعت سريعاً:

ـ لأ.. أنا مش مهتمة.. ده كان سؤال عادي واعتبرني ما سألتهوش.





لم تنبس بكلمة أخرى وتوجهت للسيارة، بل ظلت صامتة طوال الطريق على الرغم من محاولته إرباكها بنظراته..

وفي النهاية تغلب صمتها عليه بل إستحوذ تجاهلها على إهتمامه وجد نفسه ينطق وحده وبعفوية شديدة:

ـ طليقتي وأخوها هما ورا ده كله.

نظرت نحوه بدهشة..

لا تعرف هل هي مندهشة من الخبر الذي تعرفه سالفاً، أم من ذكره للأمر..

تابع دون أن ينظر نحوها:

ـ دائرة مفرغة من الأذى.. مش عارف حتنتهي إمتى، بس أكيد مش حينفع أسيب حقي.

قالت له بنبرة مترددة:

ـ هما اللي بعتوا الناس اللي إتهجموا على حضرتك؟

خالد:

ـ أيوه.

إيناس:

ـ وهما ليه عايزين يأذوك؟

خالد:

ـ علشان مقتنعين إن أنا أذيتهم.

إيناس:

ـ وهو إنت آذيتهم؟.





خالد:

ـ أنا أخدت حقي.

كان يتحدث وكأنه أمر بديهي لا نقاش فيه..

ابتسمت بسخرية:

ـ وهما شايفين إنهم بياخدوا حقهم.

نظر نحوها بدهشة:

ـ إنتِ معايا ولا معاهم؟

إيناس:

ـ أنا لا معاك ولا معاهم.. أنا ما اعرفش تفاصيل، بس واضح إنكم حتفضلوا كده لغاية ما تخلصوا على بعض.. لإن ببساطة كل واحد متمسك باللي بيظن إنه حقه.

احتد عليها وتابع:

ـ بس هو حقي أنا.. إنتِ ما تعرفيش حاجة، دول سرقوا..

قاطعته سريعاً وقالت بهدوء:

ـ بشمهندس.. أنا مش مهتمة أعرف، دي حياتك الشخصية وحضرتك حر في قراراتك، بس برده حضرتك اللي قلت إنها دائرة أذي.. والدائرة ما لهاش نهاية.

عندها كانا قد وصلا..

أوقف السيارة وأراد ان يتابع معها الحديث وإن كان رغماً عنها..

وهي أرادت الهروب وكأن حدتها كانت سبيلها الوحيد للدفاع ضد إقتحامه لعزلتها، وربما سماعه لأدق أسرارها..

ولكن ضوء سيارة قوي بدد الظلام حولهما لفت إنتباههما





ترجلت من سيارتها وتوجهت نحوهما بابتسامة خبيثة..

لمعت عيناه وهو ينظر نحوها وقال مزمجراً:

ـ كارمن!!.

ما جدوى الغضب إن لم تشهده..

وما جدوى الحزن إن لم تلمسه..

وكيف أشعر بلذة الإنتقام دون أن أتلذذ بملامح الحسرة في وجهه؟!

أفكار رأسها تغدو وتجئ..

وفي النهاية قررت الذهاب، له فقد انتظرت مجيئه.. غضب .. زمجرته.. رؤياه..

ولكنه لم يأتِ

تأنقت بشدة ربما أكثر من العادة..

تركت خصلاتها الحمراء ثائرة وزادت من حمرة الشفاة خاصتها، بل زينت زرقة عيناها بنثرات ماسية لامعه فوق أهدابها..

كانت تبدو متمادية، جميلة، فاتنة كعادتها.

نظر نحوها بغضب وهي تتقدم نحوه تابع بحنق:

ـ ليكي عين!!

لم تعره إنتباهها ولكنها نظرت لإيناس وتابعت بمكر:

ـ كل ما أجي أزور خالد.. أشوفك!!

إرتبكت إيناس بشدة وقالت بجدية وهي تغادر:

ـ عن إذنكم.

وغادرت مسرعة دون أن تنظر خلفها..













اقتربت منه كارمن وما زال يرمقها بنفس النظرة الغاضبة:

ـ أنا بقول نتكلم في الفيلا أحسن!..

لم تعطه فرصة للقبول أو الرفض توجهت للفيلا وتوجه هو خلفها..

دخلت تتفحص المكان بتباهٍ وتابعت:

ـ زمان كان ذوقك أحلى.. ولا دي على ذوق حد جديد؟!

خالد وقد إنتهى صبره:

ـ مش فاهم!

ـ واضح إن الدكتورة ما بتقدمش خدماتها للخيل بس..

لمعت عيناه وتابع بإزدراء:

ـ اللي بيعمل حاجة بيفتكر كل الناس زيه.

كارمن:

ـ ياااااااه.. ولما إنت كنت شايفني وحشة كده إتجوزتني ليه؟.. حبتني ليه؟

كانت ملامحه صارمة:

ـ أنا عمري ما حبيتك.

اقتربت منه في دلال:

ـ كداب.. حبيتني.. بس شهوة إنتقامك كانت أقوى.

خالد:

ـ وإنتِ راجعة تنتقمي دلوقتِ؟

كارمن:








ـ الإنتقام مش حكر عليك لوحدك.

خالد:

ـ بس أنا ما قتلتش.

كارمن وقد ترقرقت العبرات بعينيها:

ـ قتلتني.. يوم ما هربت مني في يوم ولغيت سنين حبي.

خالد:

ـ وإنتِ قتلتِ أدهم.. ومش قتل معنوي ده قتل بجد.

كارمن بذهول:

ـ زعلان على الحصان ومش ندمان على اللي عملته معايا؟

خالد بإزدراء:

ـ أنا مضربتكيش على إيدك.. كله كان بمزاجك، سواء كان جواز أو غيره!

لا تعلم ماذا أصابها، ولكنها رفعت يدها رغبةً في صفعه وهي تقول: ـ إخرس!

ولكنه أمسك بيدها قبل أن تلمس وجهه وقال بغضب شديد:

ـ مش خالد رضوان اللي تضربه واحده ست.

كان يمسك ذراعها بقوة ويلويه خلف ظهرها، صرخت بألم:

ـ سيبني.. سيب إيدي.

تمكن الغضب منه وبلغ ذروته دفعها حتى التصقت بالحائط وقال لها وهو يضغط على ذراعها بقوة:





ـ جيتي ليه يا كارمن؟.. هه.. جاية تستفزيني؟.. ولا لما ما ردتش إفتكرتيني ضعيف وجاية تشمتي؟.. طيب أنا حارد ودلوقتِ يا كارمن!!..

كان مازال ممسكاً بذراعها بعنف..

سحب يدها الأخرى وشعرت بشيء يلتف حول معصميها..

قالت في فزع:

ـ إنت حتعمل إيه؟.

خالد:

ـ عارفة يا كارمن أدهم وهو بيموت حس بإيه؟

بدأت أنفاسها تضطرب.. نبرته جنونية وكأنه بلغ ذروة الخبل..

تابع بعدها:

ـ ألم حاد في البطن.. تشنج في الأطراف.. ها تحبي تجربي؟!..

سم.. ولا ألف حبل على رقبتك الجميلة دي؟

كارمن بذعر:

ـ إنت مجنون؟.. مش طبيعي.. حتقتلني علشان حصان؟!

خالد:

ـ إنتي قتلتِ حصان علشان طلقتك يا كارمن.. وعلشان تخسريني ثمنه.

كارمن:

ـ إنت قتلتني.. إستغلتني.. ضحكت عليا وسرقت فلوس أبويا..

قذفها بعيداً عنه، فألقاها على الأريكة ويداها ما زالت مقيدة..



نظر نحوها والشرر يتطاير من عينيه وبصوت جهوري متحشرج من شدة الغضب تابع:

ـ إيه!!.. فلوس أبوكِ!!.. فوقي.. دي فلوسي أنا.. وأبوكِ سرقها مني، زي ما سرق حياتي وأمي.. إنتم اللي دخلتم حياتي من غير دعوة.. عيشتوا في بيتي وإنطردت منه.. لغاية دلوقتِ عايشة في مالي يا كارمن.. أنا اشتريت حقي منك.. فاهمة يعني إيه؟.. يعني إنتِ أذيتيني بفلوسي.. وأخوكِ الشملول إتسجن لإنه بتاع رشوة.. وحقي أخدته منه، زي ما أبوكِ أخده مني بالضبط.. داين تدان يا هانم.. ما تكدبيش الكدبة وتصدقي روحك.. حتى لو ما كونتش طلقتك، ما كانش ينفع نعيش مع بعض.. وعمرنا ما كنا ننفع لبعض، بس إنتِ ست بتتحركي ورا رغباتك وبس.. فما تلوميش غير نفسك.

كانت تنظر نحوه بفزع.. بغيظ..

كادت أن تنطق ولكنه جذبها بعنف من شعرها..

تابع وهو يخرجها من المنزل عنوة:

ـ أنا النهارده حاخد بنصيحة جات لي من ملاك، مش شيطان.. مش حاعملك حاجة ولا لأخوكِ.. لكن قسماً عظماً لو فكرتوا بس تهوبوا ناحيتي ساعتها حتشوفي مني وش غير كل اللي فات يا كارمن.

فتح الباب وأخرجها من الفيلا بعد أن فك قيودها..

دفعها بعنف فوقعت أرضاً..

نظرت نحوه بتوعد ونظر نحوها بسخط..

ثم أغلق الباب بوجهها..

انطلقت بسيارتها بجنون تلعن.. تتوعد.. تبكي..

كانت تبكي بحرقة..

لماذا ذهبت؟..





ماذا كانت تظن؟..

لقاء الأحباب بعد شوق!

لا..

ذهبت لتلمس إنتقامها وقد نالت ما بغت..

نظرت لمعصميها في أسى وهي تلمس أثار حبال الستائر عليهما..

"أكرهك يا خالد.. أمقتك.. تصر على إذلال الأنثى بداخلي .. صدقني ستنال جزاءك.. حتماً ستناله"

أطلقت الزامور لتنبه الحارس أن يفتح لها البوابة ، كانت البوابة الأولي في الجزء الآخر من المزرعة حيث أقنعت الحارس المسكين بأنها قريبة إحدى المهندسات وقادمة لزيارتها، وبالطبع قوة إقناعها ليس لها مثيل فهي تعلم تأثيرها على الرجال، جميع الرجال دونه هو..

كانت تضغط المقود بشدة، لا ترى أمامها سوى صورته.. وجهه .. سخرية ثغره..غضب عينيه..

هذا الثغر الذي طالما أمطرها بكلمات العشق الكاذبة..

وتلك العينين وإدعاءهما الشوق بمكر.

فجأة وقبل أن تصل للطريق العمومي فاجأها شبح بالظلام، لا تدري ماذا حدث..

ولكنها توقفت فجأة قبل أن تدهسه ومع ذلك ارتطم جسده بالسيارة.. خرجت مسرعة مرتبكة وإقتربت منه..

كان جالساً على الأرض يمسك بردفه ويقول:

- حرام عليكِ يا شيخة كنت حروح فطيس!

كارمن:



ـ أنا آسفه.. إنت ظهرت فجاة.

نظر حوله يبحث عن شيء فقالت له:

ـ حاجة وقعت منك؟

هو:

ـ آه الكاب بتاعي.

لمحتها على بعد منه فأحضرته وجلست أمامه على ركبيتها وناولته له قائلة:

ـ إتفضل..

قام بإرجاع خصلاته الناعمة للوراء ثم أرتدى قبعته ونظر نحوها، ولكن انتابه الصمت عندما رأى ملامحها المتوهجة تحت ضوء السيارة..

ما هذا؟!..

هل صدمته إحدى جنيات الصحراء ذوات الجمال الخارق؟..

خصلات متجدلة تشع ببريق أحمر اللون، وعيون طغت زرقتها على الظلام الحالك حوله..

تابع بصوت هادئ ونبرة بطيئة:

ـ متشكر.. أنا بجد متشكر جداً

كارمن:

ـ على إيه!.. إني خبطتك؟!

هو:

ـ أنا بعدي هنا إتنين وخميس علشان لو حبيتِ تخبطيني تاني!

ضحكت بيأس:








ـ إنت بتعاكس وإنت متكور على الأرض كده!!

هو:

ـ ما هو بسببك!

كارمن:

ـ أنا آسفة.

لاحظ العبرات بعينيها.. نظر نحوها بعمق وتابع:

ـ أنا اللي آسف إني خضيتك كده، بس هو حضرتك حقيقية؟!

كارمن بدهشة:

ـ نعم!

هو:

ـ إنسية زينا يعني؟!.. ولا بسم الله الرحمن الرحيم!!

ضحكت رغماً عنها:

ـ إنت بتهزر ولا بتتكلم جد!!

هو:

ـ أصل بجد حضرتك جميلة بشكل غير طبيعي.

كارمن:

ـ تقول لي عفريتة وبعدين تقول جميلة!

هو:

ـ ما هو أحلى جمال الجمال المعفرت.. نبدأ من جديد علشان أنا تقريباً الخبطة أثرت على دماغي..

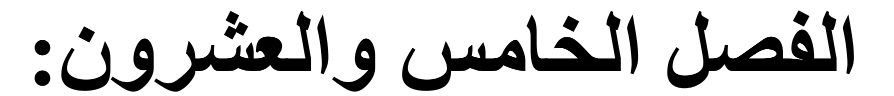


قام بنفض يديه من الرمال ثم بسطها لمصافحتها وعلى وجهه ابتسامته المعهودة:

ـ حمزة..

صافحته بدورها وقد هدأت ثورة البركان بداخلها بعض الشيء:

ـ كارمن..



الفصل الخامس والعشرون:

الغضب..

تلك العاطفة المتأججة، تكتسحك بجنون..

في البداية تسيطر على دقات قلبك أم ربما قفزات قلبك..

ثم تقتحم ملامحك فيتملكها العبوس..

كلماتك التي ستتمكن منها الفظاظة حتى النخاع..

صوتك..

جهوريته.. حشرجته.. ضعفه..

فالغاضب ضعيف، بل أضعف ما يكون وخاصةً هذا الغاضب..



كانت إيناس بالمطبخ تحاول اشغال نفسها بإعداد بعض الطعام الذي ربما لن تأكله في النهاية..

ما زالت كلمات الحمراء تتردد بأذنيها، ماذا تقصد بتلك الكلمات السخيفة؟..

ثم أنها لم تكن بجواره في زيارتها السابقة، كانت عائدة للعيادة وهو كان سيمتطي رعد..

زفرت بغضب وحاولت طرد كلمات كارمن من عقلها..

انتبهت لصوت خالد الصارخ، لم تستطع أن تكبح جماح فضولها لتفسير كلماته..

تركت ما بيدها وانتبهت لكلماته، بل صوته المتحشرج، ضعفه!

كانت كلماته مريرة اخترقت أذنها وعقلها معاً، وكأن عبارته شكلت قصة قصيرة ظلت تتفكر فيها طوال الليل..

هناك طفل صغير خلف هذا الوجه البائس، طفل مشتاق لأمه..

زوج استحل مال اليتيم، وكافح هذا اليتيم ليسترجع حقه ممن يظنون أنه ليس بحقه!!..

من المصيب ومن المخطئ؟!..

ولكن خالد ليس بمخطئ هو فقط غاضب، غاضب بشدة..

تخيلت ملامح وجهه عندما سمعت نبرته الباكية،عضلات فكه المنقبضة، ربما احمرار وجهه، أم تحجر بعض العبرات بعينيه..

وعندها شعرت نحوه بالشفقة فهي إن لم تختبر هذا الغضب الجامح ولكن تعرف جيداً عاطفة الحزن الجارف..

****

نظرت له كارمن بابتسامة وتابعت:



- فرصة سعيدة يا أستاذ حمزة..

حمزة:

- أنا الأسعد.

كارمن:

- طيب تحب أوصلك في حته؟

حمزة:

- لا.. أنا داخل جوه وواضح إن حضرتك خارجة.

لمعت عيناها وتابعت:

- إنت بتشتغل هنا؟

حمزة:

- أيوه.. بس حضرتك ما بتشتغليش هنا.

قالها بابتسامة ماكرة..

كارمن وقد استعادت نفسها وضحكت بدلال:

- لا.. كنت بزور حد.

حمزة:

- بجد!!.. مين؟.. أنا كلهم جوا صحابي.

تابعت بابتسامة ساخرة:

- كنت بزور جوزي.. السابق.

صمت قليلاً ربما لاستيعاب ما قالته دون تردد ثم تابع:








- من غير زعل، أنا اللي في قلبي على لساني.

كارمن بدهشة:

- إيه!

حمزة:

- مين الحمار ده اللي بقى سابق؟!

ضحكت بشدة وتابعت:

- تصدق هو فعلاً حمار، بس يا ترى لما أقولك مين حتفضل متمسك برأيك؟

نظر لها بريبة:

- ليه هو مين؟

قالت بتحدي:

- خالد!

ضحك بانهزام وتابع:

- هو حضرتك كنتِ مرات بشمهنس خالد؟

كارمن:

- أيوه؟

حمزة:

- يعني.. هو بلاش حمار دي، شيليها في المونتاج!

كارمن:

- مش ممكن!!.. إنت بجد ضحكتني النهارده ضحك يعوض سنين.










حمزة:

ـ يا خبر ليه بس!!

كارمن وقد زفرت بإرتياح:

ـ ما هو الجواز الفاشل آثاره بتستمر شوية.

حمزة:

ـ أنا آسف.

كارمن:

ـ إنت مهندس برده زي خالد؟

حمزة:

ـ أيوه.

صمتت لوهلة ثم أنار عينيها بريق غريب وتابعت:

ـ تعرف إن الصدفة فعلاً خير من ألف معاد!

حمزة:

ـ مش فاهم.. حضرتك تقصدي إيه؟

قالت بمكر:

ـ أصل أنا كنت جاية عايزة من خالد خدمة وغالباً مش حيعملها، ودلوقتِ بقى القدر رماك في سكتي وشكلك حتكون الشخص المناسب للمهمة دي.

حمزة بدهشة:

ـ أنا!.. مهمة إيه؟





فجأة ودون مقدمات قامت كارمن بتمرير أناملها الرفيعة بين خصلاتها الحمراء فدفعتها بحركة واحدة على أحد كتفيها ثم نظرت نحوه مطولاً وقالت بابتسامة دافئة:

ـ بص يا سيدي.. أنا خريجة فنون جميلة ومحتاجاك في شغل.

حمزة وقد صمت لوهلة يتأملها ثم استدرك نفسه وتابع:

ـ بجد حضرتك لازم تكوني فنانة جميلة.. قصدي فنانة فنون جميلة.. أنا آسف.. أنا متلخبط!

ضحكت بدهاء وتابعت:

ـ أنا رسامة وبحب أعمل معرض كل سنتين كده.. والمرة دي عايزة أعمل معرض يكون بس عن الورد.

حمزة:

ـ الورد!

كارمن:

ـ آه الورد.. أعظم لوحات اترسمت كانت عن الورد.. زهرة الخشخاش مثلاً.

حمزة:

ـ فعلاً.

كارمن:

ـ أنا بقى كنت محتاجة حد متخصص.. موسوعة كده يعرفني كل الأنواع ويجيب لي كتب أو مجلات عن أشكالها.. صفاتها.. معانيها..علشان أدخل في الحالة وأرسم.. أنا عايزة أحس الورد.. أفهمه.. أعيشه..

كانت تتحدث بهمس..



لا يعلم ماذا أصابه ولكنه شعر كالمسحور أمام نبرتها الهامسة..

مسحور وسعيد بتلك الشخصية الفريدة من نوعها..

أجابها دون تردد:

ـ أنا تحت أمرك.

لمعت عيناها بانتصار:

ـ تمام.. حديك تليفوني واخد تليفونك ونحدد معاد.. نقول أول معاد؟

حمزة:

ـ خلاص.. يبقى أول معاد.

وهكذا افترقا على لقاء..

عادت بعد حزن منتصرة، فقد وجدت في حمزة الدجاجة ذات البيض الذهبي..

لا تعرف كيف ستحصل على البيض ولكن حتماً ستحصل عليه!.

****

تلفت حسن حوله ليتأكد من عدم وجود رقية بجانبه ثم تابع بصوت خافت وهو يتجه بالهاتف نحو غرفة النوم:

ـ يعني إيه حتولدي فجر بعد بكرة!!

سهام:

ـ هو إيه ده!!.. الدكتور قال لي خلاص قيصري وإداني معاد بعد بكرة، حتيجي ولا برده مشغول؟

حسن:

ـ بتترياأي!!






سهام:

ـ بقى لك ٣ شهور ما شفتش وشك وشكل كده إبنك حيبقى زيي.

حسن وقد زفر بضيق:

ـ سهام.. قلت لك كانت ظروف.. وإنتِ متجوزاني وعارفة ظروفي كويس.

سهام:

ـ بص يا حسن.. من الآخر كده، أنا حاولد بعد بكرة وبعدها بقى براحتك يا تكون موجود في حياتنا زي أي زوج وأب، يا تخرج منها خالص!

حسن:

ـ إنتِ بتقولي إيه؟.. إنتِ إتجننتِ!!

سهام:

ـ بص يا حسن.. أنا من حقي أحس بجوزي جنبي وإبني من حقه يتمتع بحنان أبوه كل يوم.. مش كل شهر.

حسن:

ـ قصدك إيه؟

سهام:

ـ قصدي إن آن الأوان تبعت لنا نعيش معاك يا حسن.

ظل ممسكاً بالهاتف صامتاً، شارداً..

لم يشعر بإغلاقها للهاتف، لم يشعر بدخول رقية للغرفة متسائلة عما به..

رقية بدهشة:

ـ مالك يا حسن؟





استدرك نفسه ورسم ابتسامة كاذبة على وجهه وتابع:

ـ ما فيش.

رقية:

ـ ما فيش إزاي؟!.. شكلك متضايق وواضح إن التليفون اللي معاك هو اللي ضايقك.

حسن بضيق:

ـ قلت لك ما فيش يا رقية.. هو تحقيق؟

صمت..

مرت الدقائق كسنوات..

تابع ليتخلص من نظراتها نحوه:

ـ أنا.. أنا لازم أسافر بكرة، عندنا شغل ومشاكل كده لازم أروح مصر أحلها.. خالد متعصب.

ابتسمت بآسى:

ـ آه.. وماله ححضر لك شنطتك.

سريعاً توجهت للخزانة..

أخرجت الحقيبة بيد مرتعشة، وبدأت بوضع ملابسه دون تركيز..

هو أيضاً خرج سريعاً وتركها مع عبراتها الساكنة.

****

لم تستوعب إيناس في البداية سيل العبرات الذي انفجر فجأة من عينيها، احتضنتها سريعاً وتابعت:








ـ في إيه بس يا رقية مالك؟!

لم تنطق بل ظلت تبكي بحرقة ربما بكاء لم تبكيه من قبل، شعرت إيناس بالشفقة من أجلها فتابعت وهي تملس على رأسها بحنان:

ـ طيب عيطي، خرجي الشحنة اللي جواكِ.

رقية بنبرة توحي بالإنهيار:

ـ مش قادرة يا إيناس.. بجد خلاص تعبت.. تعبت قوي.

إيناس:

ـ إيه بس اللي حصل؟

تابعت بصوت متهدج:

ـ بقى لي كتير قوي صابرة.. كاتمة بس خلاص.. خلاص أنا حاسة إني بموت يا إيناس أو جايز مت وده عذابي.

إيناس:

ـ أستغفر الله العظيم.. بتقولي ايه بس!!.. استهدي بالله.

اعتدلت في جلستها وبدأت في محاولة يائسة تجفيف نهر العبرات الثائر بعينيها ثم قالت:

ـ من حوالي ٨ شهور بعتت لي صورة إختبار الحمل.. ما بقيتش عارفة هي بتغيظني ولا عايزني أمشي.. شيء مؤلم قوي لما تحسي للحظة إنك حتكوني طرف زيادة في معادلة إنتِ اللي بدأتيها.. والله هو مش عند ولا سلبية، أنا مخدتي تشهد على دماغي اللي كل يوم تتعصر وأسأل نفسي حواجهه ولا لأ.. ومن غير ما نحس أنا وهو زي ما نكون عملنا إتفاق ضمني، لا أنا أفتح موضوع جوازه ولا هو يحسسني إنه إتجوز..

نظرت لها إيناس بشفقة وتابعت:





- إنتِ عرفتِ إنه إتجوز إزاي؟

رقية ساخرة:

- منها.. عرفتني بعد الجواز ممكن بشهر، ولما ما عملتش حاجة.. فعرفتني بالحمل، وامبارح بس كنت على بعد خطوات من اعترافه ليا، حسيت إنه عايز يقول لي ويخلص ويرتاح.. خفت.. ما كونتش عايزة أسمعها.. مش قادرة.. مش قادرة أواجه المشكلة دي.. إيناس.. أنا بقى لي سنة دافسة راسي في رمل، ولما رفعتها وسافرت وفكرت وحاولت ورجعت.. جيت أدفسها تاني ما عرفتش كان بدل الرمل صخر.. أسمنت صلب فتح نافوخي وكشف قدامي كل الألم اللي مخبياه.

اقتربت منها إيناس وقد ترقرقت عبراتها بدورها فربتت على كتفها دون أن تنطق..

أغمضت رقية عينيها مما ساعد في انهمار أقوى لشلال دموع الألم بقلبها ثم تابعت:

- لما بعدت ما عرفتش أعيش من غيره.. أنا من ساعة ما اتجوزته وحياتي ما فيهاش غيره.. اتعودت أكون مشغوله بيه.. أكله.. شربه.. لبسه.. طلباته هي حياتي.. لما بعدت لقيتني مش لاقية حاجة أعملها، فعملت اللي هو بيحبه لنفسي .. رجعت ومش عارفة أنا رجعت علشانه ولا علشاني!!.

إيناس وقد بكت بدورها:

- إنتِ بتحبيه.. بتحبيه قوي، وتعرفي هو كمان بيحبك قوي.

رقية:

- بس بيحب نفسه أكثر.. أنا عارفة حسن.. ده طفلي المدلل وأنا اللي بوظته.

إيناس:

- ما فيش طفل بيقدر يستغنى عن أمه.

رقية بأسى:








- لا يا إيناس بيستغنى.. عارفة إمتى؟.. لما بيتجوز ويخلف.. بينسى.. علشان هو بنى آدم، والبنى آدم خطاء.

إيناس:

- بس إنتِ مش أمه، إنتِ مراته اللي بتدلعه زي أمه.. بيتهيألي الراجل بيكون عايز الزوجة والأم والحبيبة.

رقية:

- إيناس.. حسن في خلال كام يوم حيبقى أب.. تفتكري حافضل زي ما أنا ولا حتحول لطرف زيادة على الأسرة الصغيرة؟.

نظرت لها إيناس بشفقة وقد هربت الكلمات من عقلها..

همت لتتحدث مرة أخرى ولكن رقية أمسكت ببطنها وبدت ملامح الألم بادية على وجهها بشدة حتى خرج أنين متقطع قوي:

- آآآآآاااااااه

فزعت إيناس:

- رقية!!.. رقية مالك؟.

رقية وقد تمكن منها الألم فبدأت تتنفس بصعوبة:

- عادي.. أنا بقى لي فترة تعبانة، شكلها كده سن اليأس بدري بدري.

إيناس:

- إنتِ بتقولي إيه!!.. إنتِ لازم تروحي للدكتور.

رقية:

- مش مستاهلة.. حاخد مسكن، شكل كده العادة الشهرية حتقطع المرة دي خالص.. يلا أريح.











إيناس:

ـ إيه!.. هي بقى لها أد إيه ما جتش؟

رقية:

ـ مش بركز.. ممكن ٣ شهور أو ٤.. الطبيعي بتاعي إني مش منتظمة.. أكيد إنتِ فاهمة.

إيناس:

ـ طيب.. إنتِ حاسه بإيه دلوقتِ؟

رقية:

ـ عادي.. بتألم منها، بس المرة دي بزيادة ومش عارفة ليه النهارده تعبانة بجد.. اممممممممممم.

لم تشعر رقية بنفسها وهرعت للحمام لتفرغ ما في معدتها وإيناس تراقبها بيأس، ولكنها استدركت نفسها سريعاً قائلة:

ـ لا.. كده ما ينفعش لازم تروحي لدكتور حالاً.

رقية:

ـ لا.. لا.. أنا بس النكد أثر عليا، حاخد مسكن وأنام.

إيناس:

ـ لأ.. إهمال لأ.. تعالي أساعدك تغيري هدومك ونشوف سواق يوصلنا مصر.. يلا بقى لو إنتِ ما كونتيش حابة تروحي مع بشمهندس حسن، فرصة هو مش موجود وأنا معاكِ

شعرت رقية أن إيناس بذكاءها استنبطت أفكارها فهي خافت أن تذهب للطبيبة مع حسن فتلقي بوجهها القنبلة الأخيرة..







سن اليأس..

قامت رقية مع إيناس التي ساعدتها على ارتداء ملابسها سريعاً ثم قالت:
- إنتِ معاكِ رقم السواق؟

رقية:

- آه معايا.. بينفع لما بيكون حسن مش موجود.. أنا حاكلمه.

وفي غضون دقائق جاءهما السائق وتحركت بهما السيارة مسرعة نحو القاهرة..

****

نظرت لها الطبيبة بابتسامة بعد أن أتمت الكشف ثم توجهت لإيناس قائلة:
- صاحبتك دي مهملة.. بقى لها شهور مش بتيجي.

قالت لها رقية في آسى:

- معلش يا دكتورة.. والله بحس إني بضيع وقتك على الفاضي.

نظرت لها الطبيبة الأربعينية بلوم ثم تابعت:

- بقى حضرتك بتقولي سن اليأس.. ليه ٤٠ سنة سن اليأس أقوم أضربك دلوقتِ!

ضحكت رقية بحزن وتابعت:

- يا دكتورة.. صوابعك مش زي بعضها.. أنا بس اللي محظوظة.

الطبيبة:

- لا يا ستى.. مش إنتِ اللي محظوظة.. الباشا اللي جوه ده بقالوا ٣ شهور هو اللي حيبقى محظوظ بمامي زيك..

صدمة.. خوف.. دموع.. ابتسامة مرتجفة..





كلمات العالم لا تستطيع وصف مشاعرها نظرت نحوها ملياً ثم تابعت بصوت مرتجف.. خائف:

- إيبيي.. إيه!!

الطبيبة:

- مبروك يا روكا.. إنتِ حامل!

شعرت إيناس بطبول الفرح تدق بقلبها بشدة..

نظرت لرقية غير مصدقة..

ظلت رقية متسمرة في مكانها وكأنها خائفة من الحركة حتى لا تصحو من الحلم..

حلم جميل.. أبيض اللون..

وكأن العالم حولها إلتف بالضوء لم تعد تشعر بشيء..

غابت عن الوعي ووقعت مغشياً عليها..

فتحت عينيها لتجد إيناس بوجهها الملائكي بجانبها..

رأتها جميلة، كانت تبدو أجمل من أي وقت مضى، بل أجمل نساء الكون..

قالت لها بصوت خافت:

- أنا فين؟

إيناس برقة:

- إنتِ مش بتحلمي.

رقية:

- إيناس.. أنا بحبك قوي.







ضحكت الطبيبة وقالت لها بمرح:

- وأنا مش حينوبني من الحب ده جانب!!

رقية وقد بدت عبرات السعادة بمقلتيها:

- أنا مش عارفة أشكرك إزاي يا دكتورة..

الطبيبة:

- بتشكريني أنا.. ده كله بأمر ربنا.

رقية بعبرات متساقطة:

- الحمد لله.. الحمد لله.. أحمدك وأشكر فضلك يا رب.

تابعت الطبيبة:

- أهو إحنا كده نفرح نعيط.. نزعل نعيط.. نركز بقى.. حاكتب لك شوية فيتامينات تعوض الشهور اللي فاتت.

مسحت عبراتها بكفيها ثم أومأت رأسها كالطفلة المطيعة:

- حاضر.. حاضر.

الطبيبة:

- كمان مش عايزة مجهود ولا عصبية.. مفهوم؟

نظرت لها إيناس وأمسكت بيديها ثم توجهت للطبيبة بحديثها:

- ما تقلقيش يا دكتورة، أنا حاخد بالي منها.

الطبيبة بابتسامة:

- تمام.. وعندك متابعة كمان أسبوعين.. متابعة حمل مش متابعة علاج.

****








وعلى بعد مئات الكيلومترات كان هو هناك يقف بالمشفى..

مرتجفاً، متوتراً، سعيداً، حائراً..

وبين يديه هذا الكائن الصغير الصارخ الوردي اللون والممرضة تردد بحماس:

ـ مبروك جالك ولد..

الفصل السادس والعشرون:

كانت الساعة قد قاربت على الحادية عشر مساءً عندما عادت بهما السيارة للمزرعة..

طوال الطريق وهي شاردة..

على وجهها ابتسامة فريدة تجمع بين الرضا والسعادة، القلق والأمل، حنين، إشتياق، أمومة..

نظرت رقية لإيناس قبل أن تدلف للمنزل وقالت:

ـ أنا تعبتك معايا النهاردة يا إيناس.

إيناس:

ـ تعبتيني!.. النهاردة كان يوم جميل قوي.. خدى بالك منه هه..

قالتها وهي تشير لبطن رقية الذي بدا لها منتفخاً فقط بالإيحاء!!

ثم تابعت:



ـ أدخلي يلا إنتِ، وأنا حاروح أجيب هدومي علشان حبات معاكِ.

رقية:

ـ حبيبتي.. ما تتعبيش نفسك، ما لوش لزوم.

إيناس:

ـ لأ.. لي لزوم ،وأنا مش حاتعب في حاجة.. يلا أدخلي بقى ما لوش لزوم وقفة كتير..

دخلت رقية وتركتها إيناس وتوجهت سريعاً للفيلا لكي تحضر بعض الملابس للنوم، وقبل أن تصل اصطدمت بخالد الذي كان يبدو أنه عاد لتوه من الخارج..

كانت تتحرك مسرعة بحماس غريب فلا تدري كيف اصطدمت به، ولكن فجأة ظهر أمامها من العدم فوجدت نفسها أمامه..

عادت للخلف سريعاً وقالت بخجل:

ـ أنا آسفة.

نظر لها بمكر، فرب صدمة خير من ألف موعد خاصة مع زهرة الأوركيد خاصته.. صاحبة عطر البندق المميز..

تابع بصوت هادئ رخيم:

ـ ولا يهمك.. كنتِ برة ولا إيه؟

نظرت له بابتسامة غريبة لم يعدها منها من قبل، وتابعت بحماس حل محل خجلها سريعاً:

ـ كنت مع مدام رقية.

خالد بفضول:

ـ خير في حاجة؟







إيناس:

- خير.. وأحلى خير.. وأحلى خبر في الدنيا.

كانت تتحدث بتلقائية شديدة..

بسعادة صادقة...

بعينيها بريقاً غريباً وكأن شعاع العسل قد ازداد نقاءً..

حياة..

نضارة..

أخبرته عن حمل رقية..

عن سعادتها..

بكاءها..

خوفها..

عن هذا الطفل المنتظر الذي سينير حياتها بابتسامته الملائكية..

سعيدة هي حقاً من أجل رقية، سعادة جعلتها تفتح قلبها دون وعي لخالد أول من وجدته في طريقها بعدما علمت الخبر..

كان يراقبها بشغف، فهي تتحدث بكل لغات الكون..

عيناها تضحك..

يداها تتحرك بعشوائية طفولية وهي تقص له أجمل خبر بالعالم كما أطلقت عليه..

لا يعرف كم مر من الوقت على حديثها ولا يعي أغلب ما قالت ولكنه تمنى أن يستمر هذا الحديث إلى ما لا نهاية، فقط ليراقب ثغرها الذي زادته الابتسامة رونقاً فوق رونقه، وتلك العينان التي دبت فيهما الحياة فزادتهما سحراً، أناملها





الرفيعة التي كانت تتحرك بتلقائية لترفع خصلات البندق الثائرة التي تداعب وجهها من حين لآخر..

فاتنة أيقظت سبات قلبه عن غير قصد..

وكأن مراقبتها، تأملها لم يعد مجرد انتهاك فطري من عينيه كرجل، بل هي خواطر قلب يتوق للعشق دون حساب..

دون تخطيط..

علاقة مختلفة فريدة من نوعها لا تحركها رغبة انتقام أو كيد، بل هي رغبة مختلفة، رغبة من نوع آخر..

رغبة عاشق..

خرج من أفكاره وصوتها الرقيق يردد اسمه:

ـ بشمهندس خالد.. حضرتك معايا؟

استدرك نفسه سريعاً وتابع :

ـ آه.. معاكِ.. بس سرحت في حسن.

انتبهت إيناس وقطبت جبينها للحظة وكأنها خرجت من سعادتها الجارفة وعادت لوعيها :

ـ آه صح.. يا خبر.. لو سمحت يا بشمهندس ممكن ما تقولش ليه.

خالد:

ـ أنا مش صغير يا إيناس.. خبر زي ده لازم يعرفه منها.. دي حتكون دقائق نادرة وسعيدة في حياتهم.. وما حدش ممكن يسرق منهم اللحظة دي.

ابتسمت برضا وتابعت:

ـ طيب عن إذنك.











خالد:

ـ صحيح.. إنتِ عندك أجازة بكرة؟

إيناس:

ـ لأ مش حسافر.. حافضل مع رقية لغاية لما البشمهندس يرجع.. كمان حبات معاها.

بدت على وجهه ملامح الإغتباط عندما علم أنها لن تسافر..

تابع بحماس غريب على شخصه:

ـ خلاص.. ولو إحتجتِ حاجة بلغيني، وأنا أبعت بيسو أو أي حد يجيبها لك.

إيناس:

ـ متشكرة يا بشمهندس.

تركته ولكنه استوقفها قبل أن تغادر قائلاً:

ـ إيناس!!

إيناس:

ـ أيوه

ابتسم بمكر ثم قال لها بصوت منخفض:

ـ دلوقتِ عندك إتنين حوامل تعتني بيهم ربنا يكون في عونك.

ضحكت وتابعت:

ـ صح.. البيبي حيتولد مع المهر تقريباً في نفس الوقت.

خالد:

ـ خلاص أنا حاسمي البيبي وإنتِ تسمي المهر.

زاد بريق عينيها وقالت بسعادة كالأطفال:

- بجد أسمي المهر!!

خالد:

- أيوه.. يلا فكري في اسم.. قدامك ٦ شهور.

إيناس:

- حاضر.. وحضرتك حتسمي البيبي.. متأكد؟

ضحك خالد وتابع:

- حسن ورقية حيكونوا في أضعف حالاتهم، حيوافقوا على أي حاجة.

إيناس:

- ربنا يكرمها وتقوم بالسلامة.

خالد:

- يا رب.. يلا تصبحي على خير.

إيناس:

- وحضرتك من أهله.

تركته وظل يتابعها بنظراته حتى وصلت لباب الفيلا وقبل أن تدلف دون ترتيب استدارت نحوه، لا تعلم لماذا ولكنها وجدته ينظر نحوها بدوره.. فإلتقت نظراتهما..

ارتبكت..

هربت مسرعة للداخل غاضبة من نفسها.

****





ألقت نظرة أخيرة على نفسها بالمرآة قبل أن تلبي نداء الباب..

تأنقها ليس صباحياً بالمرة ولكن من يبالي!!

نظر نحوها بابتسامة بمجرد أن فتحت الباب قائلاً بمرحه المعتاد :

ـ صباح الخير.

كارمن:

ـ صباح النور.. أنا قلت عشاء عمل، لكن إنت بقى خليته فطار عمل!

حمزة:

ـ الصبح نشاط والدماغ تبقى صاحية.

كارمن:

ـ اتفضل.

دلف حمزة للمنزل، تفحصه بدهشة ثم قال بعفوية:

ـ واو!!

كارمن:

ـ إيه.. الشقة مش عاجباك؟

حمزة:

ـ بالعكس دي جميلة هي..

تابع بتردد:

ـ شبهك.

كارمن:









ـ شبهي!

حمزة:

ـ آه، ألوان صارخة، نارية، تخطف العين كده.

ابتسمت وقالت بدهاء:

ـ دي أنا ولا الشقة؟

ارتبك من صراحتها، فخلع قبعته بعفوية وعبث بخصلاته المسترسلة وتابع بابتسامة:

ـ الإتنين.

ابتسمت بثقة وتابعت:

ـ تحب نقعد في الليفنج ولا جوه في مكان شغلي؟.

حمزة:

ـ لا مكان شغلك أحسن.

أدخلته لغرفة جانبية تحتوي على أريكة مريحة، والكثير من اللوحات بعضها فارغ وبعضها مجرد مشروع لوحة..

خطا بحذر وهو يتفحص المكان ثم تابع:

ـ أول مرة أشوف صومعة فنان.

كارمن:

ـ وإيه رأيك أنفع؟.

أمسك بأحد اللوحات ثم تابع:





- أنا مش بحب أحكم على المشاعر، أنا بحس إن الفن والرسم بالذات مشاعر إنت بتخرجيها في اللوحة، و نجاحك إنك تخرجيها بصدق.

كارمن:

- واو.. إنت مش مهندس زراعي بقى إنت فيلسوف!

حمزة:

- مش قوي كده.

كارمن:

- نسكافيه ولا شاي؟

حمزة:

- حاخد شاي.

كارمن:

- عملت لك وافل.. بتحبها؟

حمزة:

- مش باكلها كتير، بس بحبها آه.

خرجت لإحضار الإفطار وعندها حدث نفسه بيأس:

"أكيد حتعمل لي وافل.. أومال حتعمل بيض وفول!!"

عادت كارمن وعلى وجهها ابتسامة ساحرة وضعت الطعام أمامه وتابعت:

- تحب عسل ولا صوص؟

حمزة:

- ده صوص فراولة؟



كارمن:

ـ لأ.. توت.

حمزة:

ـ يبقى صوص.

زينت له قطعة الوافل خاصته بالصوص الشهي بلونه الأحمر القاني ثم تابعت:

ـ أنا زيك بحب الصوص برده عن العسل.

أخرج حمزة جهاز اللاب توب خاصته ليريها مجموعة خاصة من الأزهار المصورة مع بعض المعلومات..

نظرت للجهاز وتابعت:

ـ بجد إنت عندك معلومات حلوة قوي.

حمزة:

ـ عندي كتب كمان.. جبت لك كتاب صغير فيه الخلاصة، وبقية المعلومات عملت لك كوبي على السي دي ده.

كارمن:

ـ ميرسي.. إنت شاطر وعملي قوي، بس أنا مش فاهمة حاجة.. أنا عايزاك تديني الخلاصة مش دش بقى وقراءة.. أنا أرسم وبس.

حمزة:

ـ ممكن أسألك سؤال؟

كارمن:

ـ اتفضل.

حمزة:

ـ هو إنتِ إيه معلوماتك عن الورد؟

كارمن:

ـ ده إختبار؟

حمزة:

ـ لا مش قصدي.

كارمن:

ـ أكيد الأحمر للحب، والأصفر الغيرة، والبنفسجي بيقولوا ندم.

صمت حمزة قليلاً وتابع:

ـ عايزة تعرفي الورد البنفسجي بيعبر عن إيه، لازم تفهميه وعلشان تفهميه لازم تعرفي حكايته!

كارمن:

ـ حكايته!!.. هو ليه حكاية؟

حمزة:

ـ كل وردة وراها حكاية.. وقصة.. وأسطورة..

كارمن:

ـ وإيه بقى حكاية الوردة دي؟

حمزة:

ـ زمان كان في ملك حزين كان اسمه ملك الثلج.. كان عايش في قصر ثلجي بارد ما فيش فيه أي حياة، فكان على طول حزين بائس.. وفي يوم بعت جنوده يبحثوا

عن بنت جميلة تونس وحدته، وبعد فترة جابوها.. أول ما شافها حبها على طول.. كانت جميلة قوي.. رقيقة جداً.. وخجولة.. وكان اسمها فيوليت.. فيوليت لما دخلت القصر بدلت حاله، الثلج داب، بقى المكان كله بهجة وسعادة، وش الملك الحزين بقى أسعد.. فيوليت كانت بعيدة عن أهلها وبيوحشوها، فطلبت من الملك إنها تزورهم.. كان خايف عليها قوي.. خايف تضيع منه ويرجع حزين تاني، فوافق بس بشرط

كارمن باهتمام:

- شرط!!!.. شرط إيه؟

تابع حمزة بصوته الدافئ:

- إنها تزورهم مرة واحدة كل ربيع.. بس تروح على شكل وردة، وفي الشتا ترجع لحضنه تاني، بس في هيئة بشر.. وعلشان كده كل ربيع بنشوف أحلى زهور البنفسج، وفي الشتا بترجع لمليكها أجمل بنت في الدنيا..

كارمن:

- ياه!!

حمزة:

- البنفسج هو الحب والحزن، السحر والجمال، الهدوء، الطاقة..

كانت تنظر له بشرود وهو يقص قصته، يتحدث بصوت هادئ ونبرة دافئة..

تابعت بشغف:

- إنت حتخليني وأنا برسم أرسمها بإحساس تاني خالص.. إنت كنت فين من زمان!!

حمزة:

- هههههه.. موجود والله.



كارمن:

- مع إني ما ليش في اللون ده خالص بس حبيته من حكايتك.

أشار حمزة لبعض الصور أمامه وتابع:

- بصي ده شكل البنفسج، وفيه كمان الإستر مميزة قوي.. وده اللون الفيوليت بتاعها.. والتيوليب برده من الزهور الجميلة في اللون ده.

كانت كارمن تنظر للصور باهتمام وتابعت:

- إستر دي مش عاجباني، لكن البنفسج فعلاً حلوة قوي.

حمزة:

- يعني حترسميها؟

كارمن:

- لأ.. مش حارسمها هي.

حمزة:

- أومال حترسمي مين؟.

كارمن:

- حارسم فيوليت وملك الثلج.

****

كانت تقف بالمطبخ حائرة ولكن أخيراً أتمت مهمتها الصعبة وصنعت الدجاج..

سمعت ضحكة رقية المرحة التي كانت تراقبها من الحديقة قائلة:

- ما بتسمعيش الكلام، قلت لك حاعملها أنا.

إيناس:







ـ ها.. مش قلنا راحة.. خصوصاً اليومين دول على بال ما الفيتامينات تشتغل وصحتك تبقى تمام.

رقية:

ـ أنا متشكرة قوي يا إيناس، بجد إنتِ أكثر من أخت.

إيناس:

ـ يارب بس يفضل رأيك زي ما هو بعد ما تدوقي الفراخ!

رقية ضاحكة:

ـ لا متخافيش.

انتبهت إيناس لطرق الباب ونظرت لرقية بدهشة قائلة:

ـ يا ترى مين؟!.. معقول بشمهندس حسن رجع!

انقبضت ملامح رقية قليلاً وتابعت:

ـ لا.. ما اعتقدش.

إيناس:

ـ رقية.. إوعي تكوني ناوية تخبي عليه؟

ضحكت رقية بآسى وتابعت:

ـ ما تخافيش مع إني فكرت فيها.. بس لأ مش أنا اللي أعمل كده.

إيناس:

ـ برافو عليكِ يا حبيبتي.. يا ربي نسيت الباب!.. إستني اما أشوف مين..

كان حمزة يضغط الجرس بإلحاح كعادته..










ظل ينظر نحوها ملياً بعد أن فتحت الباب وابتسم لها بخبث ملمحاً لمئزر المطبخ الذي ترتديه وخصلاتها المرفوعة بعشوائية ثم قال:

ـ مين حضرتك!.. هي أبلة روكا موجودة؟

ابتسمت بتحفز وتابعت:

ـ اتفضل يا بشمهندس حمزة.

حمزة:

ـ كمان تعرفيني!

رقية:

ـ خلاص بقى يا حمزة، أدخل ما تغلسش عليها.

حمزة:

ـ بس بجد يا دكتور حلو لوك الطبيخ ده!

رقية:

ـ إيناس زي القمر في أي شكل.

نظر حمزة نحو إيناس مطولاً وتابع:

ـ هو أنا أقدر أقول غير كده.

ارتبكت قليلاً فقطبت جبينها سريعاً وتابعت:

ـ طيب عن إذنكم حابص على الأكل.. اتفضل.

جلس حمزة مع رقية بالحديقة دون أن يعيرها انتباهاً حيث أن نظراته كانت موجهه لإيناس، التي أقحمت نفسها ببعض العمل الزائد بالمطبخ كي لا تجلس معهما..







نظرت له رقية بخبث وتابعت:

ـ إنت متأكد إنك جاي تزورني!

حمزة:

ـ طبعاً يا جميل.. وأنا ليا غيرك، بجد زي القمر النـهارده.

رقية:

ـ النـهاردة بس!

حمزة:

ـ لا كل يوم.

رقية:

ـ هي مين دي؟

حمزة:

ـ إنتِ.. إنتِ طبعاً يا روكا.

رقية:

ـ ماشي.. حابلعها بمزاجي.

حمزة:

ـ هي مش حتيجي تقعد معانا بقى؟

نظرت له بابتسامة ثم قالت بصوت عالٍ بعض الشيء:

ـ إيناس حبيبتي.. كفاية شغل تعالي إرتاحي شوية.

إيناس:







ـ أنا مش تعبانة، والله بالعكس بتسلى.

نظر حمزة لروكا بتحدي ثم توجه للمطبخ سريعاً وتوجه لإيناس التي اندهشت لقدومه وتابع:

ـ ممكن أتسلى معاكِ!

إيناس:

ـ لا ما يصحش يا بشمهندس.. حضرتك خليك مع رقية، سليها على بال ما أخلص اللي ورايا.

رفع حمزة أحد حاجبيه بسخرية قائلاً:

ـ رقية مين!!

ضحكت رغماً عنها وتابعت:

ـ روكا..

حمزة:

ـ روكاااااااا..

صمت قليلاً ثم تابع بصوت أكثر انخفاضاً:

ـ قولي لي بقى.. إيه التغيير ده؟.. هي وشها منور، وإنتِ بتطبخي في مطبخها.. في إيه؟

صمتت إيناس بحيرة ونظرت نحو رقية التي أومأت لها رأسها بابتسامة.. فتابعت بابتسامة:

ـ في إنك تروح تبارك ليها على الخبر السعيد.

حمزة:

ـ خبر سعيد!









إيناس:

- روكا حامل..

نظر لها حمزة وقد لمعت عيناه وبدا بهما بريقاً قوياً قائلاً:

- إنتِ بتتكلمي جد!!

تركها وقفز سريعاً لرقية التي كانت جالسة بالحديقة وبدت عبراتها رغماً عنها، فاقترب منها وقال لها بنبرة حانية:

- بجد يا أبلة؟

رقية:

- بجد يا حبيب أبلة.

حمزة:

- ياااااااااااااااااااه.. خالو فين؟

قطبت رقية جبينها سريعاً وتابعت بتلعثم:

- مش موجود.. مسافر.

حمزة:

- وليه ما اتصلتيش بيه يجي؟

رقية:

- حمزة أرجوك.. لما يجي براحته يبقى يعرف.

حمزة:

- خلاص.. خلاص.. ما تكشريش.. لما يبقى يجي.. هو مش مهم دلوقتِ.. المهم إنت يا جميل والعفريت اللي جوه ده.. ها ولد ولا بنت؟!





ضحكت رقية بشدة:

ـ إنت مش ممكن!!.. لسه بدري.

حمزة:

ـ خلاص كنت حقولك لو بنت أتجوزها بس حينفع بقى يا جميل.. أصل أنا مش حاقدر أصبر كتير..

كانت نبرته عالية وقالها وهو يتوجه ببصره نحو إيناس التي كانت منشغلة بإعداد بعض العصير..

زجرته رقية بلين وتابعت:

ـ حمزة!!.. مش كده.

حمزة:

ـ عارف يا روكا.. بس لما بشوفها مش عارف بيجرى لي إيه.. وهي مش حاسة بيا خالص.

رقية:

ـ حمزة.. أنا خايفة عليك من مشاعرك السريعة والمتهورة دي.

حمزة:

ـ متهورة!!.. ليه بتقولي كده؟

رقية:

ـ لإنها من طرف واحد يا حمزة.

حمزة وقد خفتت ابتسامته:

ـ إنتِ شايفة كده؟



رقية:

- إنت عارف ده.

حمزة:

- عارف.. بس ده علشان هي مش بتديني فرصة، ولا بتدي نفسها.. كل ما أتكلم معاها تهرب مني على طول.

رقية:

- مش بسهولة كده حتسلم قلبها.. إديها وقتها، وإنت كمان خد وقتك.

حمزة وقد قطب جبينه كالأطفال:

- خلاص.. أصلاً أنا مش فاضي.

رقية:

- ليه وراك إيه بقى؟

حمزة:

- شغل.. ورسم.. وورد.. ولون أحمر.. إنتِ فاكراني قليل ولا إيه !!.. يلا سلام.

رقية:

- سلام إيه!!.. مش حتاكل؟.. دي إيناس اللي طابخة.

حمزة بعد تردد:

- لأ.. أنا فطرت وافل وبصوص أحمر كمان.. سلام.

رقية:

- سلام... ربنا يحميك يا حبيبي، ويهديكِ يا إيناس.. والله حمزة طيب.. طيب قوي..







****

كان حسن يجلس ويحمل الصغير بين يديه ينظر نحوه في سعادة جارفة.. قبل رأسه الصغير ونظر لزوجته وتابع:

- شبهي صح؟

سهام بضيق:

- لأ.. ده شبه سامح أخويا.

ضحكت أمها وتابعت سريعاً:

- العيال شكلها بيتغير بسرعة.. ها حتسميه إيه بقه يا سمسم؟

سهام:

- محمود.. على اسم بابا الله يرحمه.

تابع حسن دون أن ينظر نحوها:

- محمود باشا شكله عايز يرضع.

الأم:

- طيب.. يلا خدي يا سهام رضعيه وخليه ينام.. النوم غذا.

أخذت سهام الطفل وبادرت أمها بنظرة ذات مغزى وهي تشير نحو حسن فهمست لها الأم بدورها:

- حاضر.

نظرت الأم لحسن وتابعت:

- بقول لك يا بشمهندس.. ما توصلني يا أخويا على البيت حجيب حاجات ونرجع.

حسن:



ـ آه.. طبعاً اتفضلي.

غادر كلاهما الغرفة وبقيت سهام تفكر في ردة فعله المنتظرة بعد حديث أمها....

****

ملك الثلج الحزين..

كلما أطلقت العنان لفرشتها وجدت وجه خالد، كان هو ملك الثلج..

ولكن هي..

هي ليست فيوليت..

كلما حاولت رسمها تظهر امرأة أخرى هادئة الملامح، حالمة، خجولة.. وهي ليست بتلك الأرجوانية..

مزقت اللوحة..

حاولت مراراً وتكراراً دون جدوى..

الملك أحب فيوليت وحتماً خالد أحبها..

نعم عشقها مثله..

محاولة أخرى..

محاولة أخيرة..

وهي ليست فيوليت..

وفي النهاية وبعد عناء أنهت اللوحة..

ملك الثلج وفيوليت الهادئة والوردة الحمراء داخل عقله..

رمز العشق الجارف، العاطفة،الشغف..

نعم..





هي زهرته الحمراء البعيدة المنال بسبب عقله التالف..

هي بيجونيا كما اعتاد أن يدللها..

نظرت للصورة مطولاً ورغبت أن تمزقها..

فهناك امرأة أخرى..

فيوليت..

معشوقة ملك الثلج..

الفصل السابع والعشرون:

الطريق يبدو طويلاً..

عبارات والدة سهام تصاحبه طوال رحلة العودة، عبارات متطلبة أسرعت برحيله عن الإسكندرية..

لم يتوقع أن يغادر بتلك السرعة فقد رتب للمكوث عدة أيام يرتوي فيها حتى الثمالة من عطر صغيره الفطري، رائحته المميزة التي لا يمل من استنشاقها، عيناه المغمضتان وفمه الصغير..

لم تمر ساعات وها هو إشتاق إليه..

يبدو أن العجوز معها الحق..

كيف يبتعد عنه؟..

، يجب أن يكون بجانبه، نعم هذا هو الصواب..

ولكن ماذا عن رقية؟..







منذ أن اتخذ قراره بالزواج لم يفكر بشيء سوى الحصول على طفل، لم يفكر برقية ولم يفكر بسهام..

ولكن رقية تحبه وتعلم من صميمها أن هذا حقه..

هي لم تواجهه..

ماذا ستقول؟.. أنه ليس بحقه!

في النهاية ستتقبل الأمر..

ربما تغضب، تثور، تتوعد..

ولكن في النهاية ستخضع للواقع، بل وستعشق محمود.

فرقية رقيقة عاشقة للأطفال..

يا إلهي كم يحبها..

لقد أرجأ تلك المواجهة منذ زمن خوفاً من أن يفقدها..

ولكن لا..

لن يفقدها، هي لا تتحمل فقدانه بدورها..

هي تحبه وستضحي من أجله..

بالتأكيد ستضحي من أجله..

فهذا هو الحب..

****

كانت الساعة قد قاربت على منتصف الليل..

ألقت إيناس نظرة أخيرة على رقية النائمة في سلام ثم جلست على الأريكة ربما لقتل بعض الوقت أمام التلفاز فلم يكن لديها رغبة في النوم..







وربما لأول مرة في التفكير..

كانت تريد ذهنها صافٍ خالٍ، فكلما شردت هاجمتها الأفكار بلا روية.. والأفكار لم تعد تتضمن ذكريات شريف فقط..

لا تدري لماذا يقتحم عقلها رغماً عنها!!

كلما شردت تتذكر صوته المبحوح الغاضب، الباكي، ابتسامته الصادقة عندما علم بحمل رقية..

يختفي خلف وجهه البائس إنسان رقيق، متألم، مهتم!

نعم فاهتمامه أصبح بيّن كضوء الشمس..

من تخدع!!..

نظراته نحوها واضحة، صريحة..

لا..

بل محيرة..

نظرات تربكها، تسعدها..

لا..

بل تكرهها!..

لماذا يقتحمها بتلك النظرات دون دعوة؟..

لا.. لا..

هو لم يفعل شيئاً.. هي فقط تتعامل مع الرجال بحساسية ليس أكثر..

نعم..

هو غير مهتم ويجب أن يكون كذلك..





وجدت أنها في النهاية لم تنتبه للتلفاز فأغلقته وقررت النوم..

فقط حركة الباب جذبت انتباهها فتسمرت مكانها دون حراك خاصةً عندما وجدت حسن أمامها في لحظات..

قامت إيناس في خجل وهي تنظر نحو حسن الذي بدا مصدوماً لرؤيتها في منزله..

دخل مسرعاً:

ـ دكتورة إيناس!!.. خير؟.. رقية كويسة؟.. في حاجة؟..

ردت بتلعثم بعد أن سحبت غطاء رقيق لتخفي ذراعيها العاريتين:

ـ لا ما فيش.. حضرتك ما تقلقش.. أنا بس كنت بايتة معها علشان حضرتك مسافر.. عن إذنك.

حسن وقد لاحظ إرتباكها ولاحظ أيضاً انها كانت ترتدي ملابس بسيطة للنوم فأخفض بصره في الأرض وتابع:

ـ أنا اللي آسف جيت فجأة، بس الحقيقة ما كونتش أعرف إن حضرتك معاها.

إيناس:

ـ حصل خير.. عن إذنك ،أنا حارجع بقى.

حسن:

ـ لأ.. ما يصحش.. خليكي وأنا حبات في مكان تاني وأرجع الصبح.

إيناس:

ـ إزاي يا بشمهندس!!.. ما ينفعش، وبعدين بالضبط خطوتين وأكون في الفيلا عن إذنك.

دخلت إيناس للغرفة الأخرى مسرعة لتغيير ملابسها والخروج..





وتركت حسن حائراً نوعاً ما من مكوثها مع زوجته في غيابه على غير العادة..

****

فتحت رقية عينيها ونظرت في الساعة فوجدتها السابعة صباحاً..

استدارت للنهوض وكادت أن تصرخ عندما وجدت حسن بجانبها ينظر نحوها بابتسامة..

شهقت في فزع وتابعت:

ـ إنت جيت إمتى؟

حسن:

ـ بالليل.

رقية:

ـ ما حستش بيك خالص.

حسن:

ـ لقيتك نايمة بعمق، ما رضتش أصحيكِ.. مش عادتك يعني!.. ده حتى إنتِ نومك خفيف.

رقية:

ـ آه.. فعلاً بس واضح إني كنت محتاجة أنام... يا خبر إيناس!!.. أقوم أقول ليها إنك جيت.

حسن:

ـ كانت صاحية إمبارح ساعة ما وصلت حتى إتكسفت ومشيت.

رقية:





ـ يا خبر.. وسبتها تمشي يا حسن، ما صحتنيش ليه؟.

حسن:

ـ والله عرضت عليها أمشي أنا، بس هي أصرت.. ودخلت الأوضة لقيتك نايمة وجميلة قوي ما رضيتش أصحيكِ.

ابتسمت بحرص لكلماته المنمقة..

إعتدلت وجلست على الفراش وتابعت:

ـ خلاص.. حقوم أحضر لك الفطار وبعدين أكلمها.

أمسك بيديها واحتضن كفها بقبضته وتابع بتردد:

ـ لا إستني.. أنا عايز أتكلم معاكِ شوية.

جلست بتردد وتابعت بدورها:

ـ أنا كمان عايزة أتكلم معاك.

حسن:

ـ طيب ابدئي إنتِ.

رقية:

ـ لا.. يفضل تبدأ إنت خليني للآخر.

حسن:

ـ لا يا حبيبتي.. إنتِ عمرك ما تكوني في الآخر.. إنتِ دايماً في الأول.. ابدئي إنتِ.

عضت شفتيها وصمتت قليلاً..

كانت تتوقع أن خبر مثل هذا ستزفه إليه ببهجة لا مثيل لها، ولكن لا تعلم ماذا أصابها..










كانت محبطة من ردة فعلة المنتظرة..

أم ربما خائفة فالخبر الآن أصبح يخصها وحدها وليس كلاهما..

أخذت نفساً عميقاً وتابعت بجملة واحدة مقتضبة:

ـ حسن.. أنا حامل.

ظل ينظر نحوها لوهلة دون تعبير حقيقي..

فجأة بدأ الإحمرار يغزو وجهه..

بيد مرتعشة مسح رأسه وجبهته، فرك أنفه، عينيه..

ظل يعبث بوجهه لدقائق وكأنه يسعى لتغيير تعبيراته الباهتة بعنف..

وفي النهاية بدأ نوبة جنونه بابتسامة ساخرة..

كانت كالفتيل الذي أشعل نوبة الضحك العارمة التي انتابته..

ضحك حتى ترقرقت العبرات بعينيه ومع ذلك لم يتوقف بل ظل يضحك بجنون..

كانت تراقبه بصدمة..

لقد ظلت طوال الأيام السابقة تخمن ردة فعله..

هل ستكون سعادة؟.. أم صدمة؟.. أم حزن؟.. أم قلق؟..

. خمنت كل شيء ولم تتطرق للحظة للجنون البادي أمامها..

انتظرت حتى انتهى وكما بدأ فجأة انتهى فجأة..

هربت ضحكته في لحظة، وتركها ليغرق رأسه تحت صنبور المياه الباردة..

خرج من الحمام وملامح وجهه غائبة تحت المنشفة يجفف شعره بتوتر..

كانت ما زالت بمكانها لم تتحرك، ولكن ملامح وجهها هي من تبدلت من سعادة.. إلى قلق.. ثم غضب..








نظر نحوها دون أن ينطق وأمسك بيدها، ولكنها سحبت أناملها بقوة من بين كفيه ونظرت نحوه والعبرات متحجرة بعينيها:

ـ حسن.. طلقني.

****

نظر خالد لحسن بدهشة عارمة وتابع:

ـ إيه!.. طلبت الطلاق!!

حسن بنبرة تحمل الحسرة:

ـ أيوه.

خالد:

ـ ليه؟.

حسن:

ـ النهارده بس هي حست إني إتجوزت عليها.

كانت نبرته حادة، متوترة..

شعر خالد بارتجاف يديه وليس صوته فقط..

ربت على كتفه قائلاً:

ـ حسن.. إهدى.

حسن:

ـ أنا كنت جاي أبلغها إن سهام لازم تعيش جنبنا في المزرعة.. كنت جاي وناوي أنفذ ده سواء برضاها أو غصب عنها.. كنت جاي أدي سهام وابنها حقهم فيا، فمن غير ما أحس سرقت فرحتها يا خالد.. الفرحة اللي ستنيتها سنين.





نظر خالد لصديقه بحزن وتابع:

ـ طيب وحتعمل إيه دلوقتِ؟

حسن:

ـ مش عارف!!

خالد:

ـ يعني إيه مش عارف!!.. إوعى تكون ناوي تنفذ لها طلبها؟!

حسن:

ـ عمري ما فكرت إني ممكن أطلق رقية، وإنها في لحظة من اللحظات حتكون مش مراتي.. تفتكر حاقدر أعمل ده دلوقتِ وكمان وهي شايلة أبني ولا بنتي في بطنها!!

خالد:

ـ خلاص.. حاول تسيبها تهدى شوية.

حسن:

ـ أنا خايف عليها وعلى اللي في بطنها، عايز أريحها ومش عارف إزاي!!

خالد:

ـ بتفكر تطلق سهام؟

حسن بحدة:

ـ مستحيل طبعاً في الظروف دي.. كده حاظلم إبني وأظلمها من غير ذنب.. أنا تعبان يا خالد بقيت بين مطرقة وسندان.. رقية أخيراً حتفرح من قلبها ومش عايز أخطف فرحتها، وسهام أم إبني ومش عايز أظلمها.

خالد:







- أنا مش عارف أقولك إيه!!

حسن:

- أنا مش عارف أفكر، نفسي أنام ما نمتش من إمبارح.

خالد:

- خد مفتاح الفيلا.. فعلاً لازم ترتاح وتصفي ذهنك.. إنت وصلت بالليل؟؟

حسن:

- آآآآاه لما دخلت البيت إمبارح لقيت إيناس.. اتخضيت.

خالد:

- آه صحيح.. كانت بايتة معاها، تاخد بالها منها.

حسن:

- كان موقف محرج، والبنت اتكسفت طبعاً، وكانت بلبس النوم.. حتى صممت تمشي في لحظتها.

انتبه له خالد فجأة وقال بصوت أجش غاضب:

- وهو إنت مش تبص في الأرض على طول بدل ما تحرجها كده يا أخي!

حسن:

- وهو أنا بحلقت يعني!!.. في إيه يا خالد.. وبعدين دي زي أختى الصغيرة.

ظل قاطباً جبينه وتابع:

- خلاص.. روح نام يا جوز الإتنين إنت وفكر في مشاكلك!

نظر له حسن بريبة لغضبه ثم تابع:

- ماشي.. يلا سلام.



خالد:

ـ سلام.

لا يعرف لماذا تمكن منه الغضب من هذا الموقف!!..

هل هي الغيرة؟.

هل يختبر معها شعور الغيرة الآن؟!

****

كانت إيناس تقف بجانب سهيلة تعبث بخصلاتها بسعادة وتناولها بعض الحشائش الخضراء..

انتبهت بعد وهلة أنه يراقبها كعادته.. تركت ما بيدها بإرتباك وتابعت:

ـ سهيلة تمام.. بس حنظم حركتها شوية في الفترة الجاية.

أجابها سريعاً دون أن تتغير نظرته الموجهة نحوها بإصرار:

ـ زي ما تشوفي.

إيناس:

ـ طيب عن إذنك.

خالد:

ـ رايحة فين؟.. هو إنتِ بتبصي على سهيلة علشان الشغل وبس إنتم مش اصحاب ولا إيه!!

ابتسمت وتابعت:

ـ لا أكيد اصحاب.. أنا مش بحس بالوقت معاها خالص.

خالد:








ـ عندك حق.

اقترب خالد من الفرسة وأمسك لجامها بلين وتابع:

ـ أنا أسعد لحظاتي كانت معاهم.. على فكرة.. الخيل ده كائن حساس ..على أد ما تحبيه، حيحبك.. وعلى أد ما تخلصي له، حيخلص لك.. وعلى قد ما تفهميه، حيحس بيكِ ويفهمك.

قال جملته الأخيرة وهو ينظر نحوها بعمق تابعت سريعاً لتتخلص من نظرته:

ـ واضح إن حضرتك معلوماتك عن الخيل مش مجرد معلومات طبية وأساسيات للتربية.

تابع وهو يعبث بخصلات سهيلة اللامعة:

ـ دي مش معلومات.. ده إحساسي أنا بالخيل.. حكايتي معاه!!

أومأت رأسها بابتسامة حذرة..

تابع هو مرة أخرى:

ـ لما تقربي منه حتفهميه.. ألمه.. سعادته.. حزنه.. إحساسه.. بس علشان يوصل لك ده لازم توصلي له.. إنتِ الأول عارفة إزاي؟

حركت رأسها بالنفي بإرتباك تابع بابتسامة وبصوت رخيم:

ـ الهمس.. همس الجياد...

نظرت نحوه وتسائلت بحذر:

ـ همس الجياد؟

خالد:

ـ أيوه دي علاقة خاصة.. مميزة.. بين الخيل والبشر.. لما بتهمسي في ودنه، مش بس مشاعرك اللي بتوصله.. لأ هو كمان حيتكلم معاكِ بطريقته ومع الوقت







حتفهميه.. حتسمعيه من غير ما يتكلم.. كل صوت ليه معنى.. وكل حركة ليها دلالة.. زي سهيلة دلوقتِ، إنتِ عارفة هي حاسة بإيه؟

نظرت له بدهشة:

ـ إنت عارف؟

خالد:

ـ مرتاحة.. بيبان من شكل العين.. شايفة هي سعيدة ومطمنة إزاي.. مطمنة لك زي رعد ما إطمن لك.

ارتبكت عندما ذكر رعد..

لاحظ إرتباكها، حيرة عينيها..

هل حقاً شاهدها مع رعد في تلك الساعة أم لا؟..

ارتجفت شفتاها قبل أن تنطق..

صمتت لوهلة ثم تابعت بتلعثم:

ـ أنا لازم أمشي.. لسه ورايا شغل.

تحركت سريعاً قبل أن تنتظر جوابه، ولكنه همس عندما مرت بجانبه بصوت هادئ، جملة جعلتها تتسمر مكانها ودبت الرعشة في أوصالها بلحظتها..

كان يبتسم بمكر وهو يرددها:

ـ الحصان الأعمى أكثر كائن بيحتاج للهمس.. ده سر من أسرار ترويضه.

ظلت صامتة ثابته مكانها لوهلة..

إستعادت رباطة جأشها وتابعت:

ـ فعلاً.. حضرتك عندك حق.



خالد:

- في سر تاني كمان.

تابعت بقلق:

- سر إيه؟

خالد:

- سر تاني لترويض رعد.

إيناس:

- وإيه هو؟

خالد:

- تعالي.

خرج وهي خلفه كانت خطواتها قلقة.. مترددة..

أخرج رعد من الحظيرة وتوجه به للخارج لإمتطائه..

كان المكان فارغاً لا يوجد سواهما..

نظرت حولها بدهشة وتابعت:

- هو فين العمال؟

خالد وهو يجهز السرج دون أن ينظر نحوها:

- أنا مشيتهم.. وأنا داخل إديتهم ساعة غدا.

ارتبكت وشعرت بالضيق عندما أيقنت أنها وحيدة معه..

نظر نحوها بمكر عندما استشعر ضيقها وتابع:













ـ بعد إذنك يا دكتورة.. ممكن ثانية؟

اقتربت منه فناولها السير الخاص بالحصان وتابع:

ـ إمسكيه دقيقة بعد إذنك.

من داخلها قررت أن ترحل على الفور بعد أن يمتطي فرسه..

نظر لها بتحدي وأخرج عصابة سوداء ثم ربطها حول عينيه..

شعرت أن العالم ينهار من حولها..

ظلت تنظر نحوه في صدمة لولا عصابته للاحظ العبرات بعينيها..

تابع وهو يأخذ السير من أناملها التي تعمد ملامستها عن قصد ومدة أطول تلك المرة:

ـ ده بقى السر التاني.. شكراً الفضل في ده يرجع ليكي على فكرة.

ظلت جامدة مكانها دون حركة..

لم تنتبه إلا عندما اكتشفت أنه قرر امتطاء رعد وهو مغمض العينين!!

كان يبدو أنه يود الإستئثار بكل هواء العالم لصدره..

رعد يعدو بحرية وخالد معصوب العينين يعيش نفس حالته..

وكأن خالد هو رعد.. ورعد هو خالد

على الرغم من غضبها.. بل ربما خجلها مما حدث ويحدث، إلا أنها شعرت بالسعادة من أجلهما..

فقد كان يبدو كلاهما سعيداً.. حراً.. مبصراً..

إن ماتراه حقاً يستحق المشاهدة..







أما هو فترك خياله الحر يعبث باللوحة السمراء أمامه كما تمنى من قبل.. أم ربما لا..

فهو لا يبالِ سوى بنسمات الهواء الحر التي تخترق صدره، ولكن تلك المرة هناك شسء آخر..

إنها هي..

للحظة تمنى أن يأخذها معه على فرسه الثائر ويهرب بها مبتعداً عن مشاعر وهواجس الماضي لكليهما..

تمنى أن تترك العنان لجدائلها البندقية ليعبث بها الهواء بمكر فيتفرق عطر البندق في الأجواء حوله...

أم ربما لا..

الأفضل أن يتسأثر به وحده..

ولكن أين هي؟!..

هل ما زالت تراقبه؟

خلع العصابة سريعاً ليبحث عنها..

ولكنها كانت قد اختفت..

رحلت بعطرها البندقي وتركته وحيداً..











الفصل الثامن والعشرون:

ظل لوهلة يتفحص المكان من حوله..

زفر بغضب ونظر لرعد ثم جلس على الأرض وظل يعبث بالرمال..

ماذا يحدث؟..

منذ متى وهو يترك العنان لقلبه هكذا؟!..

فهو خالد القوي الذي لا يحرك بأسه شيء أو ربما شخص..

ماذا تفعلين بي أيتها البندقية؟!!!..

تمدد على الأرض وظل يراقب السماء التي بدأت حمرة الشفق تتمكن منها رويداً رويداً..

كانت أفكاره مبعثرة يحاول تنظيمها بلا جدوى..

إيناس..

عشقها لشريف..

واقتحامه لعالمها..

لا..

بل هي من اقتحمت عالمه ولكن دون أن تشعر..

منذ رآها أول مرة ملقاة على الأرض وجدائل البندق تزين وجهها النائم.. بل منذ أن علم أنها أرملة تعيش داخل عالم زوجها السابق..

أم ربما منذ أن سمعها مع رعد تعترف بذنبها وتؤكد على وفائها لشريف لتتخلص من خطيئة إهتمامه..





اللعنة على هواجس الماضي فكلانا معبأ بجراح لا يود أن ينساها، بل يصر على المضي فيها قدماً دون أن يعي لذلك..

ولكن التشبث بالماضي هو سر إنجاذبه نحوها، فلو لم تكن على عهدها مع شريف لما لمست قلبه..

ما هذا الخبل!!..

أتريدها أم لا؟!

أريدها وأريد وفائها بنفس الوقت!..

حقاً إنها معضلة أيها الأحمق.

****

دون جدوى أعادت الإتصال برقية للمرة السابعة دون جواب..

بدأ القلق يتسرب إليها..

منذ تركها لخالد مسرعة تعمدت أن لا تفكر بالأمر أو تذكره أمام نفسها وكأنه لم يحدث..

هكذا أفضل..

وإلا ستترك العمل هنا بلا رجعة، ولكنها حقاً تحب المكان والجياد ولا تتصور البعد عنها..

إذاً لم يحدث شيء وستعامله بجفاء زائد وغضب بل بفظاظة..

نعم..

وستسعد بفظاظته المنتظرة أيضاً..

نظرت للهاتف مرة أخرى بيأس وفي النهاية لم تجد سبيلاً سوى الإتصال بحسن .











كان حسن مازال يغط في نوم عميق عندما رن هاتفه، نظر حسن للهاتف الملح الذي دق لأكثر من ٥ مرات متتالية..

هي بالتأكيد سهام..

نظر للهاتف دون اهتمام ولكن استيقظت عيناه النائمة فور رؤيته للرقم..

إيناس!.. ماذا حدث؟..

ظن أنها مع رقية..

وكانت تظن أن رقية معه..

وفي لحظات كان كلاهما أمام باب المنزل يطرقانه دون جدوى، نظرت إيناس نحوه بخوف وتابعت:

ـ هو حضرتك مش معاك مفتاح؟

أجابها باضطراب:

ـ نزلت الصبح بسرعة ونسيته.

كان يدفع الباب بكل ما أوتي من قوة رغبة في كسره دون جدوى،

وإيناس تراقبه في قلق..

جاءهما صوت أجش من خلفهما وهو يتقدم نحوهما في دهشة:

ـ في إيه؟!!

نظر حسن لخالد بيأس وتابع:

ـ رقية يا خالد جوه.. لا بتفتح، ولا بترد على التليفون..

قطب خالد جبينه وبدا على وجهه القلق بدوره ثم أزاح حسن عن الباب بلطف وتابع:






ـ طيب إوعى إنت..

بدأ خالد بدفع الباب بقوة بجسده القوي فاستطاع أن يكسره بعد دقائق، ودخلوا جميعاً مسرعين وأولهم حسن الذي كان يتعثر بالأثاث دون وعي وهو يهرع للداخل..

كانت رقية ممدة على الفراش وقد اتخذت وضعية تشبه الجنين ببطن أمه..
اقترب حسن من الفراش لاهثاً ينطق باسمها دون أن تجيبه..

في فزع وضع يديه على رقبتها وصدرها ولكنه لمس إنتظام تنفسها.. تابع بصوت أكثر هدوءً:

ـ رقية حبيبتي.. ردي عليا.. رقية!!

فتحت عينيها وهاله رؤية كم الدموع المنحبس بها والتورم القوي فوق أهدابها من كثرة البكاء..

دون وعي ظل يقبلها.. رأسها.. كفيها.. جبهتها.. وجهها..

ويردد بدوره:

ـ رقية.. ردي عليا أرجوكِ.. رقية.. سامحيني يا حبيبتي.. سامحيني يا أم إبني..

نظر خالد لإيناس التي كانت تراقب الموقف بتأثر وقال بصوت هامس:

ـ إيناس.. يلا إحنا بقى.

استدركت الموقف وخرجت خلفه على الفور وملامحها منقبضة، قال لها بنبرة حانية:

ـ ما تقلقيش.

نظرت نحوه بخوف وتابعت:

ـ أنا خايفة عليها قوي.








خالد:

- ما تخافيش.. هما حيصلحوا أمورهم مع بعض.. هي أزمة صعبة بس حيعدوها، أنا واثق من ده.

قطبت جبينها بضيق وتابعت:

- بس هي كانت كويسة لما سبتها.. هو اللي زعلها.

ابتسم خالد بثقة وتابع:

- أيوه.. هو اللي زعلها، وهو الوحيد اللي حيقدر يصالحها.. ما هو أكثر ناس ممكن يزعلونا اللي بنحبهم، وهما برده بس اللي بيقدروا يراضونا.

كان مرتكزاً بنظراته عليها كعادته.. أومأت رأسها بإرتباك وتابعت:

- طيب عن إذنك

استوقفها سريعاً قبل أن تبتعد:

- إيناس.. إستني..

ردت بإقتضاب:

- أيوه

خالد:

- عندي ليكي اعتذار واعتراف!!

اعتذار.. ربما تعلمه، ولكن اعتراف!

ارتجف جسدها وشعرت بقلق شديد تابع هو بعدها بصوت رخيم دافئ:

- الإعتذار بسبب إني خضيتك لما كشفت سر ترويضك لرعد، بس ما تنسيش ده كان تحدي، وعموماً أنا اكتشفت الموضوع بالصدفة ومشيت ساعتها على طول ورحت على بوكس سهيلة.



شعر بملامح الإرتياح في وجهها نوعاً وما ولكنه كان ارتياح مؤقت، تابع بعدها:

ـ نيجي بقى للإعتراف.

ردت بتعلثم:

ـ اعتراف!.. اعتراف إيه؟!

ابتسم بثقة، بل ود أن يصمت قليلاً ليتمتع بتلعثمها وارتباكها للحظات، وجنتيها التي تزداد احمراراً كلما شابها الخجل.. عينيها التي تزداد بريقاً.. أم ربما أناملها الرفيعة التي تتحرك بإضطراب تعبث بخصلات البندق خاصته بعفوية..

نعم فهو يود إمتلاك خصلات البندق..

هذا ما يشعر به الآن..

تابع بابتسامة ماكرة وقال:

ـ إن أنا عندي منافس في حب الخيل ومنافس قوي كمان.

نظرت له بدهشة تنم عن راحة شديدة وتابعت:

ـ منافس!

خالد:

ـ عمرى ما تخيلت إن حد حيحس بالخيل زيي، مش بس كده جايز أحسن مني كمان.

بسط قبضته نحوها وتابع بابتسامة:

ـ أصدقاء؟

صافحته بتردد:

ـ أصدقاء.





سحبت أناملها الرفيعة من قبضته سريعاً وغادرت..

غادرت وتركته بمكانه يبتسم بسخرية لحاله وينظر لقبضته القوية التي رقت فقط من أجل احتضان أناملها برقة ويؤكد لنفسه أنهما بالتأكيد لن يكونا مجرد أصدقاء!..

****

كانت مازالت ممدة على الفراش عندما عاد إليها ببعض الطعام، اقترب منها وملس على رأسها بحنان وتابع:

ـ لازم تاكلي حاجة شكلك ما كلتيش من الصبح.

هزت رأسها بالنفي..

كانت عيناها تكاد تفيض بالحمرة من كثرة البكاء..

نظر نحوها بحزن ثم زفر ببطء وقرر استدعاء بعض المرح فأخذ شطيرة الجبن ووجهها نحو بطنها وتابع:

ـ يلا يا أستاذ إنت!.. ما أكلتش حاجة من الصبح لازم تاكل حاجة

ارتجفت شفتاها في محاولة يائسة للابتسام، اقترب حسن منها وطبع قبلة سريعة على شفتيها المرتجفة وتابع:

ـ لازم تاكلي وتتغذي علشان البيبي وعلشان صحتك قبل البيبي اللي هي غالية عندي قوي..

خرج صوتها أخيراً متحشرجاً.. ضعيفاً.. باكياً:

ـ أنا ما ليش نفس.

اقترب منها وقام بضم رأسها لصدره وتابع بنبرة حانية:

ـ رقية.. بقى لك أد إيه مستنية البيبي.. رقية.. طظ في أي حاجة وفي كل حاجة حتى أنا.. رقية.. إنتِ شايلة حلمنا في بطنك.



تابعت بنبرة يائسة:

- حلمي أنا.. حلمك إنت حققته خلاص.

تنهد بألم وتابع:

- لأ.. حلمنا.. فاكرة الأرض.. إقتراح خالد؟..على فكرة إذا جه ولد حسميه خالد!

نظرت نحوه وقد ترقرقت العبارات بعينيها مرة أخرى فتابع وهو يلتقطها بيديه ويجفف وجهها بحنان:

- لأ.. بلاش دموع.. يلا نتعشى سوا علشان الصبح نروح الأرض نفرج العفريت ده عليها.

نظرت نحوه بضيق وتابعت:

- حسن.. إنت ناسي اللي طلبته؟...

وضع يده على فمها قبل أن تكمل وتابع:

- مش ناسي، ومش حاقدر أعمل ده وإنتِ عارفة.. لو إنتِ تقدري تستغني عني، أنا ما اقدرش أستغنى عنك.

رقية:

- إنت إستغنيت يا حسن.

حسن:

- لأ يا رقية.. أنا عمري ما استغنيت وإنتِ واثقة من ده.

وضعت يدها على رأسها وتنهدت بعمق فتابع:

- الحل الوحيد إنك تخلصي مني.. إني أموت.

دون وعي قالت سريعاً:

- بعد الشر.

ابتسم برضا وتابع:

- الشر هو بعدي عنك.

قطبت جبينها وعلا ملامحها الضيق مرة أخرى وتابعت:

- بس إنت بعدت ورحت إتج..

قبل أن تكمل قاطعها تلك المرة بوضع الشطيرة بفمها مما اضطرها أن تمضغ قضمة رغماً عنها وتابعت:

- حسن!!.. بتعمل إيه؟!.

حسن:

- مش عايز كلام.. عايز طعام وبس.. أرجوكِ علشان خاطر صحتك وصحة إبني اللي في بطنك.. أبوس إيدك أنا بقى لي سنين مستنيه..

رقية:

- لا يا حسن.. إنت مش بقى لك سنين.. إنت بقيت أب دلوقتِ، أنا عارفة.

صمت قليلاً وتنهد بألم وتابع:

- وإنتِ كمان تسع شهور حتكوني أم لإبني، وأنا بشوف إن أي كلام تاني حنأجله لبعد التسع شهور دول.. ممكن؟.. علشان خاطر خالد.

تابعت:

- ممكن تكون بنت على فكرة.

حسن:

- حتكون أحلى بنت، المهم ما تبقاش شبهي ساعتها مش حنعرف نجوزها!








ابتسمت رغماً عنها فتابع وهو يناولها الشطيرة:

ـ اللهم صلي على النبي.. شوفتي لما بتضحكي وشك بينور إزاي.. طيب أنا عايزها بنت وقمر زيك.

بدت ملامح الراحة تتسلل لوجهها تابع وهي تتناول طعامها بروية:

ـ بعد ما تاكلي، تشربي العصير كله.. هه.. وبعدين نقوم نصلي ركعتين شكر لله مع بعض.. دي كان أول حاجة لازم نعملها.

أومأت بالإيجاب وظل بجانبها حتى أنهت طعامها كله، عندها ساعدها حتى توضأت ثم أقام الصلاة.

****

نظر حمزة للوحة بدهشة ثم استدار لها قائلاً:

ـ إيه ده؟!

ابتسمت بثقة، كانت متأنقة كالعادة، على الرغم من بساطة خصلاتها المرفوعة بدبوس قاتم اللون وملابسها التي تكونت من سروالاً من الكتان الأبيض وقميصاً حريرياً أحمر اللون دون أكمام، إلا أنها كانت تبدو وكأنها خرجت لتوها من أحد مجلات الأزياء الشهيرة.. نوع من النساء لم يلتقيه حمزة من قبل..

كانت تبدو كاللغز المحير أم ربما الحلم الغامض..

استلقت على أريكتها دون تكلف وتابعت:

ـ إيه!!.. مش عاجباك؟

حمزة:

ـ أنا قلت ليكي قبل كده إن الرسم إحساس، وبصراحة بحاول أفهم الإحساس اللي رسمتِ بيه اللوحة الدموية دي!

كارمن:







ـ إنت شايفها دموية!

ظل حمزة يتفحص الرسم أمامه مرة أخرى..

خلفية سوداء قاتمة، ورجل غابت أغلب ملامحه فبدا كظل رجل، ولكن كانت هناك دماء تتساقط من يده..

قاتل هو أم مقتول!!..

الدماء تتساقط على وردة حمراء..

ابتسم بمكر وتابع:

ـ دي مش أسطورة البنفسج يا كارمن.. دي أسطورة وردة الحب.. إنتِ قرأتِ الكتاب؟

أغمضت عينيها وتابعت:

ـ فيوليت ما طلعتش مني إحساس حقيقي، لكن دي هي اللي كنت بدور عليها.

نظر نحوها بقلق وتابع:

ـ بس أنا مش فاهم اللوحة.. مش فاهم قصدك.

كارمن بسخرية:

ـ مش مهم!

تابع وهو مازال يتفحص اللوحة:

ـ إنتِ الوردة الحمراء؟

ضحكت بشدة، ضحكة رنانة ساخرة.. حزينة..

تابعت بأسى:







ـ تعرف إن في الآخر برده مش قادرة أحس نفسي الوردة الحمراء.. الأسطورة بتقول إن العصفور ضحى بنفسه علشان يلون الوردة البيضاء بدمه وتبقى حمراء وتكون وردة حب وتقدر تحب.. بس..

حمزة:

ـ بس إيه؟

كارمن:

ـ أنا ما حدش ضحى بنفسه علشاني.. أنا بيتضحى بيا وبس.

لاحظ حمزة ترقرق العبرات بعينيها..

شعر بالشفقة نحوها وتابع النظر نحو اللوحة مرة أخرى..

الرجل..

ملامحه الغائبة داخل الظلام تبدو مألوفة.. العيون الحادة.. الوجه القاسي..

فجأة انقبضت ملامحه..

نظر نحوها في ذهول وتابع:

ـ ده خالد؟؟!!

ابتسمت بدهاء وظلت صامتة وهو ينظر نحوها منتظراً الإجابة..

نعم..

الإجابة يا حمزة..

لقد حان الوقت لمعرفة بعض الحقائق عن رب عملك..

خالد..

****









نظر له الرجل بتمعن ثم تابع:

ـ بس يا كريم باشا الموضوع ده حيكلفك كتير.

أجابه وهو يتلاعب بسيجارته بفمه دون إكتراث:

ـ كام يعني؟

تلفت المسجون حوله وتابع:

ـ ١٠٠ باكو.

كريم:

ـ إعتبرهم في جيبك.

ضحك الرجل بإستهزاء:

ـ إزاي يا باشا؟.. إنت فاكرني بضفاير!!.. أنا اللي أعرفه إنك دخلت السجن مأشفر.

قام كريم وقد أمسك بالرجل فدفعه إلى الحائط بقبضة واحدة ثم تابع:

ـ مش بتاعتك.. ليك فلوسك وحتاخدها على الجزمة.

المسجون:

ـ خلاص يا باشا.. خلاص يا كبير.

كريم:

ـ التنفيذ كمان أد إيه؟

المسجون:

ـ شهر يا باشا.

كريم:





- كتير

المسجون:

- يا باشا الموضوع ده عايز ترتيب، هنا وبره كمان.. ده هروب يا باشا.. هرووووووووب.

الفصل التاسع والعشرون:

مازالت ملامحه حائرة..

ينظر نحو اللوحة في دهشة..

هي حقاً تقصد خالد!!

بالتأكيد خالد..

إذاً هي تكرهه.. تبغض ذكراه..

ففي النهاية هو زوج سابق، ولكن ما سر تلك الدموية التي تنبض بها اللوحة!!

نظر نحوها متسائلاً..

كانت ما زالت مستلقية على أريكتها، لمحة من الرضا اجتاحت عينيها وتممتها بابتسامة مسيطرة أضافت لحمرة شفتيها المزيد من الثقة..

تابعت بصوت هادئ:

- أيوه هو خالد.





حمزة:

ـ أنا ما كونتش أعرف إن العلاقة بينكم سيئة كده.

ضحكت بسخرية وتوجهت نحوه، استقرت بجانبه وقالت وهي تنظر للوحة بمرارة:

ـ علاقة سيئة!.. جميل المسمى الشيك ده.. بس مش هي دي الحقيقة.

حمزة:

ـ طيب.. إيه الحقيقة؟

استدارت نحوه ولاحظ اتساع حدقة عينيها، كانت تبدو كبحر ثائر يتوق لابتلاع كل مظاهر الحياة داخل دوامته الغاضبة..

قالت بنبرة حاقدة:

ـ الحقيقة.. إن خالد ده حقير.. أحقر إنسان ممكن تتعامل معاه في حياتك.

****

لا يعلم ماذا أصابه!!..

ولكنه ود الهروب من المكان سريعاً، ربما لشحنة الطاقة السلبية التي تفجرت من حوله منذ بدأت الحديث عن خالد..

على الرغم من أنه لم يكن لخالد صديقاً، وليس بينهما أي صفات مشتركة، بل يضيق أحياناً بطباعه البرجوازية..

إلا أنه لا يكن له بغضاً أو كراهية،على عكس كارمن التي عبئت الأجواء في لحظات بعبق الكراهية والحقد والغضب.

هل حقاً ما أخبرته عنه؟!





هذا الرجل الذي استغل جسدها في مراهقتها وقلبها في أوج أنوثتها.. مخادع.. كاذب.. محتال..

كانت تلك هي كلماتها بالتحديد..

محتال وسيخسر كل شيء قريباً وستسقطون معه..

ماذا تقصد بهذه العبارة؟..

بل ماذا تقصد بعبارتها الأخرى بأنه يجب عليه تأمين مستقبله لأن وظيفته مع خالد زائلة على المدى القريب؟!!

زفر بضيق..

جيد أنه غادر المكان، بل هو لا ينوي العودة إلى هناك مرة أخرى..

فقد تبدلت المرأة الفاتنة بأخرى تمكن منها الحقد حتى النخاع..

وحديث الأزهار والحب والفن تحول لمجرد شكوى امرأة ناقمة على من هجرها..

نعم.. من الأفضل ألا يعود..

فلقد انتهت تلك الصداقة ربما من قبل أن تبدأ.

****

في دثار الصداقة أتخفى، فقط لأكون بجانبها!..

صوتها العذب أصبح أكثر رقة، حديثها أصبح أقل تكلفاً، بل إنها رغماً عنها نادتني خالد، ثم استدركت نفسها وطغت حمرة الخجل على وجنتيها سريعاً وهي تتمتم "بشمهندس"

كنت أتحدث معها كثيراً، أبحث عنها من أجل لا شيء..

أوجدت مواضيع من العدم .. ولم يكن هناك أفضل من الجياد..








أصبحت ذريعتي من أجل الحوار..

كانت تعشق الجياد فشعاع العسل بمقلتيها ينبض بالحياة عندما تكون بجانبهم خاصة رعد..

حصاني الثائر الذي طوعته في دقائق بإحساسها دون دهاء، في حضورها يتبدل لكائن آخر..

رقيق.. باسم.. هادئ.. عاشق!

فرعد يعشق البندقية وينتظر طلتها ربما مثلي تماماً..

"خالد"

****

نظر حسن لهاتفه بملل لقد مر حوالي شهر منذ معرفته بحمل رقية، شهر من المبررات والتأجيل مع سهام التي لم تتقبل خبر حمل رقية..

بل وصل بها الأمر لعدم تصديقه والتعامل معه على أنه ذريعة حسن الجديدة من أجل الهروب من إلتزامته نحوها..

أخيراً أجاب الهاتف بصوت يدعي النوم على الرغم من أنه كان بعمله!

حسن:

- ألو

سهام:

- صباح الخير.. إيه كنت نايم ولا إيه؟!

حسن:

- آه.. راحت عليا نومه.. بصي يا سهام حافوق واغسل وشي وأكلمك.

سهام بغضب:





ـ الساعة عدت عشرة.. ناموسيتك كحلي ولا إيه!

زفر بضيق:

ـ وقته الكلام ده.. أخبار محمود إيه؟

سهام :

ـ والله عايز تعرف أخباره تعال شوفه!

حسن:

ـ في إيه يا سهام!.. ما أنا كنت عندك الخميس اللي فات.

سهام:

ـ مرة كل أسبوع تشوف إبنك!.. لا كتر خيرك!!

حسن:

ـ هو إحنا مش إتفقنا نأجل الكلام في الموضوع ده لغاية ما رقية تولد بالسلامة.

ضحكت بسخرية وتابعت:

ـ هو إنت فاكرني مصدقة الفيلم ده؟.. بصراحة ده فيلم عربي قديم قوي قوي!

حسن:

ـ لا يا سهام.. ده مش فيلم عربي قديم.. دي حكمة ربنا.

سهام:

ـ بقولك إيه.. حتى لو حامل، ده ما يفرقش معايا في حاجة.. أنا حقي فيك ما لوش علاقة بحملها من عدمه، وحقي حاخده يا حسن ومش حقي بس حق إبني كمان.

حسن:

ـ إنتِ بتهدديني يا سهام؟



سهام بصوت غاضب:

ـ أنا مش بهددك.. أنا ببلغك!

تمكن منه الغضب بشدة وتبدلت ملامحه الهادئة سريعاً وأجابها بقوة:

ـ طيب بصي بقى.. أنا ما بتهددش.. وأنا ما بحبش الست اللي تعلي صوتها وتعمل راسها براسي.. مفهوم؟

سهام:

ـ إنت بتخوفني بقى؟

حسن:

ـ افهميها زي ما تفهميها.. لمي الدور يا سهام ومش عايز نكد ودوشة دماغ.. وبلاش لؤم الستات ده.. ما تلويش دراعي بالواد هه؟

صمتت لوهلة ثم تابعت بنبرة حاقدة:

ـ حاضر.. حاضر يا حسن.

أغلقت الهاتف ونظرت لملامحها الغاضبة بالمرآة وتابعت:

ـ ماشي يا حسن.. إما أشوف أنا ولا الست رقية بتاعتك!.

****

ألقت إيناس نظرة أخيرة على القدر ثم أغلقته بابتسامة وهي تمسح قطرات البخار التي تصاعدت لوجهها وتابعت:

ـ تمام الفراخ إستوت

نظرت لها رقية بحنان وقالت بدورها:

ـ أنا آسفه يا إيناس.. تاعباكي معايا، مش عارفة المفروض شهور الوحم عدت، بس ريحة الفراخ مش قادرة أستحملها.





نظرت نحوها إيناس بلوم وتابعت:

- تاعباني في إيه بس يا روكا؟.. هي كيمياء!.. إملي الأوضة المية وحطي الفرخة تبقى شوربة يا لينا!

ضحكت رقية بشدة وتابعت:

- ضحكتيني يا إيناس، حاولد بدري بسببك.

إيناس:

- لا.. لا.. خلاص أبوس إيدك.

رقية:

- الدكتورة قالت لي المرة الجاية حتقولي ولد ولا بنت.

إيناس:

- بجد!!.. وإنتِ نفسك في إيه؟

ابتسمت رقية بتأثر وتابعت:

- نفسي في إيه!!.. يااااااه يا إيناس.. أنا ما صدقت، كل اللي يجيبه ربنا كويس.

أمسكت إيناس بيد رقية وتابعت:

- ربنا يقومك بالسلامة.

تابعت رقية بنبرتها الهادئة:

- حسن قال لي لو ولد حنسميه خالد.

ارتبكت إيناس للحظة عندما ذكرت رقية إسم خالد، ولكنها استدركت نفسها سريعاً وتابعت:

- على إسم بشمهندس خالد؟



رقية:

- حلمنا أنا وحسن.. الأرض.. إقتراح خالد، فاكرة؟

إيناس:

- أيوه فاكرة.

رقية:

- ولو بنت حسميها إيناس.

نظرت نحوها إيناس بتأثر وهي تحرك رأسها بالنفي:

- لا يا حبيبتي.. سميها إسم جديد.

رقية:

- إيناس ده إسم معناه الأنس والراحة يعني الست اللي قعدتها حلوة.. الواحد يفتح لها قلبه ويرتاح، ودي إنتِ يا إيناس.. بجد الإسم ده إتعمل علشانك مخصوص.. يا رب بنتي تطلع نصك وتطلع قمر زيك كده.

إيناس بابتسامة:

- خلاص.. بس إوعي لما تكبر ميعجبهاش الإسم!

رقية:

- أقرب إتنين لينا.. إنتِ وخالد.. وإحنا قررنا خلاص البيبي على إسم حد فيكم.

ابتسمت بحرص..

خالد!..

لا تعلم لماذا يجمعها القدر به دوماً حتى في الأسماء!!.

****





كانت جالسة بجوار المكتب في الغرفة المظلمة التي اعتادت زيارته فيها، إصبعها النحيل المزين بنقوش الحناء ينقر بعصبية شديدة، نقرات متتالية تمثل سيمفونية جديدة من غضبها المتأجج الذي لا يزول..

منذ زيارة حمزة الأخيرة وهو يتهرب منها، ذرائعه واهية.. ساذجة.. أحمق..

لا بل هي الحمقاء..

متسرعة..

هرب منها ربما من قبل أن توقن ماذا ستفعل بتلك العلاقة الخرقاء..

قطع أفكارها قدومه..

ابتسم لها ببرود ثم وجه نحوها نظرة غاضبة نارية ربما تكون متناقضة مع ملامح الثلج المسيطرة على هيئته..

كريم:

ـ ياه.. ليكي وحشة يا مدام!

كارمن:

ـ كنت مشغولة شويه

كريم:

ـ لا والله!!.. ولا حنيتِ للبيه؟

كارمن بنظرة غاضبة:

ـ دي آخر حاجة ممكن تحصل، بالعكس أنا عايزة أخلص.. عايزة أشوفه متدمر.. فاهم يعني إيه متدمر!!

كريم ببرود:

ـ هدفنا واحد.



كارمن:

ـ طيب.. إيه الخطوة الجاية؟

كريم:

ـ لسه.

بدت هستيرية في حديثها وتابعت:

ـ يعني إيه لسه؟.. لسه؟... لسه؟.. إنت بطئ قوي!

نظر نحوها كريم بتوعد وتابع:

ـ بقولك إيه يا بت إنتِ إركزي وبلاش غباوة، مفهوم؟

صمتت وظلت تنظر نحوه بغضب..

أخرجت سيجارة وبدأت تدخن بتوتر ثم تابعت:

ـ طيب ناوي على إيه؟

ضحك كريم بمكر وتابع:

ـ الزيارة الجاية حتعرفي.

كارمن:

ـ هو إيه ده!.. ما تقول دلوقتِ وخلاص.

كريم بإصرار وهو يجز على أسنانه وينظر نحوها بتوكيد:

ـ الزيارة الجاية حتعرفي وكلامنا إنتهى على كده.

خرج..

خرج وتركها تحرق نار غضبها في لفافة التبغ البائسة بدلاً من أن تحترق هي..





لا..

لن تحترق مثل تلك اللفافة التعيسة..

يبدو أنني سأزور المزرعة من جديد، ولكن تلك المرة ليس من أجلك يا خالد!.

الفصل الثلاثون:

كان المكان يبدو قاتماً، لا يختلف كثيراً عن جدران زنزانته الرمادية التي طالما مثلت رماد البركان بداخله، بركان يبدو خامداً الآن ولكن ثورته ستكون بالتأكيد مهلكة.

عاد يتفحص المكان من حوله، حيز ضيق مغمور برائحة الدخان الأزرق، الوجوه قبيحة وما زادها قبحاً ربما وجود النساء، فلقد اعتاد مظهر القبح في الرجال حوله أما أن تكون النساء كذلك أيضاً فتلك هي ذروة العبث..

أين الجميلات؟!..

هل شح عالمه بهن أيضاً؟!..

ربما، بل ربما أصابه القُبح بدوره وحفرت السنوات البائسة آثارها بإحكام داخل ملامحه..

هو لا يختلف كثيراً عن الجُموع الرثة حوله..

نظر لصديقه بمكر الذي استقبله بدوره بترحاب فاتحاً كلتا ذراعيه وأسنانه الصفراء المتهالكة طغت على ابتسامته فبدلتها بابتسامة مسخ..

ولكن هذا المسخ هو سبب حريته المنقوصة.









اقترب شوقي من كريم مرحباً:

ـ حبيبي.. كفارة.

كريم:

ـ حبيب قلبي.. ليك وحشة.

شوقي:

ـ الواد نصه ريحك ولا تعبك

كريم:

ـ ريحني بس هباش

شوقي:

ـ موضوع الهروب مش سهل يا كيمو وبيكلف.

كريم:

ـ عموماً مش مهم الفلوس المهم إني خرجت.

شوقي:

ـ وهو من غير رذالة يعني .. إنت جبت الفلوس منين؟

كريم:

ـ وهو عملوا البلاطة ليه يا شوقي مش علشان نخبي تحتيها قرشين للزمن المهبب ده!

شوقي:

ـ تمام يا صاحبي.

كريم:








ـ إيه المكان ده يا شوقي أنا قلت حلاقي عندك ما لذ وطاب!

ضحك شوقي بمكر:

ـ عندي يا حبيبي.. المكان ده بس تمويه لكن اتفضل.

تبعه كريم ينظر بتقزز للوجوه حوله ولكن ما لبث أن خرج من تلك البقعة المتهالكة إلي مكان آخر يمثل نقيضها تماماً..

كانت فيلا صغيرة يقطن فيها المدعو شوقي..

وشوقي أحد أصدقاء كريم في السجن.. هو منبع لكل ما هو غير مشروع يتاجر بكل شيء.. سلاح.. مخدرات.. نساء..

كل ما يخطر ببال وربما ما لا يخطر أيضاً ولم يتخيل كريم أنه قد يصبح في أحد الأيام صديق لهذا الـ "شوقي" ولكن ربما هو الحظ الذي جعله يتلقى طعنة كائدة بدلاً منه كادت تودي بحياة كريم ونجى شوقي..

وأصبحا أصدقاء وتغير كريم من بعدها من مجرد فتى مدلل ربما لرجل كما يرى شوقي وأمثاله الرجولة!

إضطجع كريم على أحد الأرائك وتنهد براحة:

ـ أيوه كده.

نظر له شوقي بمكر ثم قام بإعداد لفافة تبغ من أجله وناوله إياها قائلاً: ـ حبيب قلبي..

كريم:

ـ لاااااااااا.. أنا عايز أبقى فايق.

شوقي:

ـ لسه قدامك الأيام كتير.. ريح النهارده وفوق بعدين.









كريم:

ـ أنا مش حفوق إلا لما أخلص يا شوقي.

شوقي متسائلاً بمكر:

ـ حبيبك بتاع المزرعة؟

كريم:

ـ وهو في غيره!

شوقي:

ـ بس لازم تصبر شوية يا صاحبي.

كريم:

ـ هو اللي بعمله في الناس حيطلع عليا ولا ايه!!

شوقي:

ـ لا يا حبيبي بس إنت لسه هربان والبوليس عينه حتكون مفتحة، لازم تكن شوية.

كريم بضيق:

ـ أد إيه يعني؟

شوقي:

ـ شهرين ثلاثة كده.

كريم:

ـ كتير يا شوقي.. كتير قوي.

شوقي:





ـ حبيبي.. العملية كبيرة ومحتاجة تخطيط ووقت.. ده غير لازم البوليس يرجع ينسى.. ممكن هروبك يخوف صاحبك ويلبش الجو هناك.

كريم:

ـ ماشي يا شوقي.. بس مش اكثر من كده.

شوقي:

ـ لا ما تخافش..

ناوله شوقي اللفافة وتابع:

ـ نقول مساء الخير..

أخذها كريم منه ونفث دخانها الأزرق بغيظ وتمتم بصوته البائس:

ـ مساء النور.. هانت.. هانت قوي يا خالد.

****

استرعى إنتباهها نقراته المتعجلة على باب العيادة، استقبلته بابتسامة مقتضبة قائلة:

ـ بشمهندس حمزة.. اتفضل.

دخل حمزة بابتسامته المعتادة وحياها قائلاً:

ـ إزيك يا دكتورة؟

إيناس:

ـ الحمد لله.

حمزة:

ـ أخبار الشغل إيه؟ والخيل تمام.





إيناس:

ـ آه.. الحمد لله.. تمام.

حمزة:

ـ وأخبار أبلة روكا إيه؟

ردت بدهشة:

ـ كويسة.. إنت مش بتزورها؟

حمزة:

ـ لا بزورها، حتى كنت رايح ليها دلوقتِ بس حبيت أعدي وأسلم عليكِ.

إيناس بنفس النبرة الجادة:

ـ الله يسلمك يا بشمهندس.

لاحظ حمزة جديتها أو ربما ضيقها من الزيارة ذات السبب غير المعلن تابع سريعاً:

ـ كمان كنت عايز أخد رأيك في حاجة.

إيناس:

ـ رأيي في إيه؟

أخرج حمزة ثوباً صغيراً لرضيع كان مميزاً ورقيقاً ناولها إياها وتابع:

ـ ها.. إيه رأيك؟

أمسكت إيناس بالثوب ونظرت نحوه بحنان وهي تردد:

ـ جميل قوي بجد.

حمزة:





- يعني حيعجبها؟.. أنا جبته بيج علشان يليق مع ولد أو بنت.

إيناس:

- حتفرح بيه قوي بجد.. هي لسه ما اشترتش حاجة، دي حتكون أول حاجة للبيبي.

بدت على ثغره ابتسامة طفولية:

- كويس.. علشان أذله.. أول حاجة لبسها من أونكل حمزة.

ضحكت وأعادت له الثوب:

- ذوقه جميل.

حمزة:

- لا ما هو أنا دايماً ذوقي حلو على فكرة.

عادت مرة أخرى لابتسامتها المقتضبة ربما لإنها استدركت ما يعنيه خاصةً مع نظرته الحانية الموجهه نحوها..

كادت أن تنطق بعبارة جافة لكي تنهي المقابلة ولكن شد إنتباهها عطر قوي.. مثير، اخترق الغرفة مع نسمات الهواء التي عبثت بخصلاتها المتوهجة وهي تقف بالباب تراقبهما بعين ماكرة وابتسامة واثقة.

نظرت إيناس نحوها في دهشة واستدار حمزة بدوره للباب وعندها قالت له كارمن بصوت عذب:

- إزيك يا حمزة..

ثم استدارت لإيناس وقالت بنبرة راضية:

- إزيك يا دكتورة.. واضح إن دايماً الصدفة بتجمعنا ولا إيه!

ابتسمت إيناس بحيرة وقالت بدورها:












- أهلا يا فندم.

ظل حمزة مندهشاً لوهلة من قدومها وحديثها مع كلاهما، وقبل أن ينطق جاءه هروب إيناس السريع عندما لاحظت النظرات الصامتة بينه وبين كارمن..

إيناس:

- طيب عن إذنكم أنا بقى.

ابتسمت كارمن:

- فرصة سعيدة لمرة تانية يا دكتور، ولا أقول تالتة!

ردت بإقتضاب:

- أنا الأسعد.

خرج ثلاثتهم من العيادة..

تركتهما إيناس مسرعة متسائلة في نفسها عن علاقة حمزة بكارمن..

لا تعلم لماذا تشعر بالضيق كلما رآتها، هل هو مجرد رد فعل لنظرات كارمن الغاضبة نحوها فهي تشعر أنها لا تستسيغ طلتها.. لماذا؟؟؟..

هل بسبب خالد؟.. هل ما زالت كارمن تحبه؟

ربما.. فلقد ألقت بسهامها المسمومة في المرة السابقة عندما لمّحت لرؤيتها مع خالد كلما زارته.. هل تود حقاً العودة إليه؟؟

وماذا عن خالد هل لديه بقايا مشاعر من العشق نحو الصهباء؟..

سحقاً..

لماذا تهتم؟..

هي لا تهتم..









بالطبع لا تهتم.. هي فقط تفكر..

فكارمن تنظر لها بمكر غريب وكأنها عدو لدود دون أن تعي لماذا!

لا هي تعلم لماذا..

ولكنها لا تود المواجهة..

إنه خالد..

****

نظر حمزة لكارمن بدهشة قابلتها هي بابتسامة ماكرة، فآخر ما كانت تتوقعه أن يكون حمزة عاشق لتلك الطبيبة..

لأول مرة تشعر أنها محظوظة فقد جاءت للمزرعة وليس لديها أي فكرة عن ما ستقوله لحمزة حتى تعيد علاقتها معه من جديد، بل كانت حائرة في ماهية العلاقة وقدرتها على الإستفادة، ولكن الآن فقط شعرت ببريق غريب يجتاح عينيها..

فالنظرة الحانية التي رأتها في عينيه نحو تلك الطبيبة الجميلة كانت بمثابة حبل الإنقاذ الذي سيلتف حول رقبة خالد في النهاية..

الآن تعرف كيف ستجعله يكره خالد وتلك فقط البداية..

قال لها بصوت هادئ:

ـ إزيك يا كارمن؟

كارمن:

ـ مهتم تعرف فعلاً!

حمزة:

ـ مش فاهم قصدك؟







كارمن:

ـ لو كنت مهتم بحالي كنت زورتني أو حتى رديت على تليفوني.

حمزة:

ـ أنا آسف.. اتشغلت و..

قاطعته بابتسامة:

ـ ما تكدبش.. اللي زيك مش بيعرف يكدب.

حمزة:

ـ كارمن.. أنا..

كارمن:

ـ إنت خفت.. جايز خفت على شغلك مع خالد لما عرفت أد إيه العلاقة بيني وبينه سيئة.

نظر لها بضيق ودهشة:

ـ على فكرة الموضوع مش كده خالص.

كارمن:

ـ طيب إيه الموضوع؟

خلع قبعته وعبث بإرتباك بخصلاته المسترسلة ثم تابع:

ـ الحكاية كلها إني حسيت إني مش فاهم.

كارمن:

ـ مش فاهم إيه؟

حمزة:








ـ مش فاهم.. إحنا فعلاً بنتقابل علشان نتكلم عن شغل؟.. عن فن جميل ومشاعر حقيقية بتلوني بيها لوحتك البيضاء؟.. ولا عن كرهك ليه وغضبك منه؟.

كارمن:

ـ ما هو سواء كرهي أو غضبي دي مشاعر برده، ولا المشاعر لازم تكون حب وجمال وبس؟

حمزة:

ـ لا طبعاً بالعكس.. أوقات مشاعر الغضب بتكون أقوى وأعمق وبيطلع منها فن صادق وحقيقي بجد.

كارمن:

ـ غريبة!!.. ومدام كده.. هربت ليه؟

حمزة:

ـ علشان إنتي كدبتِ يا كارمن.

كارمن:

ـ كدبت!

حمزة:

ـ أيوه.. أول مرة إتقابلنا قولتِ لي إنك كنت جاية هنا لخالد تطلبي منه خدمة بخصوص الورد والرسم.. فاكرة؟...

صمتت وأومأت برأسها إيجاباً..

تابع بثقة:





ـ والمرة اللي فاتت عرفتيني أد إيه هو حقير وحكيتِ تاريخه معاكِ من أول ما إستغلك وإنتِ صغيرة لغاية آخر مرة.. قولتِ لي إنه ضربك.. أصدق مين فيهم يا كارمن؟

تابعت بإرتباك:

ـ كنت عايز أول مرة أشوفك أقول لك إني كنت عند طليقي وضربني.. أكيد مش منطقي!

حمزة:

ـ بس ممكن ما كونتيش تصوري إن العلاقة كويسة.. الحقيقة ده خلاني أفكر، شكوتك حقيقية ولا مجرد حقد وغل طبيعي في حالة الطلاق.

غضبت من داخلها تماسكت قليلاً ونظرت نحوه وقد بدت بعض العبرات بعينيها:

ـ كنت متخيلة إنك قارئ كويس للناس يا حمزة.. بس واضح إنك مجرد راجل تقليدي مش أكثر.. عن إذنك.

استدارت لتتركه..

لا يعلم ماذا أصابه ولكنه شعر بالغضب من نفسه استوقفها قائلاً:

ـ كارمن.. استني.

توقفت..

ضحكت برضا ثم نظرت نحوه بأمل:

ـ أيوه.

حمزة:

ـ أنا فعلا قارئ كويس للناس بس إنتِ غامضة جداً.

كارمن:







ـ غامضة!.. أنا مشكلتي إني كتاب مفتوح.

حمزة:

ـ أيوة.. بس مليان لوغاريتمات يا كارمن وأنا كنت أدبي!.

إبتسمت بيأس:

ـ عندك قدرة فظيعة إنك تخرج ضحكة من كل حاجة.. جايز ده اللي عاجبني فيك.

حمزة:

ـ ده بس؟!

كارمن:

ـ أنا نفسي نكون أصدقاء وجيت لك مخصوص.. حتوافق ولا حترفض؟

كانت تبدو فاتنة وبريئة بنفس اللحظة..

بريق النهر الأزرق بعينيها حزيناً.. راكداً..

شعر نحوها بالشفقة..

وافق على الفور..

ابتسمت برضا وافترقا على لقاء.

****

خرجت من المزرعة سريعاً لم تود رؤيته، فليس هذا بوقت رؤياك يا خالد..

قلبي الأحمق سيتوقف عن الإرتجاف لطلتك بل ربما توقف فعلاً..

كانت سعيدة بل ساخرة ومع الظلام كانت ليلتها مختلفة، لوحتها البيضاء تزينت بألوان البهجة القاتمة، سنوات وهي محتجزة خلف قضبان التمني، حائرة بين غضبها وعشقها..





إشارة من إصبعه كانت لترجح كفة عن الأخرى..

حزر؟؟..

غاضبة أم عاشقة ؟..

لا إجابة..

نعم فخلف قضبان التمني احتجزت نفسي..

ليس بيدك بل بيدي أنا يا خالد..

غاضبة إذاً..

فقد ولى زمن العشق ومنذ وقت..

لكن الحمقاء بداخلي هي من أسرت نفسها خلف قضبان..

ابتسمت ساخرة وتمتمت بيأس:

ـ قضبان الإنتظار..

أفكارها ما زالت جامحة، متحفزة..

كل ما تحتاجه الآن هو أن يكره حمزة خالد..

جاءتها الطبيبة على طبق من فضة..

حمزة عاشق صغير لن يقاوم دهائها كثيراً.. ولكن ماذا بعد فبُغض خالد هو خطوتها الأولى..

ولكن كيف؟..

كيف ستسفيد من هذا البغض الذي ستزرعه بمكر داخل قلب هذا الشاب العاشق؟.. كيف سيصبح حمزة مدخلها الأخير لتدمير أحلام خالد؟..

زفرت بيأس..





أفكارها البائسة مبعثرة تشعر أنها أمام شفرة من صنعها تحتاج لمن يفك أحجيتها بمهارة..

كريم.. كم أحتاج الآن لعقلك البائس..

أخرجها طرق صباحي متطلب على الباب من أحلامها وأفكارها..

نظرت للساعة فوجدتها الثامنة صباحاً..

مَن السخيف بالباب؟!

قالتها بغضب..

خرجت تداري جسدها بروب قصير وتُملس بغضب على خصلاتها المبعثرة..

هجم العساكر يفتشون المنزل بعشوائية..

صرخت بهم..

أخرجها صوت الضابط الأجش من غفوتها الصباحية..

كلماته أفاقتها في لحظات..

كانت تأثيرها يضاهي عشرة فناجين من القهوة دفعة واحدة..

لقد هرب كريم..

****

أعدت مائدة الإفطار كعادتها ونادت عليه تطالبه بالإسراع قبل أن يبرد الشاي..

جاءها صوته ناعساً بدوره:

ـ حاضر.. ثواني.

طرقات باردة على الباب، شعرت بضيق غريب اجتاح قلبها..








زائرة تبدو في أواسط عقدها الثالث، على قدر لا بأس به من الجمال، عيون غائرة، أنف حاد، شفاة مكتنزة، ابتسامة صفراء..

ورضيع باكي على ذراعها..

تقدمت للداخل دون دعوة ثم استدارت لها بثقة:

ـ حسن موجود؟

ظلت رقية تنظر نحوها في قلق، بل كانت تستمع لصوت أنفاسها السريعة وكأن الهواء يعبر أذنيها محدثاً ضجيجاً لا يُحتمل..

خرجت الكلمات بصعوبة من حلقها الجاف:

ـ إنتِ مين؟

ابتسمت بانتصار وهي تتابع بنبرة قاتلة:

ـ قولي له سهام.. مراته.

الفصل الحادي والثلاثون:

المرأة..

هذا الكائن الرقيق، المندفع، الصارخ، المتغير..

نعم فالمرأة بطبيعتها الفسيولجية كائن متغير، يمر جسدها بمراحل عديدة فتتبدل طبيعتها دون أن تشعر..





بدايتها طفلة بريئة تتأمل العالم من خلال قطعة حلوى، يتبدل جسدها دون أن تعي فتصبح خجولة متمردة ثم تعشق جسدها وعندها تتحول لأنثى، واثقة سعيدة عاشقة..

تتبدل مرة أخرى..

ينتفخ بطنها.. تتغير كل لحظة مائة مرة تتلاعب الهرمونات بها تتطور عواطفها بمجون، تتأرجح دون روية..

ثم تصبح أم..

تتبدل لكائن آخر جديد ولكنها تتأقلم سريعاً فالأمومة إحساس فطري لن يتبدل بتغير جسدها على عكس عواطفها التي تعود للتأرجح مرة أخرى مع كل تغيير..

هي ليست كائن فوضوي متقلب اقترب من الجنون..

هي مجرد أنثى..

حالة متكاملة من الحيوية..

من التغيير.

"المصدر في وصف تبدل حال المرأة كتاب أنيس منصور من اول نظرة فى الحب والجنس والزواج"

التغيير الذي مر أمام رقية كقطار بطئ تجاهلته لأشهر ولكن توقف القطار ونزلت بطلته في محطتها لتلقي في وجهها بالقنبلة علها تعي.. تتأقلم..

أو ترفض..

الزوجة الثانية!

كانت كلمات سهام تتكرر ببطء داخل عقلها..







ماذا يحدث لقد سمعتها، زوجته.. ما داعي التكرار؟..

استوعبت أخيراً أن سهام صامته لم تكرر جملتها..

إذاً ماذا هناك؟!..

هل هي هرمونات الحمل تلك الحالة العاطفية الشديدة التي تسيطر عليها بجنون؟..

ترغب في البكاء.. الصراخ..

ولكن لا تستطيع..

وكأنه كابوس كتم أنفاسها فلم تعد قادرة على الحراك أو الصياح..

بل تباطئت أنفاسها..

ماذا هناك؟.

أين اختفى العالم؟..

لم تشعر سوى بصورة حسن التي تكبر أمام عينيها سريعاً وذراعه يلتقطها قبل أن تسقط أرضاً..

******

بدأت تعود للواقع ببطء..

كانت إيناس أمامها..

ماذا حدث هل عادت للمشفى مرة أخرى؟..

ربما لا فملامح السعادة غائبة عن وجه إيناس والقلق هو سيد الموقف الآن..

كانت تستمع لهمهمات غاضبة..

حسن والمدعوة سهام..



ماذا يحدث؟..

بدأت تفيق..

نظرت نحو إيناس متسائلة ثم عاد حسن، اقترب منها وبعيون ممتلئة باللهفة سألها:

ـ إنتِ كويسة؟

بدأت تستوعب الأمر مرة أخرى، المرأة القابعة بالخارج هي زوجته.. أخذت نفساً عميقاً غاضباً فجر ينابيع المياه داخل عينيها..

حالة هستيرية من البكاء، لم تكن تنوي البكاء، ولكن ماذا تفعل؟.. هل هي عاطفتها المشحونة أم ربما جسدها المتغير؟..

قطبت جبينها..

كفاها تفكيراً برد الفعل ولتنتبه قليلاً للفعل المتواجد بغرفة معيشتهاالآن..

سهام.

بعد مدة ليست بقصيرة من الصمت القاتل على الجميع تحدثت ..

نظرت نحوه بعين لائمة:

ـ ليه؟

حسن:

ـ حبيبتي.. أنا حاتصرف، دي واحدة متسرعة واتصرفت من دماغها.

رقية:

ـ ليه؟

حسن:







ـ غيرة ستات يا رقية.. مخها تعبان.

أصبحت العبرات أكثر قوة..

تشوهت صورته داخل عينيها وظلت تردد:

ـ ليه؟

نظر لها حسن حائراً..

تابعت بنبرة متحشرجة:

ـ ليه عملت فيا كده؟.. أنا عملت فيك إيه وحش.. حرام عليك.. حرام عليك.

كان حسن ينظر نحوها في ذهول بدأ يدافع عن نفسه دون إدراك:

ـ رقية.. مش ذنبي هي فاجئتني، أنا ما كونتش أعرف إنها جاية.. الموقف صعب أنا عارف، بس حصل غصب عني.

اعتدلت في جلستها.. صمتت لوهلة.. جففت عبراتها..

قالت بشجن:

ـ الموقف ده إنت اللي حطتني فيه.. إنت مش حد تاني.

صمت لوهلة ثم قال بصوت حاد:

ـ عندك حق.. وأنا حاصلحه حالاً.

ابتسمت بسخرية وتابعت:

ـ متسرع طول عمرك، بس على فكرة ما عدتش فارقة.. أنا اتكسرت خلاص يا حسن، وإنت اللي كسرتني.

حسن:

ـ رقية.. إنتِ بتقولي إيه!



تابعت بنبرة باكية:

- أنا تعبت.. خلاص مش قادرة بجد.. أنا زعلانة منك يا حسن .. زعلانة منك قوي بس كنت بقاوح.

كانت ملامحه غاضبة..حائرة..

تابع بصوت أجش:

- رقية.. ممكن أعصابك علشان البيبي.. مش إحنا إتفقنا نأجل الكلام في أي حاجة لبعد الولادة.

رقية:

- ومش أنا اللي نقضت الإتفاق يا حسن.

تابع بملامح غاضبة عندما تذكر فعلة سهام :

- صح.

خرج مسرعاً قبل أن ينتهي الحديث..

كانت إيناس تمسك بيد رقية الباكية، تشعر بالنار التي تلتهم قلبها ببطء.. نظرت غاضبة نحو النافذة، تراقب العراك الصامت بين حسن وسهام.

****

خرج حسن من الغرفة تحيطه هالة من الغيظ..

أمسك ذراعها بعنف وأخرجها خارج المنزل عنوة..

نظرت له بصدمة وتابعت:

- هي وصلت لكده يا حسن!!.. بتطردني علشان الهانم؟

حسن:





ـ وعلشان ده مش بيتك يا سهام.

سهام:

ـ بيت جوزي، يبقى بيتي.

حسن:

ـ ده بيت رقية.. وما تفتكريش إنك ممكن تعيشي هنا، ده مكان رقية وطول عمره حيفضل مكانها.. ده ما كانش إتفاقنا يا سهام، ما تلويش دراعي لإنك إنتِ اللي حتخسري في الآخر.

سهام:

ـ مش حاخسر لوحدي يا حسن!

حسن:

ـ يعني إيه؟.. مش فاهم؟

سهام:

ـ يعني يا إما تعدل زي ربنا ما قال.. ويبقى زيي زيها في كل حاجة وتجيبني أعيش هنا، وفي فيلا زي دي.. يا تنسى إنك ليك إبن مني.

نظر نحوها والشرار يتطاير من عينيه:

ـ بتهدديني بإبني يا سهام.. وصلت لكده؟

سهام:

ـ وأبو كده.

حسن:

ـ يااااه!!.. ده رقية رغم كل اللي عملته معاها وجرحي ليها ما عملتهاش.



سهام:

ـ وأنا مش رقية يا حسن.. أنا سهام، وسهام مش حتسيب حقها تاني.. أنا صبرت كتير على إهمالك وغيابك عني، بس خلاص صبري نفد.. أنا حديك فرصة ترتب أمورك يا تبعت لي أجي لك، يا تبعت لي ورقتي.

تركته غاضبه دون أن تسمح له حتى بتقبيل الطفل..

كانت رسالتها واضحة..

بينة كضوء الشمس.

****

كانت إيناس ما زالت تراقبهما من النافذة باهتمام، كلماتهما غير مسموعة ولكن ملامحهما الغاضبة واضحة رؤي العين..

جاءها صوت رقية المرتعش:

ـ لسه بيتكلموا؟

انتبهت لها إيناس وقالت:

ـ بيتخانقوا..

تركت النافذة واقتربت من رقية في محاولة يائسة منها لتلطيف الأجواء:

ـ المهم.. إنتِ عاملة إيه دلوقتِ؟

رقية بأسى:

ـ المشكلة إني ما بعملش حاجة.. دايماً مفعول بيا مش فاعل.. حاولت أكون فاعل بس ما قدرتش.

إيناس:









- مين قالك بقى إنك مش فاعل؟!.. إنتِ أهم شخص في الحكاية دي.. إنتِ مش شايفاه كان حيتجنن عليكِ إزاي.. ده أنا اترعبت من صوته في التليفون لما كلمني أجي لك.. ده وشه كان زي ما يكون أزرق من قلقه عليكِ.

رقية:

- جميل تجميلك للموقف يا إيناس.

إيناس:

- أنا بقول الحقيقة.

رقية:

- وبرده الحقيقة كانت قاعدة في الليفنج بره.

إيناس:

- وهو طردها.

رقية:

- وهل ده معناه إنها ما حصلتش؟.. لأ حصلت.. وجرحت قوي، بس أنا اللي بقاوح.

إيناس:

- طيب.. إنتِ حتعملي إيه؟

رقية بصوت متحشرج:

- مش عارفة.. أنا مخنوقة قوي ومش قادرة أتعامل معاه.. مشاعري ناحيته متلخبطة.. خايفة أكرهه.

إيناس:

- أكيد ده صعب قوي.. صعب الحب الشديد ده يتبدل لكره.





رقية:

- لما شفتها كل الثوابت في كياني اتهزت.. حتى حبي لحسن!.. أنا مش فاهمة إيه اللي بيحصلي ده؟!.

انفجرت رقية في بكاء جارف من جديد..

احتضنتها إيناس في محاولة لتهدئتها وتابعت:

- طيب إيه رأيك تغيري جو.. تعالي أقعدي عندي شوية، بلاش مواجهات بينكم دلوقتِ

رقية:

- أنا بصراحة فكرت أروح مصر.

إيناس:

- لأ ما تبعديش قوي كده.. خليكي عندي علشان تبصي لي كتير والبنت تطلع شبهي مش حتنازل.

رقية:

- إيناس.. إنتِ أختي اللي أمي ما خلفتهاش.

ابتسمت إيناس وتابعت:

- خلاص.. أنا حابلغ بشمهندس حسن، بلاش إنتِ تدخلي في مناقشات.. العصبية والتوتر ده مش كويس لا عليكِ ولا على البيبي.

رقية:

- مش بإيدي يا إيناس.

إيناس:

- دلوقتِ حخليه بإيدك حاعزلك عنهم، وما حدش حيضايقك تاني يا جميل.





تركت إيناس رقية وخرجت..

وتوجهت نحو حسن الذي كان ما زال واقفاً بمكانه خارج المنزل بعد رحيل سهام..

كانت إيناس تشعر بالغضب من أجل رقية، فما تمر به فوق الإحتمال، الرجل الذي أحبته بكل كيانها هو سبب حزنها المستمر..

نظر حسن لإيناس بدهشة غاضبة وتابع:

ـ يعني إيه تسيب البيت؟!

إيناس:

ـ بشمهندس حسن.. هي محتاجة تغير جو، ووجودها مع حضرتك حيفتح نقاشات غصب عنكم، وهي بجد تعبت ونفسيتها مدمرة.

حسن وقد بدا غضبه وعلت نبرة صوته:

ـ يعني إيه ده!.. رقية مش حتسيب بيتها، والموضوع مر خلاص.. ومش حاوقف حياتي علشانه.. عقليها يا دكتورة مش تشجعيها.

ـ في إيه يا حسن صوتك عالي كده ليه؟

كانت نبرة خالد غاضبة قالها وهو يتجه نحوهما عندما سمع صوت حسن الغاضب مع إيناس

أمسك حسن برأسه وتابع:

ـ دلوقتِ رقية عايزة تسيب البيت.. أنا بجد تعبت وزهقت.

خالد:

ـ عايزة تسيب البيت ليه؟

تابعت إيناس وهي توجه حديثها لحسن في إصرار:



- هي أعصابها تعبانة يا بشمهندس، والغرض سلامتها وراحتها مش أكثر ده، غير إنها حتقعد عندي مش حتسافر مصر.. هي فعلاً أعصابها تعبانة، والضغط النفسي بجد المرة دي كان عليها غير طبيعي.

استشعر خالد غضب إيناس الشديد بدورها من جملتها الأخيرة التي خرجت بطيئة حزينة لائمة لحسن الذي كان غاضباً بدوره..

صمت الجميع لوهلة ثم تابع حسن بضيق:

- خلاص تعمل اللي هي عايزاه.. بيتها موجود ومش حاسمح لحد يدخله تاني.. ياريت تفهميها النقطة دي.. عن إذنكم.

تركهما حسن غاضباً ونظر خالد لإيناس بعدها وتابع:

- ممكن أفهم إيه اللي حصل؟.. وكمان واضح إنك عصبية قوي.

صمتت إيناس لوهلة ثم تابعت:

- مدام رقية اتعرضت لضغط نفسي شديد جداً، بجد من أول ما اتجوز عليها وهي بتقاوم وكاتمة في نفسها علشان المركب تمشي، لكن بجد اللي حصل النهارده كان فوق طاقتها.

خالد:

- إيه اللي حصل؟

إيناس:

- مدام الأستاذ حسن التانية شرفتها بزيارة.

خالد بدهشة:

- إيه!! وايه اللي جابها هنا؟

إيناس:



ـ ما اعرفش.. بس واضح إن كان الغرض الأساسي غضب رقية ونجحت.. نجحت بجدارة كمان.

صمت خالد قليلاً ثم تابع:

ـ حسن لازم يرتب أموره بذكاء ويبطل عشوائيته دي.

إيناس:

ـ مش فاهمة يعني يعمل إيه؟

أجاب بثقة:

ـ يعني يبقى راجل!

إيناس:

ـ برده مش فاهمة؟

تابع بنفس نبرته الواثقة:

ـ هو دلوقتِ متجوز الإتنين، وده واقع.. يا يتعامل معاه وهما يتقبلوا ده بوضوح، يا يسيب واحدة منهم.. وساعتها أكيد حتكون مش رقية.

إيناس:

ـ ما هو أكيد مش عايز يطلقها علشان إبنه.

خالد:

ـ عموماً لما يهدى أنا حاتكلم معاه وأشوفه بيفكر إزاي.. وإنتِ كويس إنك حتاخدي بالك من رقية.. مش قلت لك إتنين حوامل!!.. ربنا يعينك.

قال جملته بابتسامة في محاولة لتخفيف حدة الأجواء.ز

تابعت بابتسامة بدورها:








ـ أنا النهاردة كنت خايفة على رقية قوي.

خالد ضاحكاً:

ـ لا ما هو واضح!

إيناس:

ـ مش فاهمة؟

خالد:

ـ أنا انتبهت وأنا معدي لصوت حسن العالي، بصراحة كنت فاكره بيزعق لك وكنت جاي أشوطه علشانك.

ارتبكت من جملته ونظرته الماكرة نحوها وتابعت:

ـ لا يا بشمهندس.. الموضوع ما يستهلش.

خالد:

ـ برده إنتِ إتعصبتِ عليه.. واضح إنك بتحبي رقية قوي.. أنا حسيت كده من يوم ما بلغتيني خبر حملها.

إيناس:

ـ هي شخصية جميلة.. صعب حد يعرفها وما يحبهاش.

نظر نحوها بعمق وتابع:

ـ عندك حق.. في شخصيات بتجذبك ليها من غير ما تحسي، وكل ما تقربي منها أكثر تنبهري أكثر وتحبيها أكثر.

كالعادة ارتبكت من عبارته عندما أدركت مغزاها..

هربت مسرعة متحججة بمساعدة رقية وظل هو يراقب خطواتها المسرعة للإبتعاد عنه..





****

المرأة..

هذا الكائن الرقيق، المندفع، الصارخ، المتغير..

عندما تحب فإن تلك العاطفة المتأججة تجتاحها دون حساب.. تتوغل داخلها بخبث، فتتبدل لشخص آخر..

يخفق قلبها سريعاً رغماً عنها عند رؤية معشوقها، بل قد تتصاعد الدماء لوجهها فترسل برقيات معبقة برائحة عشقها نحوه دون إرادة..

يرى نيتشه أن المرأة تحب دون شروط..

تمنح نفسها جسداً وروحاً من أجله..

تعشق امتلاكه لها..

أما هو فعشقه لها هو هذا الإمتلاك، فالرجل بطبعه يعشق امتلاك المرأة ويرفض أن يكون مِلكاً لها

إذاً

هي المملوكة لمعشوقها..

إذا فقدته تغدو حائرة من دونه..

تغوص دون وعي داخل ذكراه وليس من السهل عليها أن تسلم نفسها لمالك آخر، بعكس الرجل الذي يعلن امتلاكه بفخر لأكثر من امرأة!

بل يتسع قلبه لأربع حجرات!!.

نظرت إيناس لها بحنان بعد أن إستغرقت في النوم أخيراً..








ليلة طويلة من الأرق مرت بها كلتاهما، وفي النهاية ارتاحت رقية وكفيها يربتان بحنان على بطنها الصغير واستغرقت في النوم..

لم تنل إيناس سوى قسطاً بسيطاً من الراحة..

كانت تراقب قرص الشمس القادم من الشرق يعلن عن الصباح بقوة وتستمتع بقهوتها المحلاة، طعم السكر طغا على نكهتها المرة.. ابتسمت بشفاة مرتجفة، فهي تتبع خلطة رقية السحرية،عادات الحبيب التي تعيده ولو بصورة مؤقتة لعالمها فتُحلي مذاقه المر..

ولكن ليس هذا السبب الوحيد فهي تسعى لإستدعاء ذكرى شريف التي غدت تهرب منها في الآونة الأخيرة..

رغماً عنها تهرب منها وتنشغل بالحياة..

أم ربما بالأحياء!!..

******

لا يعلم ماذا أصابه فهو يراقبها ربما منذ أكثر من عشر دقائق.. ترتشف قهوتها بتلذذ، تبتسم مغمضة العينين بل تهمس، شفتاها تتحرك، تقذف أسرارها في الهواء الذي اخترق خصلاتها الهادئة ربما ليستمتع بدوره بعبق البندق خاصتها.

كيف تغيب هكذا عن العالم في لحظات؟..

تغوص داخل عزلتها بهدوء، تستدعي ذكراها فتنقبض وتنبسط ملامحها وكأن أحلام يقظتها عالم حقيقي يضاهي عالمها الحالي..

ود لو إستمر حلمها للأبد فمراقبتها تكاد تكون هواية لا يمل منها ولا يكل..

ولكن..

لا..

أليس من الأفضل أن تخرج من أحلامها الواهية وتكون بجانبه الآن؟..







أليست الحياة أفضل من تلك الذكرى الأبدية التي تصر على استدعاءها كلما اقترب منها؟..

خرجت من غفوتها وتنهدت بعمق ثم نظرت بابتسامة لقهوتها. استدارت، رأته..

كان يقف بموازاتها بحديقته، لم يتحدث.. بل لم تتبدل ملامحه ولا نظرته التي كانت تخترقها بإصرار..

لا تدري ماذا أصابها!!..

لم تهرب.. ظلت تقرأ عينيه..

هو مختلف.. يبدو كمجروح... ضائع.. خائف.. يتخفى بمهارة خلف دثار القوة..

استدركت نفسها بعد وهلة وانقطع لقاء البصر بهروبها السريع.. هروب عشوائي ترك خلفه قهوتها المسكوبة..

خطواته الواثقة امتدت لحديقتها..

نظر لشرفتها بابتسامة وعاد لمنزله مرة أخرى ولكن ليس خالي الوفاض، بل بيده كوب القهوة خاصتها الذي رغب بشدة في الإحتفاظ به.

****

المرأة..

هذا الكائن الرقيق، المندفع، الصارخ، المتغير، الغاضب..

غضب المرأة قد يكون بركان ثائر وقد يكون ثعبان قاتل..

دهائها أسقط سلاطين وغير ممالك..

وآه من الدهاء إذا إمتزج بالغضب..

عندها ستواجه أخطر أنواع السموم.

يطلقون عليها الأرملة السوداء..



يقال أنها تتخلص من الذكر مباشرة بعد التزاوج، وقد تتركه بعد فقص البيض ليتغذى عليه الصغار..

هذا العنكبوت هو أكثر الأنواع سمية على وجه الأرض..

وهو أنثى!

منذ هرب كريم وعقلها دائم التفكير، تتوقع زيارته بين ليلة وضحاها ثم أصبحت تنتظرها..

وتأخر كريم، ولكن كان هناك حمزة..

عادت علاقة المُلهم والفنان من جديد، لم يكن حمزة يعلم أن إلهامه من نوع آخر..

إلهام يصب في نهر الغضب ولا شيء غير ذلك..

نظر حمزة بإعجاب للوحات أمامه وقال بمرح:

ـ بجد أنا طلعت مفيد.. إنتِ رسمتِ حاجات كتير حلوة قوي.

ابتسمت كارمن واقتربت منه بمكر متعمدة اظهار عطرها النفاذ وتابعت:

ـ بجد!!.. كلهم عجبوك؟

حمزة:

ـ بصي لوحة زهور التيوليب ما لهاش حل، وكمان المجموعة دي حلوة مع ألوان وأنواع متناسقة مش بس في الشكل في المعنى كمان.

كارمن:

ـ أشكرك أستاذي العزيز!

ابتسم وتابع:

ـ اللوحة دي بقه ما لهاش حل..



تابع بخبث:

ـ دي أكيد اسمها كارمن!

كانت اللوحة لامرأة صهباء، خصلاتها الحمراة منسدلة على ظهرها اللوحة هي ظهر المرأة وليس وجهها..

كلتا ذراعيها مرفوعتين وقد تناثرت من خلال ثنايا أناملها أوراق ورود حمراء..

تابع حمزة:

ـ بس أنا مش واصلني معناها بالضبط.

كارمن:

ـ طيب قولي فهمت إيه؟

حمزة:

ـ الورد الأحمر رمز الحب.. هل معنى ده إنك إتخلصتِ من الحب

ابتسمت بمكر:

ـ حب قديم!

حمزة:

ـ هو.. صح؟

"يقصد خالد"

كارمن:

ـ أيوة.

حمزة:











ـ متأكدة؟

كارمن:

ـ جداً.. مش حضحك عليك، كان عندي أمل لغاية فترة قريبة بس خلاص.. أنا يا حمزة تعبت.. أصعب شيء إنك تفكر في حد مش حاسس بيك، ولا حتى حاسس إنه ظلمك.. بس على فكرة أنا خلاص مش زعلانة منه

حمزة:

ـ معقول؟!!

كارمن:

ـ تعال.. حوريك لوحة بس لسه ما خلصتهاش.

كانت لوحة غريبة..

قبضة قاسية غاضية لرجل وأزهار مفتته داخلها، بفعلها تناثرت بقاياها الحمراء والبيضاء والأرجوانية بعشوائية في أركان اللوحة.. نظر حمزة نحوها متسائلاً..

تابعت بثقة:

ـ ده خالد.

حمزة:

ـ قصدك إيه باللوحة دي؟

كارمن:

ـ خالد ما آذانيش لوحدي يا حمزة.. خالد بيأذي كل ست بيقابلها في سكته.. أذى مراته اللي قبلي، وأذاني وأذى غيري.. إحنا مجرد ورود كان ليها لون وشكل حلو قبل ما يدمرها بعُقَده.

صمت حمزة قليلاً وشعر بالشفقة من أجلها..



كانت عبراتها حقيقية.. نبرتها بائسة..

تابعت دون تردد:

ـ خالد على فكرة ما يقدرش يعيش من غير ست في حياته يأذيها ويدمرها.. هو مش بيفكر فيا ولا حاسس باللي عمله معايا وعايش تجربة جديدة.. ضحية جديدة..

حمزة مندهشاً:

ـ بس على فكرة بشمهندس خالد ما اعتقدش في حياته حد دلوقتِ.

كارمن:

ـ حمزة.. أنا أعرف خالد كويس وأعرف القيود والحواجز اللي بيحطها بينه وبين الموظفين عنده.. طبيعي عمرك ما حتعرف حاجة عن حياته الشخصية..عنده حدود عمرك ما حتعديها.. معلش أصل دي عقده قديمة شوية.

حمزة:

ـ طيب.. وإنتِ عرفتِ منين إن في حياته حد؟

كارمن:

ـ جايز لإني اكثر واحدة فاهماه، وكمان لإني شفتهم مع بعض وهو أكد ده بكل برود.

حمزة متسائلاً بفضول:

ـ شوفتيهم مع بعض؟

كارمن:

ـ آه.. وفي المزرعة كمان.

حمزة بتردد:






ـ في المزرعة؟.. مين دي؟!

أجابت بثقة وبالزُرقة الثائرة بعينيها وبنبرة هادئة قاتلة:

ـ الدكتورة الجديدة.. إيناس.

الفصل الثاني والثلاثون:

إيناس..

الكلمة اخترقت أذناه كشهاب صارخ..

إيناس..

الرقيقة التي خطفت قلبه دون رَوِيّة..

هي ..

هي تبدو كوردة ندية تحتفظ بابتسامتها من أجل حبيبها الراحل.. إيناس وخالد ..

كيف ومتى؟!

نظر نحوها وقد اتسعت حدقتا عينيه وتمكن منها بريق غاضب:

ـ إنتِ بتقولي إيه؟!

كارمن بخبث:

ـ يا خبر!.. أنا آسفه يا حمزة، سامحني.. كنت وعدتك مش حنتكلم عن خالد تاني، والطاقة السلبية بسبب سيرته.. خلاص اعتبرني ما قولتش حاجة.

استدارت وتوجهت ببصرها عنه ثم ابتسمت بمكر..





ظلت ملامحه غاضبة كما هي، تابع وكأنها لم تقل شيئاً:

- بتقولي شوفتيهم.. شوفتيهم فين يعني؟

تابعت دون أن تنظر نحوه:

- بليز يا حمزة أنا مش عايزة أتكلم في الموضوع تاني.

اقترب منها ووقف في مواجهتها وتابع:

- ردي عليا يا كارمن ووضحي كلامك.

كارمن:

- كلام إيه؟

حمزة:

- كلامك عن إيناس وخالد.

تصنعت البلاهة وتابعت:

- وإنت ليه مهتم كده؟

حمزة:

- كلامك خطر يا كارمن .. يعني إيه شفتيهم مع بعض

كارمن:

- هو أنا قلت لك مثلاً إني شفتهم في وضع كده ولا كده .. أنا قصدي شفتهم في العربية، وكان في بينهم نظرات وكده يعني..

حمزة وقد بدأ يفقد أعصابه:

- يعني؟.. إيه كده يعني؟..

كارمن:



ـ بص يا حمزة أنا اللي فاكراه إنه قال لي إنها عاجباه.. وخالد لما بتعجبه واحدة مش حيبقى حب تلامذة.

حمزة:

ـ يعني إيه؟.. يعني عايز يتجوزها؟

كارمن:

ـ والله يتجوزها أو لأ ده شيء يخصهم بقى

شد قبضته بغضب حتى بدت بيضاء ثم تابع:

ـ خدي بالك من كلامك يا كارمن، حتى لو بتكرهي خالد ما تدخليش إيناس في الموضوع لإنها إنسانة محترمة وما يصحش كده.

كارمن:

ـ حمزة.. أنا ما اعرفهاش وما عنديش مشكلة معاها.. ممكن تكون فعلاً محترمة لكن خالد برده خبيث مش سهل.. خليك واثق من ده.

نظر نحوها بضيق وظل صامتاً..

ماذا هناك يا كارمن؟..

مجرد كيدٌ بخالد من جديد ولكن لماذا إيناس؟!!..

لماذا؟

****

جلس حسن أمام رقية وظل ينظر نحوها بعين ثاقبة..

تفحص المكان من حوله دون مبالاة ثم تابع بصوت أجش:

ـ هي إيناس سافرت؟





رقية:

ـ آه.. مشيت الصبح.

حسن:

ـ طيب مش نرجع بيتنا إحنا كمان بقى؟.. أظن يا رقية كفاية قوي كده فات حوالي شهرين.

تنهدت رقية بضيق ولم تجبه..

كانت تمسك بإبرة التريكو تحيك قميصاً لصغيرها..

كان انتبهها مرتكزاً فقط مع كرة الصوف الصغيرة التي تبدلت بفعل عزف أناملها المنتظم لهذا الشيء الرائع..

نظرت إلى حسن وقالت في سعادة:

ـ قربت أخلصه.. إحنا صحيح في الصيف دلوقتِ لكن ده حينفعه في برد الشتا.

ابتسم حسن:

ـ حينفعه!!.. هي مش الدكتورة لما كنت معاكِ آخر مرة قالت لك الباشا إنه بظهره ومش عارفة تشوف؟.

رقية:

ـ عرفت تشوف آخر مرة لما كانت إيناس معايا.

تابع حسن بفرحة:

ـ خالد؟

رقية:

ـ أيوه.



حسن:

ـ طيب يا أم خالد، مش تروحي مع أبو خالد علشان خالد ينام في وسط أمه وأبوه.

ابتسمت بسخرية وتابعت:

ـ طيب ومحمود؟

تغيرت ملامح حسن في لحظة، قطب جبينه وتابع:

ـ قصدك إيه؟

تابعت بهدوء غريب:

ـ محمود وأم محمود حيكون وضعهم إيه؟

نظر لها بدهشة وتابع:

ـ وضعهم ده مش بتاعك.. ما لكيش علاقة بيه يا رقية، وبالنسبة لسهام قلت لك خلاص مش حتشوفيها تاني.. عايزاني أعمل إيه أكثر من كده؟؟؟ حرام بقى الضغط ده!.. أعمل إيه بجد علشان أرضيكِ؟

ابتسمت بآسى وتابعت:

ـ فعلا إنت جيت على نفسك كتير قوي يا بشمهندس!

حسن:

ـ دي سخرية؟

رقية:

ـ لأ.. دي حقيقة يا حسن.. هو ده حسن إبني المدلل.. أنا علشان ما خلفتش خليتك إبني، وكنت إبني الوحيد فدلعتك قوي.. طلبك بيتنفذ قبل ما تفكر فيه..










راحتك طول عمرها قبل راحتي.. عارف يا حسن إنت ليه مش مرتاح مع سهام؟.. علشان هي بتفكر في سهام مش في حسن.

حسن:

- لا يا رقية.. عارفة ليه؟.. علشان هي مش الأساس ولا عمري حبيتها ولا عمرها حتوازي مكانتك عندي.

رقية:

- بس هي مراتك زيها زيي يا حسن.. دي الحقيقة اللي بكدبها من ساعة ما اتجوزتها، ولما اتجسدت قدامي لقيتني مش قادرة.. مش قادرة أستحمل بجد.

حسن:

-رقية.. إنتِ عايزاني أطلقها؟

نظرت له ساخرة وتابعت:

- لا يا حسن.. إنت اللي عايز تطلقها وتريح دماغك من الوش.. بس عايزني أنا اللي آخد القرار.

حسن:

- بس هي فعلا طلبت الطلاق.. خيرتني بين إنها تعيش معايا زيها زيك أو تطلق.

رقية:

- وإنت قلتلها خليها بعد ولادة رقية..

حسن ساخراً:

- إنتِ كنتِ معانا بقى!

رقية:

- لا.. هو مش حينفع إحنا الثلاثة نكون مع بعض خالص يا حسن.








حسن:

- يعني إيه؟

رقية:

- مش قادرة أكون زوجة أولى يا حسن.. الدور ده مش بتاعي.. مش عارفة أمثله كويس، لكن هي ما عندهاش مشكلة فيه وموافقة.

حسن:

- يعني إيه يا رقية؟!..

حاولت بقدر الإمكان أن تبدو قوية..

أن تمنع العبرات ولكن دون جدوى، تابعت بصوت يجاهد ليصطنع الثبات:

- يعني طلقني

صمت لوهلة..

بادت ملامحه باردة ساخرة تابع بابتسامة عابثة:

- رقية.. أنا طلقت سهام إمبارح.

****

كانت ثريا تتابع إيناس بسعادة وهي تجلس بجانب أخيها الأصغر في محاولة لمواكبة العصر الإلكتروني من خلال لعبة البلاي ستيشن خاصته، ويبدو أنها فشلت بشكل ذريع..

تعالت ضحكاته في المكان..

ابتسمت ثريا وعندها أيقنت كم اقتقدت ضحكة وردتها الصغيرة.. نبهت عبد الرحمن الذي كان منشغلاً بجريدته وقالت:

- شايف إيناس رجعت نورت تاني إزاي يا عبده.






عبد الرحمن:

ـ الحمد لله يا ثريا.. مرحلة وعدت.

ثريا:

ـ نفسي بقى تكمل على خير.

عبد الرحمن:

ـ قصدك إيه؟

ثريا:

ـ ترجع هنا في وسطينا وتسيب شغلها البعيد ده.

عبد الرحمن:

ـ بس برده شغلها ده هو سبب تحسنها، المكان هناك فرق والشغل والبعد عن الروتين.. دكتور علي كان كلامه صح.

ثريا:

ـ بس مش حتفضل هناك طول العمر.. دي شابة صغيرة وأرملة يا عبد الرحمن.. كده كفاية قوي وكمان في سبب تاني.

نظر لها عبد الرحمن بتفحص:

ـ سبب إيه؟

ثريا:

ـ فاكر دكتور سامح؟

عبد الرحمن:

ـ مين ده؟



ثريا:

- إبن رجاء صاحبتي، كان شافها زمان وعجبته بس وقتها كانت مخطوبة لشريف الله يرحمه.

عبد الرحمن:

- وبعدين؟

ثريا:

- جدد طلبه دلوقتِ، وأنا شايفة إنه مناسب جداً بصراحة.

عبد الرحمن:

- برده مستعجلة يا ثريا.

ثريا:

- أنا مستخسراه، ده شاب كويس.

صمت عبد الرحمن قليلاً ثم تابع:

- أنا نفسي أطمن عليها زيك، بس مش وقته يا ثريا.. مش معنى إنها بتضحك وبتمارس حياتها بشكل طبيعي إنها حتتجوز تاني وبسرعة كده.. شريف جوا إيناس يا رقية ما نسيتهوش.

ثريا:

- ومش حتنساه طول ما هي وحيدة كده يا عبد الرحمن، لكن جوزها هو اللي حيقدر ينسيها.

عبد الرحمن:

- المهم إنها تقبل أصلاً بلفظ زوج على حد غير شريف.. ثريا.. أنا بحذرك إذا فتحتِ معاها الموضوع حتعاند أكثر، أنا عارف بنتي





ثريا:

ـ طيب وبعدين؟.. حتفضل كده لغاية إمتى؟

عبد الرحمن:

ـ مش عارف.. بس الراجل اللي ممكن يحل مكان شريف عند إيناس مستحيل حيجي بالطريقة دي.. صعب.

ثريا:

ـ إنت بتعقدها ليه؟.. مش جايز إذا شافته ترتاح له، والله الولد كويس جداً ومحترم قوي.

عبد الرحمن:

ـ أيوه يا ثريا، بس..

ثريا:

ـ من غير بس.. أنا حاجس نبضها بس من بعيد لبعيد.. ما تخافش.

عبد الرحمن:

ـ طيب أجلي شهر ولا اتنين، مش دلوقتِ

ثريا عن غير إقتناع:

ـ حاضر يا أخويا

عبد الرحمن:

ـ أنا حاقوم اريح شوية، صحيني كمان ساعة.

ابتسمت ثريا لزوجها ثم قالت محدثة نفسها بعد رحيله:



- شهرين إيه يا عبد الرحمن!.. وهو العريس حيستنانا شهرين.. خير البر عاجله.. ربنا يهديكِ يا إيناس.

****

نظر مصطفى لإيناس بيأس وتابع:

- أنا خلاص حاتشل!

إيناس وهي مازالت تحرك المقبض بيدها بتركيز:

- ليه بس؟

مصطفى:

- يا أمي إنتِ بتلعبِ بميسي.. عارفة ميسي؟!

إيناس:

- مين ميسي!!

مصطفى:

- ده واحد لو شاف اللي إنتي عاملاه فيه ده، ممكن يجي له كُساح بعيد عنك.. ده إنتِ خلتيه جاب جون في نفسه!

إيناس:

- خد يا مصطفى البتاع الهايف بتاعك ده تضييع غير طبيعي للوقت.

مصطفى:

- ده علشان غلبتك ١٥ – صفر!

إيناس:

- قوم يا مصطفى.










مصطفى:

- لا.. إن قومي وإعملي لي نسكافيه.

إيناس:

- تصدق أنا كمان عايزة أشرب نسكافيه!.

مصطفى:

- يبقى اتنين نسكافيه، وهاتِ أي حاجة حلوة من المطبخ.

ابتسمت إيناس لأخيها الصغير ودخلت إلى المطبخ لإعداد النسكافيه..

عندها لحقت بها أمها فقالت لها إيناس على الفور:

- ماما.. أعملك نسكافيه؟

ثريا:

- لا يا حبيبتي..

صمتت ثريا قليلاً ثم تابعت بعد أن واتتها فكرة:

- إيناس.. بلاش قهوة كتير، غلط يا حبيبتي.

إيناس:

- دي ممكن مرة بس أو اتنين في اليوم.

ثريا:

- برده كتير.. إنتِ عارفة طنط رجاء صاحبتي، الدكتور قالها غلط قوي وبتعلي الضغط.

إيناس:

- مش فاكراها.. بس تلاقيها هي عندها الضغط.








ثريا:

ـ آه.. من حوالي سنتين جالها.. ابنها بقى دكتور ومتابعها على طول.. فاكراه؟

إيناس:

ـ ماما.. أنا مش فاكراها، أكيد مش حافتكر إبنها.

ثريا:

ـ من سنتين يا إيناس كنا حضرنا فرح بنتها وهو جه سلم علينا.. مش فاكرة يا إيناس؟.. ده كان عايز يخطبك بس وقتها كنتِ مخطوبة لشريف.

بدا عليها الضيق وتابعت وهي تعد قهوتها:

ـ آااه.. افتكرت.

قالت ثريا بعدها بتردد:

ـ هو بيجدد طلبه على فكرة.

إيناس:

ـ يعني إيه؟

ثريا:

ـ هو عايز يتقدم لك.

تركت إيناس ما بيدها وظلت قاطبة جبينها لوهلة ثم تابعت:

ـ وإيه اللي جد؟.. مش إتقدم قبل كده وقلتِ مخطوبة.. وإتجوزت على فكرة.

ثريا بدهشة:

ـ أيوة يا إيناس بس..

إيناس:





- بس شريف مات، صح؟.. كملي.

ثريا:

- وهي مش دي الحقيقة يا إيناس؟

أمسكت قهوة النسكافيه بيد مرتعشة وناولتها لأمها ثم تابعت:

- إدي شريف النسكافيه ده لشريف.. قصدي مصطفى.. أنا مش حاشرب أنا عايزة أنام.

تركت إيناس أمها وتوجهت لغرفتها ولم تخرج منها حتى حتى اليوم التالي..

****

عندما نخلد للنوم يتجسد خيالانا كصور مرئية تمر أمام أعيننا، نتأرجح بين الأمنيات والأوهام، يُقال أنها الأحلام، في لحظتها تبدو حقيقية، رغبات لا شعورية تتجسد كالواقع أمامنا، نبتسم ونضحك ونصرخ ونخاف، قد ننسى وقد نتذكر ولكن من المؤكد أننا سنظل نحلم..

حتى ولو رغماً عنا..

لا تدري متى خلدت للنوم.. بل ربما متى انتقلت من أحلام يقظتها لأحلام نومها..

شريف..

حلم يقظتها الدائم..

كانت تضحك كلما تذكرت بسمته وتبكي كلما أيقنت فقدانه..

نامت وهي لا توقن أباكية أم باسمة..

كان المكان مظلماً ولكنها شعرت به، لم تصدق أنه بجانبها..

ابتسم لها لائماً..

"تعلمين أنني أفضل الجانب الآخر من الفراش"





كانت تنظر نحوه بذهول.. بسعادة..

"شريف هل حقاً عدت؟!.. من أجلي!!"..

لا تصدق.. وكيف تصدق؟!..

يدها المترجفة تحركت باتجاهه لم تصدق نفسها عندما أمسك بيدها وقبل باطن كفها كما اعتاد!

ـ شريف!

قالتها بصوت مبحوح:

ـ إنت رجعت؟.. شريف!

ابتسم لها، لم يتحدث ولكنه ملس على خصلاتها بحنان

تابعت وهي تجاهد لإخراج صوتها:

ـ وحشتني قوي.. أنا آسفة.. آسفة.

ظل ينظر نحوها دون حديث وفي النهاية نهض وترك الفراش نهضت بدورها..

تحركت خلفه:

ـ رايح فين؟.. ما تسيبنيش.. شريف!

اختفى فجأة كما ظهر فجأة كانت وحيدة بظلام حالك تصرخ منادية: ـ شريف.. شريف..

كانت تشعر بالخوف، دقات قلبها تتقافز بجنون، فجأة شعرت بقبضته على أحد كتفيها، تنهدت براحة واستدارت له:

ـ شريف..

ولكن فجأة توقف كل شيء وكأن قلبها توقف بدوره، لم يكن شريف..





كان خالد!!.

شهقت بفزع..

نظرت حولها فوجدت الغرفة مظلمة، نور خافت من النافذة كسر حدة الظلام..

نظرت للساعة كانت الثالثة صباحاً، وضعت يدها على صدرها في محاولة لتنظيم أنفاسها المضطربة، ولكن دون جدوى فقد تذكرت حلمها بوضوح..

****

كان خالد يقف مع بعض الساسة عندما لمح دخولها السريع للإسطبل، ترتدي نظارة سوداء على غير العادة وشعرها معقوص إلى الوراء..

ماذا بها؟..

تبدو حزينة..

تابع عمله بنصف عقل ثم دخل يبحث عنها..

كانت بجانب سهيلة..

اقترب منها وقال لها بصوت هادئ:

ـ صباح الخير

إيناس:

ـ صباح النور

كانت إجابتها مقتضبة، لم تنظر نحوه، تابع بإصرار:

ـ إزيك عاملة إيه؟

إيناس:

ـ الحمد لله.







خالد:

ـ شكلك متضايق.. في حاجة؟

إيناس:

ـ لا.

خالد:

ـ لأ في.. شكلك مش تمام.. إيه اللي حصل؟

إيناس بجدية:

ـ حيكون إيه اللي حصل يا بشمهندس.. ما فيش حاجة.

اقترب منها وتابع بنبرة حانية:

ـ إنت متأكدة؟

تراجعت للوراء بغضب، رمقته بنظرة نارية وكأن لهيب من النار قد نشب داخل عينيها، تابعت بنبرة حادة:

ـ حضرتك ليك إن الشغل تمام، لا أكثر ولا أقل.. عن إذنك.

تركته مسرعة..

وظل هو بمكانه غاضباً.. حائراً
أم ربما راضياً!

****

عندما عادت للعيادة شعرت أن الصداع قد تمكن منها حتى النخاع.. أخذت بعض المسكنات دون جدوى..





كانت ليلتها السابقة سيئة بمعنى الكلمة خاصة فيما يختص بالأحلام، إقتحامه لعقلها الباطن أربكها، شتتها.. وما أغضبها أكثر قلبها الأحمق الذي تقافزت دقاته لمجرد اقترابه منها هذا الصباح..

أتلوم أمها لأنها جاءت برجل تود ادخاله لعالمها من جديد؟.. أم تلوم نفسها لأنها فعلت ذلك بالفعل ودون وعي؟..

زفرت بغضب، كان نظرها مشوشاً، لمحت خيال أحدهم بجانب الباب، دقات قلبها عادت للقفز مرة أخرى..

شعرت بالغضب، ثورة جامحة من الضيق انتابتها، ثورة لم تهدأ على الرغم من أن القادم كان آخر..

استقبلته باقتضاب:

ـ أهلاً يا بشمهندس حمزة.

على غير عادته كان واجماً ولكنها لم تلحظ كما لم تلحظ أيضاً بسمته الغائبة ولا نبرته القلقة..

كانت بعالم آخر وكأن بقايا حلم الأمس تتجسد في واقعها، لتمقت نفسها وتمقت أي رجل يحاول الإقتراب منها..

كان صوته جاداً على غير العادة:

ـ إزيك يا دكتورة؟

إيناس:

ـ تمام.. الحمد الله.

حمزة:

ـ وأخبار الشغل إيه؟.. مبسوطة؟

ردت بضيق:





- أيوه.

صمت قليلاً ثم تابع:

- على فكرة دكتور إبراهيم حيسيب الشغل، وقلت أقول لك لو حابة تروحي مكانه يعني.

ردت بدهشة:

- دكتور إبراهيم مين؟

حمزة:

- الطبيب البيطري اللي مسؤول عن مزرعة المواشي.

إيناس:

- آآآآااه.. بس هو التنقلات دي بمزاجي لوحدي يعني؟

تابع بتحفز:

- قصدك إن خالد ممكن يرفض؟

إيناس:

- ما اعرفش.. أنا خبرتي هنا دلوقتِ، يعني التنقل ده ما لوش معنى.

إبتسم بادعاء:

- صح عندك حق.. وبعدين حد يسيب الخيل ويشتغل مع المواشي!.. مش منطقي.

إيناس:

- عموماً متشكرة لإقتراحك.

حمزة:





- أنا بس علشان عارف إن المكان هنا هادي بزيادة، يعني هناك إحنا مجتمع أوسع.

إيناس:

- آه خدت بالي.. بس أنا بحب الهدوء.

حمزة:

- واضح.. طيب أستأذن أنا.

شعرت أنه تتعامل معه بسخافة دون داعي، ابتسمت بلطف وهي تودعه، ابتسامة شجعته على العودة مرة أخري بعد أن تخطى الباب..

نظرت له بدهشة:

- في حاجة يا بشمهندس؟

نظر نحوها بتردد ثم تابع بجدية:

- إيناس.. أنا بحب أكون دوغري وواضح ما بعرفش أخبي ودي مشكلة عندي.

تابعت بقلق:

- خير.. في إيه؟

حمزة:

- إيناس.. أنا بحبك وعايز أتقدم لك.

ظلت جامدة في مكانها تحدق في الفراغ وجملته تخترق مسامعها.. "تتجوزيني؟"





الفصل الثالث والثلاثون:

هل الرجل كائن أناني بطبعه؟..

يهتم فقط برغباته دون مراعاة لمشاعر الآخرين خاصة الأنثى؟..

أم أن المرأة ذاتها مجرد رغبة للرجل قد تكون دائمة أو قد تكون عابرة؟..

ولهذا قيل أن الحب هو تاريخ المرأة وليس إلا حادثاً عابراً في حياة الرجل..

ربما..

ولكن من المؤكد أن عقل الرجل هو من يتحكم بقلبه، بعكس المرأة التي يعتبر قلبها هو محركها الأساسي..

ولكن تبعاً للمقولة التي تقول أن التعميم النمطي حيلة يتبعها العقل البشري ليميز العالم من حوله، وأنه يتجاهل الفروق الفردية بين البشر..

فالرجال أنواع..

والنساء أيضاً..

فروميو ليس كعطيل..

وهاملت ليس بأوديب..

ولن تُخضع كل دليلة شمشون..

خالد ليس كحمزة..

وبالتأكيد حسن يختلف عن كليهما..

ولكن مهلاً هم في النهاية رجال ومن نفس الكوكب..









و كل رجل يعلم أن مفتاح معشوقته هي كلمة واحدة..

الحب..

ولهذا توجه إليها وعبارة نيتشه تتردد بعقله..

"المرأة لغز مفتاحه كلمة واحدة وهي الحب"..

نعم..

ربما يكون نيتشه على حق..

هكذا حدث نفسه ولكن الكلمة ستفقد بريقها وسيتحطم المفتاح وتتبعثر أجزاءه إذ لم يكن هو الشخص المطلوب، بل ربما تصبح الكلمة سكين جارح وليس مجرد مفتاح إذا كان هناك آخر!

ظلت صامتة لدقائق بدت له ساعات..

بعينيها عبرات مكتومة وبوجهها غضب صامت..

قرر أن يقطع الصمت، قال دون روية:

ـ إيناس.. أنا حاسيبك تفكري براحتك.

انتبهت له أخيراً..

فجأة بدأت في لملمة أشيائها وجمع بعض الأوراق الغير ذات أهمية ثم قالت بصوت مرتجف:

ـ أنا لازم أمشي ورايا شغل.. عن إذنك.

استوقفها وتابع:

ـ براحتك.. وأنا منتظر الرد.

صمتت لوهلة ثم نظرت نحوه بثقة:





ـ ما فيش داعي للإنتظار يا بشمهندس.

حمزة:

ـ بمعنى؟

إيناس:

ـ أنا آسفة.. أنا مش بفكر في الموضوع ده.

بدا عليه الضيق لوهلة وتابع:

ـ ده رفض لشخصي؟

نظرت نحوه بضيق ثم تابعت:

ـ عايز تعرف سبب الرفض؟.

حمزة بتحدي:

ـ يا ريت.

إيناس:

ـ علشان أنا مرتبطة يا بشمهندس!

بدت صدمة قوية على ملامحه حتى أنه شعر أنه يستطيع تحسس احمرار وجهه..

تابع بدهشة ممزوجة بالغضب:

ـ مرتبطة؟!

هي بإصرار:

ـ أيوة مرتبطة.. هو حضرتك مش واخد بالك ولا إيه؟..





قالتها وهي ترفع يدها اليسرى في الهواء مشيرة للحلقة الذهبية بخنصرها الأيمن..

نظر نحوها بصدمة ثم تابع:

ـ أيوة بس..

قاطعته بحدة:

ـ بس شريف مات.. صح؟.. والله أنا عارفة إنه مات، مش محتاجة حضرتك تفكرني، ولا ماما تفكرني، لإني بفكر نفسي بده، بفكر نفسي كويس قوي على فكرة.

كانت جملتها الأخيرة حزينة.. باكية..
شعر بالشفقة نحوها..

وشعر بالغضب من كارمن وافتراءتها التي كانت السبب فيما يحدث الآن..

إيناس مجرد زهرة بيضاء نقية..

لا..

إيناس هي فيوليت برقتها وخجلها، عينيها الحزينة، نبرتها المرتجفة، طلتها الهادئة..

نعم كانت إيناس هي فيوليت..

ولكن لم يكن هو ملك الثلج.

قبل أن يتابع وجدها تتحرك مسرعة إتجاه الباب..

قالت دون أن تنظر نحوه:

ـ عن إذنك ورايا شغل.

وهكذا رحلت مسرعة وتركته وحيداً..





ابتسم بسخرية،على الرغم من رفضها الجارح،

ما زالت بقلبه بل ربما تمكنت منه أكثر.



****

خرج حمزة من العيادة بعدها بدقائق ليجد خالد في مواجهته..

كان خالد قد ترجل لتوه من سيارته عندما لاحظ خروج حمزة من العيادة..

اقترب منه بدهشة وهو ينظر نحوه بارتياب قائلاً:

ـ بشمهندس حمزة.. كنت عايز حاجة؟

ظل حمزة ينظر نحوه لوهلة، كان يبدو عليه الغضب.. الغيظ..

يبدو أن كارمن لم تخطئ في الجزء الخاص بخالد..

بدت ملامح الضيق على حمزة بدوره ثم تابع بابتسامة صفراء:

ـ لا أبداً يا بشمهندس.

تابع خالد بنبرة تهكمية:

ـ يعني بتدخل المكاتب والعيادات كده تسلية ولا إيه؟!!

أجابه حمزة بنبرة حادة:

ـ أنا كنت جاي أسأل الدكتورة إيناس على حاجة.

خالد:

ـ على إيه؟

حمزة:

ـ إستشارة طبية.. لصديق.








خالد:

ـ وهي فين الدكتورة؟.. جوه؟

حمزة:

ـ لأ.. عن إذنك.

تخطاه حمزة ولكن خالد قال بنبرة جادة:

ـ إستنى..

استدار حمزة، كان كلاهما يقف بمواجهة الآخر بتحدي..

لاحظ خالد أن نظرات الغضب مشتعلة بعينيّ حمزة الذي لم يحادثه بتلك الطريقة قبل ذلك..

تابع بإستهزاء:

ـ إستشارة طبية، مش طبية.. مش في وقت الشغل.. وقت الشغل ده ملكي أنا، وكفاية تضييع وقت لغاية كده وترجع على شغلك.

نظر نحوه حمزة بغضب ثم تابع:

ـ أنا مش بضيع لا وقتي ولا وقت غيري يا بشمهندس.. عن إذنك.

تركه حمزة بعد أن رمقه بنظرة حادة وبعدها أغلق خالد العيادة بعد أن تفحصها بغضب، ثم انطلق بسيارته مرة أخرى نحو الإسطبلات..

عله يجدها هناك.

****

نظرت إيناس نحو سهيلة بابتسامة وهي تمرر أناملها الرفيعة بخصلاتها الماسية كما اعتادت..

ابتسمت بأسى وتابعت:





- حتوحشيني.. شكلي كده حامشي بس بعد ما تولدي وأطمن عليكِ. نظرت نحو غرفة رعد وهربت عبرة من عينيها..

ماذا أصابها هل حقاً عشقت الجوادان المتضادان؟..

سهيلة ورعد..

سهيلة التي تبدو كماسة بيضاء تشع بريقاً أينما تحركت ورعد بئر أسرارها بكبريائه وصهيله القوي..

لم تر جواد مثله ولن ترى، بل لن تعشق جواد مثلما عشقت رعد.. تركت سهيلة وتوجهت لرعد الذي انتبه لقدومها بمجرد أن تحسست أذنيه بأناملها..

حرك رأسه في بهجة، أطلق حمحمة هادئة وكأنه إستأنس وجودها.. ابتسمت ووضعت رأسها على رأسه الكبير وتابعت بهمس:

- عندي كلام كتيييييير.. كتير قوي يا رعد.

لم تمر دقائق حتى انتبهت لدخول خالد للإسطبل..

كان يزعق في أحد الساسة بصوت قوي، تركت رعد مسرعة وهمت لتخرج من الأسطبل بدورها فلم تكن تشأ مقابلته..

استوقفها بنبرة حادة:

- إستني يا دكتورة أنا عايزك.

توقفت وظلت تنظر نحو الأرض منتظرة حديثه..

جلس دون إكتراث على أحد أكوام العلف وصرف السائس بإشارة من إصبعه ثم تابع بنبرة جادة:

- ما ينفعش أروح العيادة ألاقيها مفتوحة وحضرتك مش موجودة.. المكان هنا ليه نظام مش طابونة هي.



نظرت نحوه بغضب وقبل أن تنطق تذكرت بالفعل أنها تركت حمزة بالعيادة هاربة..

زفرت بضيق وتابعت:

ـ أنا كنت راجعة على طول.

خالد:

ـ ولو حتسيبيها دقيقة.. تتقفل أنا مش ناقص مصايب كفاية اللي أنا فيه.. مفهوم؟

ردت دون أن تنظر نحوه:

ـ حاضر.. عن إذنك.

خالد:

ـ إستني.. لسه ما خلصتش كلامي.

نظرت نحوه بضيق وظلت صامتة تابع بنفس النبرة الغاضبة:
ـ عندك حاجة شغلاكِ يا دكتورة.. مخلياكِ مش مركزة في الشغل؟..

همت لتجيب ولكنه قاطعها متابعاً:

ـ حتقولي لي ده شيء يخصِك لوحدك.. أقول لك جميل.. أنا مش عايز أعرف، بس المهم عندي إن ده ما يأثرش على شغلي.. وكلامي ده مش حكرره تاني.. إتفضلي.

تركته غاضبة.. ساخرة..

وها قد عاد خالد بغضبه وزمجرته.. ثورته.. بأسه..

هو رعد آخر ولكنها ليست على إستعداد لترويضه.

****

كائن أحادي التفكير..





دوماً يكون الرجل هو المقصود بتلك العبارة..

وأحادي التفكير تعني أنه يستخدم شق المخ الأيسر في التفكير، وهذا الشق هو المنطق.. العقل..

ولا ينتقل الرجل بسهولة للشق الأيمن حيث ترتكز العواطف ويتمحور الخيال..

بعكس المرأة التي تستخدم كلا الشقين الأيمن والأيسر وتنتقل بينهما بكل سهولة ويسر..

****

ألقى بقنبلته في وجهها وخرج..

لم ينتظر رد فعلها..

لم ينتظر إجابة أم ربما لم يرد..

زفر بغضب وتذكر مقابلته الفائتة مع سهام التي انتهت بيمين الطلاق الغاضب الذي قذفه في وجهها..

أين الخطأ؟...

هل أخطأ عندما أخذ قرار زواجه منفرداً دون علم رقية؟..

أم أنه أخطأ في الإختيار ولم تكن سهام هي الزوجة التي تصلح أن تكون أماً لإبنه؟..

آآآآآآآآآه..

محمود..

لقد فكر بالكل سواه، مع أنه هو الرغبة الأساسية التي حركته من البداية..

رغبة فترت ربما عندما جاءته من خلال رقية حبيبة عمره وبطلة روايته منذ خمسة عشر عاماً..







أرادت رقية التضحية بنفسها لأنها هي من ترفض الزيجة ولكن هو يعلم أنه لا يستطيع التضحية بها، بل لا يتصور أن تكون رقية ليست من حقه..

نعم كان يجب أن تكون سهام بعد أن أصبح الإحتفاظ بكلاهما أمراً مستحيلاً، خاصة مع إصرار سهام على المكوث بفيلا مثل رقية!!! بل أنها استفسرت عن ممتلكاته وبدأت تتحدث عن حق كليهما الشرعي..

هي وولدها..

عندها أيقن أنها تكتب دون وعي فصل النهاية..

لا يراها ضحية..

الضحية الوحيدة هنا هو محمود..

معركته الفاصلة هو محمود..

أم ربما معركته المستمرة.

****

نظرت رقية لإيناس بقلق وبادرتها بمجرد دخولها للمنزل:

- إيناس.. مالك شكلك مش تمام؟.. ومن إمبارح على فكرة.

ابتسمت لها إيناس بمكر وتابعت:

- إنتِ كمان شكلك مش تمام ومن إمبارح برده!

ابتسمت رقية ساخرة:

- بدأت أتعود.. يلا قولي إيه اللي مضايقك؟

إيناس:

- بجد ما فيش حاجة مهمة.







تابعت رقية وهي تنظر نحوها بتفحص:

- يعني حمزة ما ضيقكيش؟

نظرت إيناس نحوها بلوم:

- كنتِ عارفة؟

رقية:

- لا يا حبيبتي.. هو اللي لسه متصل وقال لي.. بس انا إديتهومله، يا خبر بيحبك وكمان عايز يتجوزك.. إيه قلة الأدب دي!!..

إيناس بدهشة:

- إنتِ بتهزري يا رقية!!

رقية:

- لا أنا بتريأ يا روحي.. وشوفي بقى أنا واحدة حامل وحتسمعي مني غصب عنك وحطلع الهرمونات عليكِ!

ابتسمت إيناس بأسى وتهاوت على الأريكة وتابعت:

- حتقولي إيه بس؟

رقية:

- حقول إنه عادي.. إن حمزة يطلبك للجواز، وإن غيره يطلبك للجواز لإنك ممكن تتجوزي راجل غير شريف يا إيناس

نظرت نحوها إيناس بتأثر وترقرقت العبرات بعينيها ولكن رقية تابعت بإصرار:

- فوقي بقى.. حتفضلي عايشة لوحدك؟.. طيب دلوقتِ إنتِ صغيرة والدنيا فاتحة لك دراعتها، لكن كمان عشر سنين حتعملي إيه؟.. مامتك وباباكِ مسيرهم حيخرجوا من حياتك ومن الدنيا كلها، إخواتك حتشوفيهم في المناسبات..





ساعتها حتعملي إيه؟.. حتفضلي عايشة مع شبح شريف؟!.. الوحدة صعبة يا إيناس، أنا حاولت أعملها وفشلت ما قدرتش.

إيناس:

ـ رقية.. أنا مش قادرة أتصور إن واحد ممكن ياخد مكان شريف.. مش قادرة أتخيل..

رقية:

ـ إيناس.. إنتِ مش قادرة تتخيلي إن حمزة ممكن ياخد مكان شريف، لكن في واحد تاني.

ارتبكت إيناس وكادت أن تنطق سريعاً بالنفي ولكن رقية تابعت على الفور:

ـ جايز لسه ما تعرفيهوش، لكن وقت ما تعرفيه إوعي تسيبيه.. في واحد قدرك إنك تعجزي معاه ويشوف شعرك البندقي ده وهو بيبيض ما تخافيش يا إيناس لما مشاعرك تتحرك.. إوعي تخافي.. أنا عارفة كلامي مش عاجبك دلوقتِ، بس هي دي الحقيقة.. مشاعرك وارد تتحرك وغصب عنك مش بمزاجك ومش عيب ولا حرام يا إيناس.. مش خطيئة.. الشرع والدين بيقول كده.. فاهمة؟

ظلت إيناس واجمة، لم تجب بادرتها رقية بقرصة خفيفة في ذراعها..

نظرت لها إيناس بدهشة وابتسامة:

ـ إيه ده كمان؟

رقية:

ـ ده علشان زعلتي زوما.. حمزة ده إبني اللي ما خلفتوش.

ارتبكت إيناس وتابعت:

ـ رقية.. أنا..

رقية:







- هو متسرع شوية.. وواخد الدنيا بصدق زيادة عن اللزوم، أنا قلت له مش دلوقتِ، بس هو ما سمعش الكلام.. في حاجة أنا مش فاهماها.

إيناس:

- حمزة إنسان محترم وأتمنى ربنا يوفقه في الإنسانة اللي تستاهله.

رقية:

- حلو كلام الأفلام ده.. هو بيحبك إنتِ، وعايز يتجوزك إنتِ، بس إتسرع.. للأسف إتسرع.

شعرت إيناس بالخجل وتابعت سريعاً:

- سيبك مني.. داخلة فيا شمال علشان ما اسألش.

رقية:

- هو أنا بخبي عنك حاجة يا إيناس؟

إيناس:

- في حاجة حصلت وإنتِ ما قولتيش.. باين على وشك.

صمتت رقية قليلا ثم تابعت:

- طلقها.

نظرت نحوها إيناس بدهشة:

- طلقها!.. إمتى؟

رقية:

- إمبارح جه، وقال لي إنه طلقها.

إيناس:





- طلقها علشانك؟

رقية:

- حسن زهق.. حب يريح نفسه، بس في نفس الوقت كان عايزني أنا اللي أطلب ده علشان يريح ضميره.

إيناس:

- وبعدين؟

رقية:

- الكوميدي إنه لما جه طلبت منه يطلقني أنا.. مع إني ما كونتش مقررة أنا عايزة إيه ولا حاعيش من غيره إزاي، بس كنت مخنوقة ولقيتني بقول له كده، فقال لي إنه طلقها.

إيناس:

- يعني إنتِ ما ارتحتيش إنه طلقها؟

رقية:

- للأسف ارتحت.. غصب عني.. مش عارفة هل دي أنانية؟

إيناس:

- لا يا رقية.. دي طبيعة بشرية، ما فيش ست بتقبل وجود ست غيرها في حياة جوزها، خاصة إنها هي اللي دخيلة عليكِ

تنهدت رقية بحيرة وتابعت:

- أنا تعبت.. والله ما بيهَوِن عليا كل ده غير ضربته ليا جوه بطني.. إحساس جميييييل.





ربتت رقية على بطنها المنتفخ وعندها شعرت بركلة جنينها وكأنه نوع من التواصل الخاص بينهما..

ابتسمت إيناس وتابعت:

ـ خليكِ أنانية مرة من نِفسك، فكري بس في الجميل اللي جوه ده.. ولما يجي بالسلامة حنشوف حيحصل ايه.. مش عارفة ليه في إحساس جوايا بيقول إنه لما يجي حتكون في حاجات كتير اتغيرت.

رقية:

ـ تفتكري أنا حتغير؟.. مشاعري حتتغير وغضبي حيقل؟

إيناس:

ـ ده أكيد.. وبعدين خلاص بقى طلع ولد ومش حينفع طبعاً تسموه إيناس!!

ابتسمت لها رقية وتابعت:

ـ حسن فرح قوي لما عرف النوع... يا ترى حشوف الفرحة في عينه لما يجي ولا حتكون مجرد تكرار ما لوش معنى؟.. وبيفكره بكل اللخبطة اللي حصلت؟

إيناس:

ـ هششششش.. بصي أنا حقول لك حاجة وما تزعليش مني.. جوزك ده فيه عيوب الدنيا بس بيحبك.. بيحبك قوي وإنتِ بتحبيه.

ابتسمت رقية بحزن وظلت تربت بحنان على بطنها المنتفخ ثم أمسكت بيد إيناس لتستشعر ركلات الصغير مثلها تماماً..

ضحكت إيناس وقالت:

ـ شكله حيطلع شقي قوي... إيه العنف ده؟

تابعت رقية:





- مش حنسميه خالد!.. ربنا يستر!!..

ابتسمت إيناس بحرص عندما ذكرته رقية..

خالد.

****

على الرغم من كل شيء حظت بنوم جيد..

عميق دون أحلام..

استيقظت مبكرة وارتدت ملابسها بنشاط وتوجهت للعمل..

نعم فقط العمل، ولن تفكر بشيء آخر سوى عملها..

كانت تتجاهل رؤياه، تتعمد أن لا تتحدث إليه..

ومر يوم.. وإثنان.. وعشرة.. وأكثر..

واكتشفت أنها لم تكن تتجاهله وحدها، فهو أيضاً يقوم بتجاهلها..

كانت بغرفة سهيلة وكان هو يقف بالخارج يوجه تعليماته بشدة للعمال كعادته..

عادت الحدة لتتمكن من ملامحه واستأثرت الغلظة بصوته..

ما به؟!..

تبدلت نظرته نحوها، بل غابت نظرته عنها..

فلم يعد يراقبها كما اعتاد، أو ربما كما اعتادت!!..

شردت وهي تنظر نحوه رغماً عنها شردت في أشياء كثيرة..

حلمها.. شريف.. هو عندما امتطى رعد مغمض العينين..

لم تفق من شرودها إلا عندما التقت أبصارهما..









فاجئها بنظرة حادة..

ارتبكت واستدارت في لحظتها..

أما هو..

لاحت على جانب ثغره ابتسامة ماكرة..

أم ربما هي ابتسامة حائرة تتخفى داخل دثار الثقة!

منذ أن رأى حمزة في العيادة وأفكاره ملتبسة.. مبعثرة..

منذ أشهر وهو يطاردها تارة بالرقة.. وتارة بالحدة..

أوقاتاً باختياره وأوقاتاً أخرى رغماً عنه..

وهي بدورها للحظات تستجيب.. وللحظات أخرى تهرب نحو ذكراها..

أيهما يفضل استجابتها أم هروبها؟.. أم ربما كلاهما؟!.

وماذا عن حمزة؟.. هل إستجابت له أيضاً؟!

ربما..

فهو لن يبادرها بالزيارة دون ترحاب..

هل تاقت الأنثى بداخلها للرجل من جديد؟.

جفائك نحوي يا إيناس هل بسبب ذكرى شريف؟..

أم بسبب رجل آخر؟..

بسبب حمزة.

****

نظرت إيناس نحو رقية التي بدأ النوم يجافي عيونها وقالت:





ـ قومي نامي يا روكا وارتاحي.

رقية:

ـ أديني سهرانة معاكِ يا أنوس بنتسلى سوا.

إيناس:

ـ أوقات بحس إنك زهقتِ مني!

رقية:

ـ بقى كده.

تابعت إيناس بمكر:

ـ أخبار بشمهندس حسن إيه؟

رقية:

ـ كويس.. هو متفهم وقال لي خلاص بعد ما تولدي بالسلامة أنا واثق إنك حترجعي بيتك.. تعرفي يا إيناس أوقات بحس إنه صابر عليا ومقدر مشاعري، وأوقات بحس إنه من جواه عايز يقول لي كفاية قوي كده أنا عملت اللي عليا بزيادة.

ابتسمت لها إيناس بصمت..

قطع حديثهما جرس الهاتف.. كانت نيرمين، ردت إيناس بدهشة: ـ ألو.. إزيك يا نرمين..

نيرمين:

ـ معلش يا إيناس بكلمك في وقت متأخر بس غصب عني.

إيناس:

ـ ولا متأخر ولا حاجة، الساعة لسه ١١ مالك بس يا حبيبتي صوتك ماله؟







نيرمين بتوتر:

ـ أصل عمر تعبان شوية والدكتور كان كتب له حقن، ورجع التعب زاد عليه تاني، وأنا آسفة أنا بس عرفت من حمزة إنك بتعرفي تدي حقن، وكنت بستأذنك أجيبه تدي له الحقنة علشان هو رجع بقى سخن قوي ومش عايزة أخرج بيه بره المزرعة.

كانت نيرمين قلقة على صغيرها، نبرتها مرتجفة، عباراتها غير منتظمة، تابعت إيناس بنبرة حانية في محاولة لتهدئتها:

ـ نيرمين حبيبتي.. اهدي حيبقى كويس إن شاء الله.. ما تنزليش بيه من البيت أنا حاجي لك.

نيرمين:

ـ لا يا حبيبتي.. يا خبر أبيض!!.. الوقت متأخر.

إيناس:

ـ ومتأخر برده على عمر، ما ينفعش تنزليه تعبان كده، أنا حآجي حالاً.

نيرمين:

ـ خلاص حابعت لك يوسف بالعربية.

إيناس:

ـ مفيش داعي أنا حاتصرف.

نيرمين:

ـ يا خبر ده كفاية نزولك مخصوص.. حالاً يوسف حيكون عندك.

أغلقت إيناس الهاتف ورقية بملامح قلقة:

ـ في إيه؟



إيناس:

- ما فيش.. واضح إن عمر تعبان وسخن قوي ومحتاج حقنة وأنا حاروح أديهاله.

رقية:

- يا خبر!!.. يا حبيبي يا عمر، إستني حآجي معاكِ.

إيناس:

- تيجي فين؟!!.. أبوس إيدك الدكتورة منبهة على الحركة، إنتِ في الثامن دلوقتِ وواخدة مثبت إنتِ ناسية ولا إيه!!

صمتت رقية وتذكرت بالفعل تحذير الطبيبة لها وخوفها من أن تفاجئها ولادة مبكرة تابعت إيناس:

- مضطرة أروح لوحدي، بس ده واجب ويوسف جوزها حيوصلني.

رقية:

- خلاص.. يا حبيبتي وطمنيني.

إيناس:

- ما تقلقيش يا روكا، بس إنتِ أدخلي ريحي على السرير وأنا لما ارجع حطمنك.

أذعنت رقية لرغبة إيناس وتمددت على الفراش في إنتظارها ودون أن تشعر غلبها النوم.

****

نظرت إيناس لعمر بتذمر كالأطفال وتابعت بابتسامة:

- إوعى تكرهني، وأبقى أنا الدكتور الوحش اللي بيخوفوك بيه علشان الحقنة.

لم يبكِ عمر وحملته نيرمين على الفور وهي تقول:





ـ متشكرة قوي يا إيناس.

إيناس:

ـ على إيه بس.. المهم عمر يبقى كويس، وأي حاجة أنا تحت أمركم أستأذن أنا بقى.

نيرمين:

ـ يا خبر تروحي فين!!.. ما عملناش واجب الضيافة، ولا أقول لك باتي معايا، ويوسف يروح يبات مع حمزة.

إيناس:

ـ يا خبر!!.. إنتِ بتقول لي إيه بس.. وواجب إيه إحنا إخوات.. معلش لازم امشي علشان ورايا شغل الصبح بدري.

نيرمين:

ـ مع السلامة يا حبيبتي.. آه نسيت.. بصي ده دواء حموضة كويس قوي كنت قلت لرقية عليه، أنا اشتريته من يومين معلش بعد إذنك تديه ليها.

إيناس:

ـ طبعاً.

تنحنح يوسف وقال:

ـ إتفضلي يا دكتورة علشان أوصل حضرتك.

إيناس:

ـ انا آسفة تعبتك يا بشمهندس.

نيرمين:

ـ تعبتيه إيه بس إحنا اللي تعبناكِ.







إيناس:

ـ لا خالص.. أهم حاجة صحة عمر.

خرجت إيناس ويوسف وقبل أن تتوجه للسيارة لمح يوسف حمزة الذي تقدم نحوهما على الفور:

ـ ها عمر أخد الحقنة؟

يوسف:

ـ الحمد لله الفضل للدكتورة؟

حمزة:

ـ الحمد لله؟

نظر حمزة نحوها بابتسامة:

ـ إزيك يا دكتورة إيناس؟

ردت بابتسامة متحفظة:

ـ الحمد لله.. إزيك إنت يا بشمهندس.

نظر حمزة ليوسف ثم تابع:

ـ طيب خليك إنت جنب مراتك وإبنك، وأنا حاوصل دكتورة إيناس.

يوسف:

ـ يا خبر.. لا أنا حاوصل الدكتورة ده كفاية نزولها مخصوص.

حمزة بإصرار:

ـ ما أنا وإنت واحد يا حبيبي.. خليك مع نيرمين إنت عارف هي بتتلخم من أقل حاجة.





نظر يوسف نحو إيناس وتابع:

ـ حضرتك عندك مانع؟

ارتبكت إيناس للحظة ثم تابعت:

ـ لا عادي ما فيش.

قاطعها حمزة موجهاً حديثه ليوسف:

ـ شفت عادي اهو.. اتفضلي يا دكتور.

توجهت إيناس نحو السيارة بتردد حتى أنها فكرت أن تستخدم المقعد الخلفي، ولكن حمزة كان الأسرع ففتح لها الباب الأمامي بابتسامة بريئة فجلست ولم ترد إحراجه..

ظلت صامتة طوال الطريق، نظر حمزة لزجاجة الدواء الصغيرة بيدها وقال:

ـ ده دوا؟؟

إيناس:

ـ آه.. بتاع رقية علشان الحموضة.

حمزة بابتسامة ساخرة:

ـ آآآاه دي بقت زمل يعني!.

إيناس:

ـ إنت بتجي لك حموضة؟

حمزة:

ـ تقدري تقول لي بقيت أنا اللي أجي لها!!

ابتسمت وتابعت:












- إنت بس خد بالك من أكلك وكل زبادي وكده.

حمزة:

- عادي اتعودت.. طيب بصي حطيه في التابلوه.

إيناس:

- معلش لحسن انساه.

حمزة:

- لأ.. ما تقلقيش أنا حافكرك.

وضعت إيناس الدواء وظلت تراقب الطريق بصمت قطعه حمزة مرة أخرى:

- أرجو إنك لسه ما تكونيش زعلانة مني.

إيناس:

- لا.. أبداً.. أنا..

حمزة:

- أنا اللي بوعدك إني مش حافتح معاكِ أي مواضيع تضايقك تاني.

إيناس:

- متشكرة يا بشمهندس.

حمزة:

- وأي حاجة حقولها حتكون شيء يبسطك ويضحكك كمان.

ابتسمت بيأس.. تابع بمرح:

- مش مصدقاني!!.. طيب خدي عندك!.. مرة مهندس زراعي ودكتورة جميلة كده راكبين زوبة وبطيئة جداً، فالمهندس قال لها إيه تيجي نلعب لعبة ذكاء تسلي



الوقت؟.. الدكتورة بقى كانت مخنوقة من صاحبك.. فضلت تراقب الطريق وعملت نفسها نايمة، بس مين هو كان لحوح شوية..

ابتسمت إيناس رغماً عنها فتابع حمزة بابتسامة:

ـ يعني لحوح قوي.. المهم قال لها اللعبة كل واحد حيسأل التاني سؤال، واللي ما يعرفش يدفع ١٠ جنيه.. هي ما وافقتش.. صاحبك قعد يفكر وقال لها خلاص لو إنتِ ما عرفتيش الإجابة تدفعي عشرة جنيه، ولو أنا ما عرفتش أدفع ١٠٠ جنيه.. ساعتها هي وافقت.. بدأوا اللعبة.. سألها هو إيه المسافة بين الشمس والقمر؟.. ضحكت وإديته ١٠ جنيه.. وبعدين جه دورها قالت له إيه هو الشيء اللي بيطلع الجبل على ثلاثة وينزل على أربعة؟.. صاحبك اللحوح ده بقى، قعد يفكر وعصر دماغه ما عرفش الإجابة، راح مطلع ١٠٠ جنيه ومديها ليها.. المهم هي بكل بساطة حطت الفلوس في شنطتها ورجعت تراقب الطريق وتجاهلته من تاني.. صاحبك إتغاظ، وقالها بتحدي طيب قولي إنتِ إجابة السؤال.

كانت إيناس منتبهة لحديثه سألته عندها:

ـ وبعدين قالت ليه إيه؟

حمزة :

ـ ما فيش.. إديته ١٠ جنيه!

ضحكت إيناس بشدة على فكاهته وضحك هو بدوره وعندها كانا قد وصلا للمنزل، قال حمزة:

ـ شوفتِ مش قلت لك مش حقول لك حاجة تضايقك تاني!

إيناس:

ـ هي نكتة ظريفة قوي وكمان فيها ذكاء.

حمزة:

ـ تفتكري إيه العبرة منها؟

إيناس:

- ممكن إن الواحد ما يبقاش مندفع يفكر كويس قبل تصرفه.

حمزة:

- صح.. وما يبقاش لحوح كمان.

إيناس:

- ميرسي على التوصيلة.

حمزة:

- أنا اللي بشكرك على ذوقك بجد ومش معايا بس مع نيرمين ويوسف.. كلنا.

إيناس:

- لا شكر على واجب عن إذنك.

خرجت من السيارة وتوجهت للمنزل واستدار هو لطريق العودة ولم يلمح خالد الذي كان يقف بأحد الأركان يراقبهما بغضب.

****

كان خالد قد أنهى لتوه بعض الأعمال بمكتبه عندما نظر للساعة فوجدها قد قاربت على الثانية عشر مساءً..

أغلق المكتب وخرج متوجهاً لمنزله في الظلام، ولكن قبل أن يصل لمح صوت سيارة قادمة وعندها رآها معه..

كانت تضحك وتتحدث وتبتسم وهو ينظر نحوها بشغف..

ظل يراقبهما من بعيد، فيبدو أنها لحظة رومانسية خاصة جداً...

ترجلت إيناس من السيارة وتوجهت للفيلا، قبل أن تقترب من الباب شعرت بخطوات مسرعة خلفها..









استدارت بفزع، ولكن زفرت بارتياح عندما وجدت أنه خالد.. عندها قالت:

ـ خضتني يا بشمهندس.

خالد:

ـ حمد الله على السلامة!

نظرت نحوه بدهشة وتابعت:

ـ الله يسلمك.. عن إذنك.

خالد:

ـ إستني.. عايزين نتكلم شوية.

إيناس:

ـ دلوقتِ!

لاحظت اقترابه منها بمكر فتراجعت بخوف حتى اصطدمت بالسور ثم قالت بصوت مرتبك:

ـ في إيه؟!.. حضرتك عايز حاجة؟.

كان ينظر نحوها بطريقة غريبة لم تعتدها منه قبل ذلك..

تابع بابتسامة ساخرة وبنبرة بطيئة للغاية:

ـ عايز.. اتكلم.. معاكِ!

نظرت نحوه بغضب ثم تابعت:

ـ الوقت متأخر.. حضرتك تتكلم معايا في العيادة بكرة.. عن إذنك.

همت للمغادرة ولكنه إستوقفها وجذبها بقوة من ذراعها فأعادها لمكانها مرة أخرى..








نظرت نحوه بصدمة وتابعت بصوت زاعق:

- إنت إتجننت!!.. إنت إزاي تمسك دراعي كده؟

تابع بدوره وهو ما زال يرمقها بنفس النظرة:

- إيه يا دكتورة!!.. ما أنتِ راجعة متأخر ومبسوطة وضحكتك واصله لآخر الدنيا.. العصبية والشخط من نصيبي أنا!

كانت كلماته قاسية مخيفة تابعت بقلق :

- إنت بتقول إيه!!.. عديني لو سمحت.

خالد:

- أنا بقول نتكلم بصراحة أحسن وأفضل لينا كلنا.

إيناس بحيرة:

- صراحة إيه؟!

ابتسم بمكر وتابع:

- يعني لو إنت إشتقتِ لوجود راجل في حياتك، أنا بقول تختاري راجل بجد!

شعرت أن دلواً من الماء البارد قد سقط على رأسها، ورغم ذلك فالحمرة تمكنت من وجهها معبرة عن غضبها الجامح..

شعرت بالغضب والفزع من ملامحه، من نظرته.........

كانت تحمل معاني مختلطة من الغضب.. الغيظ.. البأس.. الرغبة.. بعد ذلك تصلب جسدها من المفاجأة..

قبضته التي جذبت خصرها بقوة، قُبلته التي منعت عنها الهواء، استدركت أخيراً ما يحدث..








دفعته بعيداً عنها، كانت تنظر نحوه بألم، والعبرات المتحجرة تلألأت بعينيها فبدت كنهر من العسل الحزين..

هربت..

هربت قبل أن تنفجر في البكاء حتى قبل أن تُحقق رغبتها في صفعه..

أما هو فظل جامداً مكانه..

فبداخله الآن بركان ثائر من المشاعر المتخبطة، ولم تساعد تلك القبلة على اخماده بل ربما زادت من ثورته..

وفي الظلام كان هناك آخر..

شاء القدر أن يعود من أجل أن يعطيها زجاجة الدواء، لم يثنه الوقت المتأخر عن العودة، هو يود رؤيتها مرة أخرى ولو للحظات..

ولكن لم يكن يتوقع أن يراها بين ذراعي خالد مستسلمة لقبلته..

ترك المكان ناقماً.. ساخطاً..

قبل نهاية مشهد العشق الجامح بينهما..

فكفاه ما رآه حتى الآن..

كفاه.

الفصل الرابع والثلاثون:

كيف يراها الرجل؟



كيف يريدها؟..

هل يتمناها أفروديت رمز الأنوثة؟..

أم يقدرها كايزيس رمز الأمومة؟..

أم ربما هو عاشق لشهرزاد رمز الدهاء؟..

لا..

بل كوني جوليت رمز الحب؟..

أم يفتخر بها كمريم رمز العفة؟.....

عفواً..

أريدهن جميعاً..

فأنا... رجل!

الرجل بطبيعته عاشق للتملك، يود أن تكون الأنثى مِلكه بماضيها وحاضرها ومستقبلها أيضاً حتى وإن تركها!

وترك شريف إيناس رغماً عنه..

لأوقات ود لو أن يتبخر شريف من الماضي، فيمتلك هو بدوره الماضي والحاضر والمستقبل..



ولكن هل يضمن المستقبل؟!

فها هي تتحرك كالعمياء خلف رغبتها من قبل أن يمر الحاضر، فماذا عن المستقبل؟!

نعم استجابت لك رغماً عنها في النهاية، بل ربما استجابت له أيضاً.. سعدت باهتمامك وبادلتك مشاعر الصمت..

ضحكت لمزاحه وربما كان هناك ما هو أكثر بينهما ولا تعلمه أنت.. استحقت ما نالت بالتأكيد..

القبلة كانت عقابها ولذته!!..

نعم هي نالت ما أرادت..

ولكن هل حقاً أرادت القبلة؟!..

ولكنها لم تستجب لها، بل رفضتها بكل ما أوتيت من قوة..

ماذا تُراها فاعلة الآن؟

هل ستعود لما كانت عليه كما عشقها؟..

وفاء إيزيس.. وطهارة مريم..

وتضحية جوليت التي لم تكن من أجله..

ليتها كانت من أجله..






من أجله هو فقط..

نعم..

فالرجل بطبيعته عاشق للتملك..

وخاصةً هو..

زفر بغضب ثم جلس على الأرض بيأس وتخللت أنامله القوية خصلات شعره الداكن، ثم اعتصرت جمجمته بقسوة..

نظر خلفه ليراقب نافذتها المظلمة...

ماذا به يراقب النافذة كالأحمق؟!

كمراهق ساذج ينتظر طلة معشوقته..

عن قصد منه أراد عقابها، امتلاكها..

وعن غير قصد منها تملكته بلحظات مميزة من الكمال، فمعها ودون أن يعي شعوره لحظتها شعر بالكمال.. السعادة..

وكأن العالم كان يجب أن يتوقف عند تلك اللحظة..

اعتصر رأسه مرة أخرى بقوة وكأنه يود التخلص من أفكاره وتوجه لمنزله أملاً في اراحة عقله بالنوم ولكن دون جدوى.








****

خطواتها مرتجفة.. الصورة في عينيها مشوشة، لا بل مشوهة..

ربما بسبب نهر العبرات الذي اجتاح عينيها دون هوادة..

أم ربما هو..

نعم هو من اجتاح عالمها دون رحمة..

لا..

بل دون دعوة..

نعم..

دون دعوة..

ارتسمت على شفتيها ابتسامة بائسة..

ألم تكن نظرتها دعوة؟..

ابتسامتها دعوة؟..

من تخدع؟!..

هو أم هي أم شريف؟...



شريف!..

احتوت ذكراه بقبضتها المرتعشة.. جففت دموعها بقميصه ثم دفنت وجهها بين ثناياه وكأنها تسعى للإختباء داخله، أو ربما اللجوء إليه..

نظرت بأهداب مرتجفة للنافذة وهربت عبرة أخرى سريعة.. قاتلة..

كقبلته التي قتلت وفائها.. إخلاصها..

وشوهت ملامح ذكراها..

لم تكن تلك القبلة مجرد شهوة عابرة منه..

لم تكن رغبة عابثة..

لا تلك القبلة هي صك الملكية الذي استقبلته شفتاها دون هوادة..

أخبرها بقسوة قبل ذلك أنها ستكون لرجل آخر غير شريف، والليلة أعلمها أنه سيكون هذا الرجل.. بكل غرور.. بكل قسوة.. بكل تجبر..

كان هو هذا الرجل، وكانت هي الطائعة المُسيّرَة خلف خطيئتها لينتهي بها الأمر بين ذراعيه..

مسحت دموعها بظهر كفيها بغضب وبنظرة من التحدي بدأت في تجهيز حقيبتها..

لا يوجد الآن لديها خيار سوى الهروب.






****

وتهاوت أسوار العالم من حولي..

ارتجف لساني وتجمد قولي..

ورأيت نجوم تسبح..

وسمعت طيور تصدح..

وكلاب تنبح..

وتراءت في أفقي أفكار سوداء..

وهواجس حمقاء..

وتلمست بيدي عبث الأهواء..

أشياء تمحو أشياء..

ومشاعر تبدو كالداء..

والغضب الجارف في عقلي..

يصرخ.....

أحمق!..

أنت مجرد عاشق دون رجاء...



انطلق مغمض العينين..

لا..

بل بعيون مفتوحة ملئ البصر في محاولة يائسة للبحث عن صورة جديدة لتمحو أثر تلك الصورة القابعة في خياله..

مازالت صورتها معه وهي مستسلمة لقبلته الدافئة ثابتة في عقله، متمكنة منه حتى النخاع..

ضرب يده بغيظ على المقود وانطلق بالسيارة مبتعداً عن المزرعة، عن خالد، عنها..

ظهرت صورة كارمن بابتسامتها الماكرة أمام عينيه..

صورة أخرى، جديدة..

ربما أكثر صدقاً بل أقرب إلى الحقيقة..

نعم..

كارمن هي من تعلم الحقيقة، بل ربما هي من تفهم..

نعم..













تفهم كل شيء وهو مجرد أحمق!

****

نظرت بضيق لساعتها فوجدتها الثامنة صباحاً..

كان جرس الباب يدق بإلحاح، هل عاد البوليس مرة أخرى للبحث عن كريم؟..

كريم الذي اختفى وتركها حائرة...

حمزة أيضاً ذهب ولم يعد..

زمت شفتيها وقامت متكاسلة، ابتسمت بدهشة عندما رأته..

كان مظهره رثاً.. عيونه مجهدة.. زائغة

ابتسم لها بآسى ثم قال:

ـ عندك وافل؟

عادت بعد أن بدلت ملابسها ثم نظرت للطعام أمامه وتابعت:

ـ إنت طلبت الوافل علشان تتفرج عليه؟!!

لم يجبها، ظل يراقب طعامه بشرود..

جلست بجانبه وتابعت وهي تنظر نحوه بتمعن:

ـ مالك يا حمزة؟

أجابها بعد وهلة:







. إنتِ صح!

نظرت نحوه بدهشة:

. إيه؟!

حمزة:

. إنتِ اللي فاهمة يا كارمن.. ومحتاج أفهم منك.

كارمن:

. تفهم إيه؟

بدت عيناه لامعة، جاحظة ثم تابع بنبرة بائسة:

. العلاقة بين خالد وإيناس حدودها إيه؟

كارمن:

. في إيه شكلك مش طبيعي ..حصل إيه؟

حمزة:

. أنا جاي أسمع مش أتكلم.

ابتسمت بمكر وصمتت لوهلة حتى تنظم أفكارها ثم تابعت:

. أنا ما اعرفش حدودها إيه، بس اللي أعرفه إن خالد يقدر كويس يخلي اللي قدامه ينفذ له كل اللي هو عايزه.. سواء كان صح أو غلط.

شد على قبضته بغيظ ثم تابع:





. للدرجة دي!.. ولا إنتم ما بتحبوش غير القسوة؟!

كارمن:

. إحنا مين؟!

قال ساخراً:

. الستات..

ضحكت بدهاء وتابعت:

. حمزة.. إنت محتاج تخرج من المود وبعدين نتكلم.

حمزة:

. كارمن.. أنا شكلي حعيش في المود.

وضعت إصبعها على فمه ليصمت ثم تابعت:

. مش مع كارمن!!

جذبته من ذراعه ليتبعها وهي تقول:

. تعال..

حمزة:

. اجي فين بس؟!

كارمن:










. حنشخبط..

حمزة:

. نشخبط؟!

كارمن:

. آه.. بس شخبطة كبيرة شوية.. تعال مش حتندم.

قالتها وهي تضحك بصدق..

نعم..

في تلك اللحظة كانت تبتسم له بصدق..

لا تعلم ماذا أصابها ولكنها شعرت بالحزن من أجله..

شعرت أنه هي منذ أعوام، عندما تذوقت جرح خالد، بأسه، هجره..

يالـ العبث..

ألقت قنبلة بوجهه منذ أيام، وعاد إليها مع شظاياها المتجسدة..

صِدق إدعائها..

هناك شيئاً ما بين خالد والطبيبة الحمقاء..

عفواً حمزة..





حان وقت الثأر!.

****

كان يراقبها بدهشة وهي تحضر الألوان والفرش خاصتها، بسطت لوح أبيض ضخم على الأرض، وشغلت موسيقى صاخبة..

تخلصت من حذائها ورفعت شعرها ثم ثبتته بأحد الأقلام دون إكتراث وشرعت في نثر ألوانها بعشوائية على اللوح..

قال لها حائراً:

. بتعملي ايه؟!

جذبته وأعطته فرشاه..

بدأت ترقص بدلال على أنغام موسيقاها الصاخبة ثم خلعت قبعته ووضعتها فوق رأسها و تابعت:

. يلا يا حمزة..

حمزة:

. يلا ايه بس؟!

كارمن:

. طلع العفريت!.. الهدوء والبساطة دي وراها عفريت مجنون.. وأنا اللي ححضره!!..









لا يعلم كم مر من الوقت ولكنه رقص معها بجنون، نثر ألوان غضبه على اللوح الأبيض مثلها تماماً..

تجرأ واختطف منها قبلة كتلك التي شاهدها في الليلة الماضية..

وهي..

هي لم تُمانع..

بل رحبت بها وكأنها...

أرادتها!!..

حالة متكاملة من العبث.. فقط هي خطوات نحو الهذيان حتى وإن كان مؤقتاً..

حتى إن لم يتغلب على هذا الشعور الخانق ..

غضب العاشق..

أطال النظر نحوها...

هي حقاً جميلة، ساحرة،

ابتسم بسخرية..

"أليست أجمل من إيناس، أفضل، أصدق.. نعم.. أصدق.. ليست مثلها تتخفى خلف دثار الوفاء تخدع الجميع دون ندم"..








ولكن تلك الكاذبة هي من ملكت قلبه وجرحته دون أن تدري بسكين حاد.

ابتسمت له كارمن بدهاء بدورها عندما لاحظت مراقبته لها..

حمزة شاب وسيم، ربما يفوق خالد وسامة، يصغرها بعدة أعوام..

ولكن حقاً هل تستطيع الغوص معه نحو عالم جديد بعيداً عن بحر حقدها الغاضب بأمواجه الثائرة؟..

هل يستطيع اخراجها من بئر خالد الذي دُفِنت به حية منذ سنوات؟..

لاحت على شفتيها ابتسامة ساخرة بدورها..

بماذا تهذي؟!!..

سبب وجود حمزة معها بتلك اللحظة هو خالد.

قطع أفكارها صوت حمزة وهو ينظر للوحة أمامه ويتابع بنبرة ساخرة: .

يااااااه!!.. هو أنا اللي جوايا غامق قوي كده؟!

ضحكت كارمن بشدة وتابعت:

ـ مش لوحدك على فكرة.. كلنا هذا الرجل.

حمزة:

ـ ياه.. للدرجة دي؟

كارمن:







ـ لا يا حمزة.. اللوحة دي غضبك مش حقيقتك.. الفرق كبير.

تنهد بعمق ثم استلقى على الأرض وتابع:

ـ أنا تعبان قوي لازم أمشي وإلا حنام مكاني.

كارمن:

ـ شكلك ما نمتش من امبارح.. هو السبب صح؟

"تقصد خالد"

ابتسم بأسى عندها تابعت بثقة:

ـ هي كمان السبب؟

كارمن:

ـ إنت بتحبها يا حمزة؟

حمزة:

ـ كارمن.. أنا مخنوق.. خلاص لا عايز أسمع ولا أتكلم عنهم.

كارمن:

ـ براحتك.. بس على فكرة حتى لو غلطانة تستاهل إنك تنقذها.

حمزة:

ـ أنقذها!.. ما حدش بيعمل حاجة غصب عنه يا كارمن.

صمتت لوهلة ثم تابعت لغو عقلها بإصرار:



ـ حمزة.. إنت مش حتنقذها من خالد.. إنت حتنقذها من السجن!!

نظر نحوها والصدمة بادية على وجهه وفي ملامحه ألف سؤال..

تابعت بثقة:

ـ أيوه يا حمزة.. علاقتها بخالد وبالمزرعة حتكون سبب سجنها، وممكن ضياع مستقبلها والحل في إيدك إنت وبس!

حمزة:

ـ إنتِ بتقولي إيه؟!

كارمن:

ـ حمزة.. خالد ده بيزنس مان.. روبوت.. حياته حاجتين متعة ومكسب..

وإيناس من غير ما تفهم بتحقق له كل ده.. خالد بيعمل حاجة غلط في تهجين الخيل، ما عنديش معلومة واضحة، بس اللي أعرفه إنه بيعمل تلقيح صناعي بأجنة رخيصة وبيبيع للهواة على إنه خيل عربي بيور، وبيلعب في شهادة النسب، وبيعتمد على بيطريين صغيرين من غير خبرة يمضوا إن كل حاجة تمام.

حمزة:

ـ لا.. لا.. مستحيل.. الكلام ده مش منطقي.

كارمن:







ـ علاقة إيناس وخالد كانت مش منطقية من أيام.

حمزة:

ـ طيب.. أنا الحل في إيدي إزاي؟.. مش فاهم؟..

كارمن:

ـ لازم أتأكد قبل ما أبلغ.. وعلشان أتأكد لازم أدخل المزرعة بالليل ومعايا دكتور ثقة تبعي.. كل اللي محتاجاه منك تدخلنا المزرعة بالليل علشان نتأكد، وبعدها نشوف حنعمل ايه.. وإلا ممكن كل الناس هناك تتاخد بذنبه.

أطرق رأسه لوهلة ثم تابع:

ـ ياااااه.. للدرجة دي الواحد مغيب.. معقول!!

اقتربت منه وتابعت:

ـ في إيدك تصلح كل حاجة والمخطئ يتعاقب... هو ده الحق.

نظر نحوها بتمعن ثم تابع:

ـ ماشي يا كارمن.. حددي الوقت اللي يناسبك، وأنا أدخلك هناك.

ابتسمت بدهاء وتابعت:

ـ خلاص.. بس الدكتور اللي اعرفه يرجع من السفر وساعتها حنروح.. بس هو يرجع.

أغمضت عينيها وتمنت بشدة ظهور كريم سريعاً..



نعم فقد حان وقت السداد يا خالد.

****

نظرت رقية حولها في حيرة عندما اكتشفت اختفاء إيناس..

غرفتها المفتوحة على مصراعيها، وخزانتها الفارغة تنبئ عن رحيلها المفاجئ..

أمسكت هاتفها بيد مرتعشة محاولة الإتصال بها دون جدوى، فرسالة الهاتف المغلق تتكرر بإصرار..

كانت الساعة قد تعدت التاسعة صباحاً، ارتدت ملابسها وخرجت مسرعة لتصطدم بخالد الذي كان خرج لتوه من منزله وملامح الأرق بادية على وجهه..

نظر نحوها بدهشة عندما لمس قلقها وتابع بصوت أجش:

- خير يا مدام رقية، في حاجة؟!

ردت رقية بإرتباك:

- لا.. لا.. أبداً ما فيش حاجة.

خالد:

- لأ.. شكلك مخضوض.. في إيه؟

رقية:











. أصل...

قاطعها صوت هاتفها ردت مسرعة:

. الو.. الو.. نيرمين.. كلمتك ما ردتيش.. كنتِ نايمة.. معلش.. عمر كويس؟.. إيناس خرجت متأخر من عندك.. حمزة اللي وصلها..

لاحظ خالد أن رقية تتحدث بقلق وبطريقة مقتضبة..

تابعت رقية على الهاتف:

. لا يا حبيبتي.. ما فيش حاجة، أنا بس بطمن على عمر منك وعليها روحت إمتى، علشان هي خرجت من بدري وشكل الموبايل فصل شحن.

أغلقت رقية الهاتف وعندها قال لها خالد بنبرة آمرة:

. مدام رقية.. في ايه؟.. وإيناس فين؟.

رقية وهي تحاول إخفاء قلقها:

. ما فيش يا بشمهندس.. هو شكل إيناس اضطرت تنزل مصر، وأنا بحاول أكلمها أطمن عليها، بس شكل الموبايل فصل شحن.

خالد:

. نزلت مصر !!..

صمت لوهلة وبدت ملامحه في حالة صدمة ثم تابع:

. وإنتِ كنتِ بتسألي نيرمين عليها ليه؟

رقية:





ـ آآآه.. أصل إيناس إمبارح بالليل اضطرت تنزل تدي لعمر ابن نيرمين حقنة علشان كان سخن قوي.. حتى يوسف ما رضيش تركب مع سواق وجه اخدها بالعربية وحمزة وصلها في الرجوع.

كانت رقية تتحدث بتلقائية دون أن تلحظ ملامح الذهول والغضب التي اجتاحته في لحظات..

أما هو لم يبالِ برقية، لم يبالِ بشيء سوى غضبه الجامح وسوء ظنه وما حدث ليلة أمس..

ضرب قبضته بغضب على الحائط ثم توجه راكضاً نحو سيارته وهو يمني نفسه بلاحقها.. حتماً استقلت الباص الخاص بالمزرعة، لا يوجد لديها بديل..

نظر لساعته ثم انطلق مسرعاً بسيارته لا يفكر سوى بقطع طريق الباص وإعادتها..

ولو بالقوة!!..

****

انزوت وحيدة بأحد مقاعد الحافلة..

ظلت تراقب الصحراء وعبرات عينيها ما زالت سيدة الموقف..

كانت تحاول اخفاء ملامحها تارة بأناملها الرفيعة وتارة بخصلات شعرها، فآخر ما توده الآن هو تبادل الحديث مع أي شخص، حتى أنها رحلت مسرعة قبل إستيقاظ رقية..





رقية..

تركتها دون وداع.. دون ذنب..

أطرقت رأسها على النافذة في محاولة يائسة لتنظيم أفكارها المبعثرة دون جدوى، كلما حاولت تنظيم أفكارها يقفز حادث الليلة الفائتة ليحتل عقلها..
مسحت شفتيها بظهر يدها بغضب عندما تذكرت ما حدث وظلت تراقب الطريق باكية..

الحافلة تلتهم الطريق بتكاسل على عكس سيارته التي كانت تلتهم الطريق بنهم، بجنون..

يده ثابتة على المقود وعيناه مرتكزة بإصرار تترقب ظهور الحافلة..

أخيراً لمحها..

زاد من سرعته واقترب منها يطلق زاموره بإصرار لينبه السائق دون جدوى، فالسائق غارق مع نجاة الصغيرة يشدو معها بصوت غليظ لا يستسيغه سواه..

"إنت تقول وتمشي وأنا أسهر ما نمنشي يا اللي ما بتسهرشي ليلة يا حبيبي..

سهرني حبيبي.. حبك يا حبيبي.. باكتب على الليالي إسمك يا حبيبي"

ضرب خالد يده بغضب على المقود ولم يجد بداً من اعتراض طريق الحافلة..





وبالفعل زاد من سرعته حتى تخطى الحافلة بأمتار ثم أوقف سيارته بشكل أفقي ليجبر السائق على الإنتباه والوقوف غير مبالٍ بخطورة فعله فكل ما كان يفكر به هي..

فقط هي..

انتبهت إيناس لتوقف السيارة المفاجئ، وقبل أن تعي ما يحدث رأته يصعد على متن الحافلة..

كانت عيناه تتفحص الوجوه بإصرار.. بغضبٍ تلاشى على الفور عندما لمحها..

ظل ينظر نحوها بعمق.. ارتباك..

غضب.. مشاعر متخبطة اجتاحتها..

جاءها صوته الأجش وهو يقول بثقة:

. دكتورة إيناس.. محتاجينك ضروري في مزرعة الخيل.

نظرت له بذهول وردت بنبرة خفيضة جاهدت لإخراجها:

. نعم!!

تابع بإصرار:

. يلا يا دكتورة.. ما فيش وقت الفرسة بتولد!

ودت أن تواجهه وتصفعه على وقاحته ليلة أمس والآن أيضاً..





ولكن نظرات كل من في الحافلة كانت موجهة نحوهما، لم تجد سبيلاً سوى النزول من الحافلة..

ظلت تراقبه بغيظ وهو يخرج حقيبتها من الحافلة ويضعها بسيارته.. انتظرت حتى رحلت الحافلة ثم نظرت له بغضب وقالت:

ـ ممكن أفهم إيه اللي حضرتك عملته ده؟

خالد:

ـ دي كانت الطريقة الوحيدة قدامي علشان ترضي تنزلي معايا.

زفرت بضيق ثم مدت يدها لتسحب الحقيبة، أمسك الحقيبة بدوره ثم قال لها:

ـ بتعملي ايه؟

إيناس:

ـ لو سمحت سيب الشنطة.

خالد:

ـ طيب.. ممكن تسمعيني؟

إيناس:

ـ أنا سمعت خلاص وغصب عني مش بمزاجي!

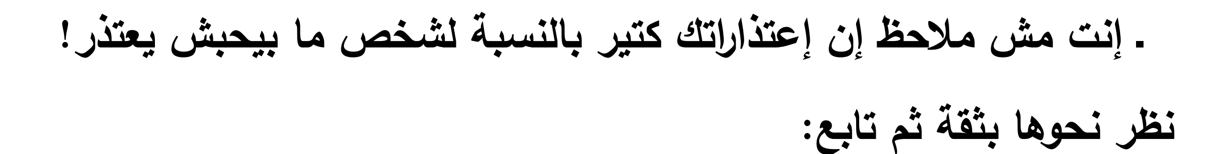
أطرق رأسه خجلاً ثم تابع بعد أن ترك لها الحقيبة:





. أنا بجد آسف.

قالت ساخرة:



. إنت مش ملاحظ إن إعتذاراتك كتير بالنسبة لشخص ما بيحبش يعتذر!

نظر نحوها بثقة ثم تابع:

. وإنتِ مش ملاحظة إن الإعتذارات دي ليكي إنتِ وبس؟!

استدارت حتى تتجنب النظر نحوه ثم تابعت:

. خلصت؟.. ممكن تسيبني أمشي بقى؟

تابع بنبرة حانية:

. ممكن ما تمشيش؟

رمقته بنظره حادة ثم همت للمغادرة ولكنه اعترض طريقها بإصرار ثم تابع:

. إيناس.. ما تسيبيش المزرعة.

كانت ترمقه بغيظ..

أخيراً انطلق مارد الغضب الثائر بوجهه، لم تشعر بنفسها إلا وهي تصرخ بصوت متحشرج:

. إنت فاكر إني ممكن أقعد في المكان ده دقيقة واحدة بعد اللي عملته؟!.. إنت فاكرني إيه!!.. إنت إنسان وقح.. فاهم وقح.

كانت تبكي بحرقة..







شعرت أن قدميها لا تقوى على حملها..

جلست على حقيبتها وعندها جثى على ركبتيه في مواجهتها ثم ناولها محرمة ورقية وتابع:

ـ أنا عندي كلام كتير قوي، بس عارف إنك مش حتقبلي مني أي كلام دلوقتِ.. فبلاش تفكري فيا.. فكري في رقية.. سهيلة.. طيب بس لغاية ما يولدوا وبعدها اعملي اللي إنتِ عايزاه، وأوعدك مش حضايقك بأي شكل.. بس مش حينفع تمشي كده، وبالطريقة دي.

ظلت صامتة تراقب الرمال بعبرات متحجرة، وهو يراقبها بقلق..

لماذا يرهب رحيلها؟..

هل عشقها؟..

لا.. لا.. هو فقط يشعر بالغضب مما حدث..

لا..

بل هو عاشق متغطرس يأبى مواجهة نفسه..

عاشق حتى النخاع..

لم يطق صبراً تابع:





ـ أحط الشنطة في العربية؟

كان ينتظر موافقتها بلهفة، بل ربما ينتظر ما هو أكثر..

فقط تعود معه وبعدها سيخبرها في اللحظة المناسبة أنه يريدها زوجته..

نعم..

ستكون زوجته وسيعيش معها لحظات دائمة من الكمال..

سيمتلك خصلات البندق بعطرها الآخاذ للأبد، فمعها هي فقط يشعر بالسعادة..

أخيراً تحدثت بعد دقائق طويلة من الصمت، كان صوتها هادئاً، نبرتها جادة.. بائسة..

إيناس:

ـ حارجع معاك بس بشرط.

زفر براحة ثم تابع:

ـ إيه؟

إيناس:

ـ مش حاتكلم معاك تاني أبداً.. فاهم... حتى لو كلمتني مش حارد عليك.

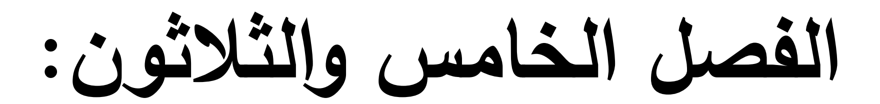
كان وقع كلماتها صادماً..





صمت لوهلة ثم بدت على ثغره ابتسامة حزينة وهو يقول بدوره بعد أن شعر بقلبه يهوى بين ضلوعه:

. موافق..



"افهميني..

أتمنى مخلصاً أن تفهميني..

ربما.. أخطأت في شرح ظنوني..

ربما سرت إلى حبك معصوب العيون..

ونسفت الجسر ما بين اتزاني وجنوني..

أنا لا يمكن أن أعشق إلا بجنوني..







فاقبليني هكذا.. أو فارفضيني"..

نزار قباني

الصمت هو سيد الموقف الآن..

ظلت تراقب الطريق دون أن تنبس بكلمة كما اشترطت عليه وعلى نفسها..

هو أيضاً لم ينطق بحرف..

وبعد حوالي نصف ساعة وصلوا إلى المزرعة..

نصف ساعة مرت كيوم كامل..

كانت تستمع لدقات قلبها المرتجفة كلما شعرت بنظراته الموجهة نحوها..

تركت السيارة دون أن تنظر نحوه وتوجهت مسرعة للفيلا، أما هو فظل قابعاً مكانه يسترجع ذكرى ما حدث..

****

لم تصدق رقية نفسها عندما شاهدت إيناس تدخل من الباب، اقتربت منها مسرعة وهي تقول:



ـ إيناس!!.. إيه اللي حصل؟.. إنتِ كنتِ فين؟.. أنا كنت حاتجنن من القلق.

ظلت إيناس صامتة لوهلة تتفحص المكان بملامح حزينة، اقتربت رقية منها وربتت على كتفها بحنان ثم تابعت:

ـ حبيبتي مالك.. في إيه؟

رغم ادعائها الصمود، انفجرت إيناس في البكاء على الفور..

كانت تبكي بحرقة لا تعلم لها سبباً واضحاً..

هل تبكي بسبب قبلته؟.. أم ربما بسبب نظرته العاشقة نحوها؟.. أم بسبب مشاعرها التي تحركت رغماً عنها وانطلقت هائمة خلفها في النهاية كالحمقاء؟..

نعم..

لقد عشقته رغماً عنها..

عشقته رغماً عن وفائها..

عشقته رغم جرحه لها..

رغم غروره..

جبروته..

كان يجب أن تهرب من هذا العشق..

ماذا تفعل؟..





لماذا عادت؟..

لماذا؟؟..

****

استيقظت بعد أن نالت سويعات قليلة من النوم، كانت رقية قد جهزت بعض الطعام..

استقبلتها رقية بابتسامة حنون وناولتها الحساء الساخن وهي تقول:

ـ تشربي الشوربة كلها، إنتِ ما أكلتيش حاجة من امبارح.. الشوربة تجهز معدتك وبعدين تاكلي.

نظرت إيناس للطعام وقالت:

ـ يا خبر!.. تعبتِ نفسك يا رقية وطبختِ.

رقية بابتسامة:

ـ وفراخ كمان!.. يعني من الآخر أستاهل مكافأة.

ابتسمت لها إيناس ثم رشفت القليل من الحساء وتابعت:

ـ بجد تسلم إيدك.. بس علشان خاطري ما تتعبيش نفسك تاني، إحنا خلاص قربنا على التاسع.

نظرت رقية نحوها بابتسامة جادة وتابعت:








ـ حصل إيه يا إيناس؟

ارتبكت إيناس قليلاً ثم تابعت وهي تعبث بطعامها:

ـ ما فيش يا رقية.. ما تشغليش بالك..

تابعت رقية بنبرة توكيدية:

ـ إيناس.. إيه اللي حصل خلاكي تسيبي المزرعة بالطريقة دي؟.. إنتِ إمبارح كنتِ كويسة.. حصل ايه بالليل؟؟

تابعت إيناس تناول حسائها بإرتباك دون أن تجيب فتابعت رقية بإصرار: ـ إيناس.. حصل إيه؟؟.. هو حمزة ضايقك؟!.. معقول حمزة يضايقك وتسيبي المزرعة بالطريقة دي!!..

قاطعتها إيناس على الفور:

ـ رقية.. حمزة ما ضايقنيش، بالعكس كان ذوق ومحترم معايا جداً ما تظلميهوش.

رقية:

ـ طيب إيه اللي حصل؟.. أنا اتخضيت لما صحيت ومالقتكيش.. حتى خالد شافني قلقانة واستغرب و...

توقفت رقية عن الحديث عندما تذكرت ردة فعل خالد..

قلقه، عصبيته، إنطلاقه بالسيارة مسرعاً عندما علم برحيلها..

وعودتها بعد ذلك..






كانت إيناس تراقب ملامحها بتوتر، تابعت رقية بعدها:

ـ إيناس.. هو خالد هو اللي رجعك؟

لم تجب إيناس وبدت ملامحها مضطربة تابعت رقية:

ـ إيناس.. خالد هو اللي ضايقك؟

إيناس:

ـ رقية.. أرجوكِ أنا مش عايزة أتكلم في الموضوع ده.

رقية:

ـ لا يا إيناس.. لازم تتكلمي، ولازم أعرف.. إيناس.. إنتِ مش مجرد صديقة أو صاحبة.. إنتِ أختي وأمانة عندي هنا.. فاهمة يعني إيه؟.. خالد عمل ايه يا إيناس خلاكي تسيبي المزرعة؟

صمتت إيناس لوهلة..

كانت تفكر.. هل تخبرها بما حدث حقاً؟..

هل تستطيع إخبار أي شخص بما حدث؟..

ابتلعت ريقها في محاولة يائسة لإخراج الكلمات من حلقها ثم تابعت:

ـ إمبارح شافني بالليل وأنا راجعة مع حمزة.. وفهم غلط و...

قاطعتها رقية بغضب:





ـ فهم غلط!!.. يعني إيه فهم غلط؟.. وهو ماله اصلاً؟.. قالك إيه؟.. عمل إيه؟

إيناس:

ـ خلاص بقى يا رقية هو كان سخيف وأنا خلاص مش حينفع أكمل هنا.. هو بس شهر وجايز أقل كمان أكون إطمنت عليكِ وهو شاف بديل وحامشي.

شردت رقية قليلاً..

كانت تفكر بخالد، ما الذي يثير اهتمامه أو ربما غضبه في عودتها مع حمزة؟..

ومنذ متى وخالد يهتم بأحوال الموظفين بالمزرعة؟..

ألم يلقبه حمزة بالبرجوازي كمثال لرأس المال الصارم الذي لا يهتم سوى بنقوده فقط!!

هل من الممكن أن يكون غضبه...

غيرة!

هل خالد...؟!

نظرت نحو إيناس في دهشة لتجدها شاردة بدورها..

ابتسمت لها وتابعت:

ـ هو جه وراك وإعتذر لكِ؟

أومأت إيناس رأسها بالإيجاب دون أن تنطق..










ابتسمت رقية بسخرية..

خالد اعتذر لأنثى!!

هرع خلفها كالمجنون ليعيدها..

هو عاشق إذاً لا محالة.

ولكن متى؟.. وكيف؟..

وماذا عنها؟..

هل تحركت مشاعرها نحوه؟..

أم أنها تعيش حالة من الإضطراب لا مثيل لها؟..

شعرت رقية بالشفقة من أجل إيناس..

جذبت رأسها برقة نحو صدرها وملست على خصلاتها بحنان وتابعت: .

خلاص يا حبيبتي.. حصل خير.. بس أي حد يضايقك ما تهربيش.. إنتِ مش غلطانة علشان تهربي.. هو اللي غلط.. أنا صحيح ما اعرفش قال لك إيه، بس هو اللي غلط، وهو اللي إعتذر، وإنتِ اللي في إيدك تقبلي اعتذاره أو ترفضيه.

تابعت إيناس:



ـ أنا ما قبلتش اعتذار.. أنا حامشي من هنا.. أنا بس أجلت ده شهر.. لا أقل من شهر وحارجع.. أيوة حارجع.

لا تعلم هل كانت تردد الكلمات على مسامع رقية أم نفسها!

نعم ستعود..

ستنسى خالد وستتخلص من مشاعرها الحمقاء.. الكاذبة..

نعم هي ليست مشاعر حقيقية..

فمشاعرها كانت لشريف فقط..

وخالد سيكون مجرد ذكرى..

لا..

لن يكون ذكرى..

فذكراها مع شريف..

فقط شريف.

****

نظر حسن بغضب للورقة بيده وتابع بنبرة ساخطة:

ـ رافعة عليا قضية نفقة يا سهام!.. بس أقول إيه؟!!.. أنا اللي أستاهل.

ضحكت بإستهزاء وتابعت:






ـ الورقة شرفتني بزيارتك أهو!

حسن:

ـ زيارتي مش حتتقطع يا سهام.. أنا مش حاسيب إبني، ومش حاخرج من حياته.. فاهمة.. أنا بس كنت سايبك تهدي.

سهام بسخرية:

ـ لا والله فيك الخير!

حسن:

ـ سهام.. بلاش تخلي محمود يدفع ثمن أخطائنا.

سهام:

ـ الغلط غلطك إنت يا حسن.

حسن:

ـ مش لوحدي.. إنتِ إتجوزتيني وكنتِ عارفة وضع رقية.. كنتِ عارفة إني مخبي عليها ورحتى قولتي لها، واتحاميتي في الحمل.. لإنك كنت عارفة أد إيه أنا كنت مشتاق لطفل.. كنتِ مرتبة تزيحها من سكتك، ولكن يا سبحان الله بعد صبر سنين طويلة تحمل رقية والموازين كلها اتقلبت.

سهام:

ـ فعلاً.. زال سبب جوازنا ورميتني وبعتني رخيص قوي أنا وابنك.

حسن:







- خدي بالك من كلامك.. إنتِ اللي حفرتي ورا المشاكل.

سهام:

- وإنت راجل أناني بتفكر في نفسك وبس.

حسن:

- وإنتِ ست أنانية علشان كده ما عرفناش نعيش مع بعض.

سهام:

- أنانية عشان طلبت حقي فيك!

حسن:

- لا أنانية علشان بتفكري في نفسك مش في إبنك.. زيي بالظبط!

انفرجت شفتاه عن ابتسامة ساخرة ثم تابع:

- قطبين مغناطيس عمرهم ما حيعرفوا يقربوا من بعض.. بس وقتها كنت بفكر في حاجة واحدة بس وما كنتش شايف غيرها.

مسح وجهه بكفيه ثم تابع:

- من غير محاكم حديكي كل اللي إنتِ عايزاه.. علشان خاطر إبني.. وأتمنى إنك علشان خاطره تبعدي عن المشاكل.. فكري بالعقل.. أتمنى إنك تحسبيها بالعقل.

قال ما قال وتركها تفكر بكل ما مرت به منذ أن وافقت على تلك الزيجة الفاشلة..





****

كانت تقف أمام رعد..

أصبحت همساتها لهذا الجواد الثائر راحتها وسلواها..

رعد هو من يفهمها، يقرأها جيداً، معه تبكي دون خجل، تضحك دون حساب، تفرغ ما في جعبتها من أسرار دون قلق..

هذا هو حالها منذ ما حدث..

نعم..

عندما أصبح هروبها بداية..

وعشقها خطيئة..

أصبح منبع سعادتها هو سر ألمها..

زهدت الكلمات وتحولت حياتها لمجرد همسات..

مع الكائن الوحيد الذي لا يجرح..

نعم..

همساتها لتلك الجياد..

فأصبحت حياتها...










همساً للجياد..

****

تمر الأيام دون نكهة..

كم يتمنى أن يُحليها بنكهة العسل، يُعطرها برائحة البندق..

هي قريبة وبعيدة..

حاضرة وغائبة..

تمر من أمامه دون أن تراه..

ما هذا العبث؟!!..

لم يكن هذا هو اتفاقنا..

الآن عليه أن يرغمها على الحديث وعلى النظر نحوه أيضاً!

كانت في طريقها للخروج من الإسطبل وكان هو متوجهاً للداخل يسحب رعد بلطف..

كعادتها لم تلتفت نحوه، بل كان بصرها موجهاً للأرض..

تمنى لو رفعت بصرها للحظة، لا تنظري نحوي، فقط أنظري نحو قرص الشمس الأحمر..

اشتقت للون العسل بمقلتيكِ!..



ولكن دون جدوى..

تختطه وكأنه غير موجود ولم تنظر لشيء..

لا هو ولا قرص الشمس، وكأنها عمياء عن طلته، خرساء من أجله هو فقط..

ماذا دهاه؟!!

أجنون قيس؟..

أم حماقة روميو؟..

لقد اعتاد الحصول على مبتغاه وقتما يريد..

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا..

كما اعتاد دوماً..

أسيسقط أسيراً لعشق امرأة؟!

هو بعنفوانه وقوته..

لا يجوز..

ومرة أخرى كانت بالإسطبل، تلك المرة كانت مع سهيلة..

دخل الحجرة وبدأ حديثه بصوت أجش يصطنع القسوة خشيةً أن يُظهر ضعفه:

ـ سهيلة عاملة إيه؟

كعادتها لم تجبه ولم تنظر نحوه فقط أشارت له بيدها أن الفرسة بصحة جيدة..





زفر بغضب ثم تابع:

ـ ناقص قد ايه تقريباً على الولادة؟

شعرت بالضيق لإصراره على فتح محادثة ونقض عهدها معه..

أشارت له بأناملها مرة أخرى برفع سبابتها وإصبعها الأوسط برقم إثنان..

رد بغضب:

ـ إتنين إيه؟!.. أسبوعين يعني؟.. ما تردي عليا يا دكتورة، أنا مش بهزر، أنا بسألك في شغل.

نظرت نحوه بحدة، بدت عيناها لامعة من الغضب..

كادت أن تقتحم ابتسامة ماكرة ثغره..

على الرغم من كل شيء شعر بالسعادة لمواجهة شعاع العسل الثائر بمقلتيها..

تابع بنفس نبرته الجادة:

ـ أعرف أنا تفاصيل الشغل إزاى دلوقتِ؟!

دون أن تنطق أخرجت من حقيبتها بعض الأوراق وناولته إياها، كانت تقارير مكتوبة جهزتها..

تصفح الأوراق وتتبعها بنظراته وهو مغتاظ من تصرفها ومعجب به بنفس الوقت..







هو عاشق رغماً عنه!.

****

منذ أن أبرمت اتفاقها مع حمزة وهي تنتظر ظهوره..

اختفى الأحمق..

تبخر كالزئبق منذ أن هرب من محبسه..

ماذا ستفعل الآن؟..

الأيام تمر ويجب عليها أن تستغل بركان حمزة الثائر قبل أن يخمد ولا تستطيع تنفيذ خطتها وحدها، خاصةً أنها لا تضمن ردة فعل حمزة عندما يعلم حقيقة نواياها، وسوف يعلم.. فقد أخبرها أنه سيرافقهم للإسطبلات ليتأكد بنفسه من إدعائها..

زفرت بضيق ونظرت للساعة فوجدتها قاربت على الثالثة صباحاً،

حاولت أن ترغم نفسها على النوم وبالفعل جافاها النوم بعد وقت ليس بقليل، ولكن طرقات ملحة على الباب أيقظتها بفزع..

إنها الرابعة فجراً ..

اقتربت بحذر من الباب، لم تصدق نفسها..

أخيراً ظهر كريم.

تهاوى على الأريكة ثم قال بصوت بائس:








. البوليس لسه مراقب البيت، خاطرت وجيت بمعجزة.

اقتربت منه ثم احتضنته بحنان وتابعت:

. وحشتني قوي.. إنت كنت فين؟

أخرج لفافة تبغ ونفثها في الهواء ثم تابع:

. عند واحد معرفة وخلاص ظبطني في اللي بتمناه.. حخلص وحيسفرني بره البلد.. حتيجي معايا؟؟

كارمن:

. أجي.. حاقعد اعمل ايه؟!

كريم:

. تمام.. يبقى حنخلص مع خالد وبعدين نخلع.

نظرت نحوه بتساؤل:

. حتعمل ايه؟

كريم:

. بوم... حخليها نار!

كارمن:

. نار!.. نار إيه؟..

كريم:









ـ حاولع في المزرعة.

****

غادر كريم، غادر بعد رتبا أركان خطتهما جيداً..

ووقع عليها الشيطان في النهاية..

تتذكر جملته الأخيرة بدقة..

"أخيراً بقيتِ مفيدة يا كارمن"

نعم..

مفيدة ولكن من أجل نفسها تلك المرة..

هو يستحق، لن تأخذها به شفقة أو رحمة..

هل رحمها هو سالفاً لترحمه الآن؟..

بماذا تهذي أيها القلب الأحمق؟..

هو غارق في ملذاته مع الطبيبة الحسناء..

وهي لم تعد من ضمن اهتمامته فقد نال ما أراد وقتما أراد، ولكن الآن حان وقت رغباتها هي..

نعم..











رغباتها هي فقط.

في الصباح استرجعت بعقلها الخطة مرة أخرى..

سيُدخلهم حمزة للمزرعة ليلاً، وسيأتي كريم بصفة البيطري لحبك روايتها التي ادعتها أمام حمزة، لن يستغرق الأمر أكثر من نصف ساعة، سيقوم كريم بتسميم كل الجياد، نفس نوعية السم التي استخدمها المدعو مجدي مع الحصان "أدهم" ولكن تلك المرة من أجل الجميع، بعدها سيبدأ هجوم من نوع آخر، عشرات الرجال الذين استأجرهم كريم سيهجمون كالتتار على الجزء الآخر من المزرعة وستأكل النار كل شيء..

ستلتهم الأخضر واليابس، محصول العام ومجهود العمر سيتلاشى في لحظات..

ابتسامة عابثة طغت على حُمرة الكرز بشفتيها..

خطة محكمة، ولكن كما سييسرها قد يكون هو العائق الوحيد..

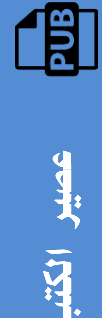
حمزة!!..

الفصل السادس والثلاثون:

أيقظها أنين متقطع..









نظرت في الساعة فوجدتها الثانية صباحاً، خرجت من غرفتها مسرعة لتجد رقية تمسك ببطنها وتتحرك حائرة بين غرفة نومها ودورة المياه..

إيناس:

- مالك يا رقية؟.. في ايه؟

رقية:

- ما فيش يا حبيبتي، ده شوية مغص.

إيناس بقلق:

- رقية.. متأكدة إنه مغص؟

رقية:

- يعني ايه؟!

إيناس:

- لحسن تكون ولادة؟

أمسكت رقية ببطنها المنتفخ مرة أخرى وهي تتمتم في قلق:

- ولادة!..

إيناس:





ـ إنتِ بقى لك حوالي عشر أيام في التاسع.. بدري شوية، بس بجد ممكن تكون ولادة..

رقية بصوت ضعيف:

ـ آآآآآآآآآآآآآآآه

إيناس:

ـ إيه؟.. الوجع زاد؟

أومأت رقية برأسها دون أن تنطق، وبدأ العرق يتسلل بخبث إلى جبهتها..

صمتت إيناس للحظات حتى تستعيد تركيزها ثم شرعت سريعاً في ارتداء ملابسها وهي تقول:

ـ أنا حالبس وأساعدك تلبسي، وكلمي بشمهندس حسن يرتب مع الدكتورة..

لازم نروح على المستشفى.

بدت ملامحها قلقة ورددت كلماتها بنبرة مرتعشة:

ـ مستشفى!

اقتربت منها إيناس وأحاطت وجهها بكفيها لتهدئتها ثم تابعت:

ـ ششششششش.. اهدي.. حنبقى ثلاثة.. هه.. ثلاثة

ابتسمت لها رقية وترقرقت العبرات بعينيها، تابعت إيناس:



ـ أنا حساعدك في اللبس وبعدين حاكلم البشمهندس.. تمام؟

أطاعت رقية إيناس وشرعت في ارتداء ملابسها، وبعد حوالي نصف ساعة كانت سيارة خالد تنطلق بهم مسرعة نحو المشفى..

حسن يجلس متوتراً بجانب صديقه، وإيناس تمسك بيد رقية وتجفف عرق ألمها الذي اشتد عليها مع مرور الوقت..

****

نظرت الطبيبة لرقية بابتسامة وتابعت:

ـ البشمهندس قلقان قوي، نزلني وش الفجر ولسه بدري.

إيناس:

ـ يعني مش حتولد دلوقتِ؟

الطبيبة:

ـ قدامنا كام ساعة.

خرجت الطبيبة من الغرفة وكان حسن بالخارج يقف متلهفاً:

ـ خير يا دكتورة؟

الطبيبة:

ـ خير يا بشمهندس.. ما تقلقش.. أنا حاستنى ثلاث ساعات، بس إذا الرحم ما فتحش زي ما قلت لك قبل كده حاولدها قيصري.

حسن:

















. يعني هي صعب تولد طبيعي؟

طبيبة:

. كله بإيد ربنا.. بس إنت عارف ظروف السن وكمان بكرية.. القيصري احتمال أقرب، لكن برده تاخد فرصتها.. عن إذنك.

ربت خالد على كتف حسن قائلاً:

. ما تقلقش.. حتقوم بالسلامة إن شاء الله.

حسن:

. أنا متشكر قوي يا خالد... تعبتك معايا وقلقت نومك، بس فعلاً ما كنتش قادر أسوق.

خالد:

. إنت بتقول إيه يا حسن!.. إنت عشرة عمر.

ابتسم حسن لصديقه وظل يراقب غرفة زوجته بقلق ويستمع لأنينها الذي زاد مع مرور الوقت..

وكما توقعت الطبيبة تم إدخال رقية لغرفة العمليات لإجراء جراحتها القيصرية..

وبقي ثلاثتهم ينتظرون خروجها..

حسن يقف منزوياً بأحد الأركان بملامح من القلق، وإيناس جالسة على أحد المقاعد بوجه شارد، وخالد يراقب كلاهما وإن كانت إيناس صاحبة النصيب الأكبر من تجسس عينيه



اقترب منها وجلس على المقعد بجانبها ثم قال لها بنبرة حانية:

ـ شكلك مجهد، أجيب لك قهوة أو شاي؟

ابتسمت بحرص، وحركت رأسها بالنفي دون أن تنظر نحوه..

لم يتحدث بعدها، أسند رأسه إلى الوراء وأغمض عينيه.

شعرت بالحرج عندما لمست من أنفاسه المنتظمة أنه غفى على المقعد المجاور لها..

بدلت مكانها وجلست في المقعد المقابل، رغماً عنها شرعت تتأمل ملامحه النائمة، بشرته الداكنة، حدة عينيه التي غلبها النوم، أنفه المستقيم، فمه القاسي..

للحظة شعرت أنها افتقدت النظر نحوه، افتقدته..

تداركت نفسها سريعاً وتحاشت النظر إليه، فآخر ما توده هو أن يضبطها متلبسة بجرم تأمله!.

****

وصل أخيراً..

مضيئاً كالبدر.. يبدو كالملاك النائم..

قبل حسن جبهته في حنان وابتسمت إيناس بدورها وتابعت:







ـ مبروك يا بشمهندس.

حسن:

ـ الله يبارك فيكِ يا دكتورة.. ها شبه مين؟

إيناس:

ـ لسه مش باين.

حسن:

ـ مش باين إزاي؟!.. ده شبهي بالمللي!

في تلك اللحظة دخل خالد للغرفة فتابع حسن بنبرة فرِحة:

ـ صح النوم.. تعال شوف خالد الصغير.

اقترب خالد منهما ونظر معهما نحو الصغير المستلقي بآمان في فراشه ثم تابع:

ـ خالد مين!.. ده حسن الصغير.. ده إستنساخ ولا إيه!

حسن:

ـ طيب ورينا شطارتك وهات لنا نسخة تانية منك.

ابتسم خالد بمكر ثم تابع:

ـ والله نفسي!

أصابها الإرتباك من نبرته، تابعت على الفور:





. هي رقية حتخرج إمتى؟

حسن:

. الدكتورة بتقول لي ربع ساعة.

وبالفعل بعدها بفترة جاءوا بـرقية التي كان وجهها شاحباً وغائبة عن وعيها، أمسك حسن بيدها في قلق فقالت الممرضة على الفور:

. ما تقلقوش.. شوية وحتفوق من البنـج.

بالفعل بدأت رقية تفيق بعد دقائق، كانت تهذي بكلمات غير مفهومة.. ظلت إيناس بجانبها، وحسن أيضاً وانسحب خالد وانتظرهم بالخارج.

أخيراً عادت للواقع..

نظرت بشوق لفراش الصغير، وقبل أن تنطق أحضرته لها إيناس وهي تقول بابتسامة:

. زي القمر.. ما شاء الله.

****

الأمومة..

تلك الغريزة الفطرية التي اختص الله عز وجل بها الأنثى، منذ نعومة أظافرها تحتضن دميتها بحنان، تعتني بها وكأنها مشروع أم صغيرة، يقال أن الأمومة من أقوى غرائز المرأة وأروعها على الإطلاق..

إحساس رائع..



قرأت عنه، تمنته..

تملك عالمها..

ولكن ما تشعر به الآن يختلف عن كل ما مرت به، عن كل ما رغبته وتصورته وتركت لخيالها العنان من أجله.

مشاعر غامضة اجتاحتها بمجرد أن احتوته بين أحضانها..

سعادة.. وخوف.. وبهجة.. ورهبة.. وسكينة.. وقلق.. ودقات قلب متسارعة..

وواقع انفصلت عنه عندما قربته من نهدها لينال رزقه الذي قسمه له الخالق عز وجل..

شعرت بضعفه.. بإحتياجه الشديد إليها.. بسكينته قُرب قلبها.. بعبق أنفاسه التي كانت أفضل من رائحة المسك والعنبر مجتمعين..

حالة غامضة من المشاعر..

عشق من نوع آخر تتهاوى أمامه أشهر أبيات الهوى وأقوى دواوين العشق..

ابتسمت برضا وأغمضت عينيها لتستمع بأول لحظات أمومتها..

****

خرجت إيناس من الغرفة وأغلقت الباب خلفها بهدوء، توجه حسن نحوها قائلاً:

ـ ناموا؟

إيناس:









. أيوة الإتنين.

حسن:

. طيب كويس.. برده رقية محتاجة ترتاح.. بجد يا جماعة أنا متشكر ليكم جداً تعبناكم معانا.

خالد:

. ما فيش تعب ولا حاجة.. هي حتخرج إمتى؟

حسن:

. علشان قيصري حتقعد في المستشفى ثلاث أيام .

انتبهت إيناس وتابعت:

. كده حتحتاج هدوم زيادة ليها وللبيبي.

حسن:

. أنا دلوقتِ حاروح أجيب لها كل اللي هي محتاجاه.

خالد:

. تروح فين؟!.. خليك جنب مراتك وابنك، أنا حاخد إيناس أرجعها المزرعة وهي حتجهز الحاجة وحابعتها لك.

حسن:





ـ مش عايزين نتعب الدكتورة أكثر من كده.

إيناس:

ـ يا بشمهندس تعب ايه بس!.. كمان رقية حاجتها وحاجة البيبي عندي.

خالد:

ـ خلاص يبقى حنمشي إحنا دلوقتِ... عايز حاجة تانية؟

حسن:

ـ سلامتك يا حبيبي.

خالد:

ـ تمام.. يلا دكتور..

توجه بعبارته نحوها وظل منتظرها فأومأت رأسها بالإيجاب وغادرت معه عائدة للمزرعة..

وكعادتهما كانت لحظات الصمت هي زاد الطريق، صمت قطعه هو بصوت هادئ قائلاً:

ـ جهزي الحاجة وأنا حابعت لهم السواق بيها على المستشفى.. قبل ما تعترضي الساعة داخلة على تسعة وإنتِ ما نمتيش من إمبارح، رجوعك مجهود على الفاضي.

كان إقتراحه هو الأكثر منطقية، خاصةً أنها بالفعل متعبة وتحتاج للنوم، وغالباً سينال حسن قسطاً من الراحة بدوره..





أومأت رأسها بالموافقة وظلت تراقب الطريق حتى وصلا، وبعد أن جهزت حقيبة الملابس وأخذها السائق تهاوت على الفراش وغطت في نوم عميق بعد لحظات..

****

نظرت كارمن نحو كريم بحدة وقالت وهي تراقب ساعتها:

. زمانه على وصول.. زي ما إتفقنا يا كريم، خد بالك من كلامك معاه مش عايزاه يشك في حاجة.

كريم:

. خلاص فاهم.. بس هو الواد ده آخره ايه؟

كارمن:

. يعني ايه؟.. مش فاهمة؟.

كريم:

. هناك يا ماما.. حيعمل ايه لما يشوفني بحط السم؟

كارمن:

. وهو حيعرف منين انه سم؟.. نبقى نقول له أي حاجة.. علاج.. تحليل إنت بتعمله.

كريم:



ـ مش حيصدق طبعاً.. عموماً الواد ده أهميته إنه يدخلنا، بس أوصل وساعتها ما فيش قوة على الأرض حتوقفني عن اللي في دماغي.

نظرت نحوه بقلق..

لا تعلم لماذا شعرت بإنقباض شديد، قررت تجاهل قلبها الأحمق وتابعت: ـ هو حيدخلنا بدري علشان ما حدش يشك، وحنستنى عنده في البيت.

كريم:

ـ كده أحسن فعلا.. هو قال لك جاي إمتى.. إتأخر.

ابتسمت بأسى:

ـ هانت يا كريم .. هانت.

****

هل حقاً الغاية تبرر الوسيلة؟..

وما هي غايته؟..

إنقاذها كما يدعي؟.. أم فقط هو يكرهه؟..

نعم..

يكرهه ويتمناه عاصياً.. مخطئاً.. مجرماً يستحق العقاب..

عبث!!..







كلما هدأ قليلاً تقفز صورة القبلة الآثمة لخياله، فتؤجج البركان بصدره من جديد..

استقرت كارمن بجانبه في السيارة، كانت متأنقة بشدة، ترتدي لونها المفضل، تبدو كشعلة نار متأججة، حمرة شفاها طاغية، زرقة عينيها مفرطة، عطرها المثير اخترق أنفاسه، زاحم الهواء للوصول إلى صدره.. إنتابه شعور خانق، هرب بأنفاسه نحو الهواء الطلق وفتح نافذة السيارة على مصراعيها لتحتل النسمات المنعشة الأجواء من جديد..

كان الآخر جالساً بالخلف، رمقه بنظره باردة وابتسامة صفراء..

وبدأت كارمن التعارف وأنهته بإقتضاب..

دكتور وائل..

المهندس حمزة..

****

فتحت عينيها وتجولت ببصرها في أنحاء الغرفة في محاولة لإستعادة ذكرى ما حدث..

ابتسمت بيأس عندما اكتشفت أن الساعة قد تعدت السابعة مساءاً، لقد غطت في سباتٍ عميق وطويل..

يا إلهي عشر ساعات!

زمت شفتيها، ستظل إذاً مستيقظة حتى الصباح..





نهضت من الفراش ثم هاتفت رقية بالمشفى للإطمئنان عليها، وبعدها قررت الإستمتاع بحمام دافئ ووجبة شهية..

كانت تعد قهوتها الساخنة عندما لمحت القمر المكتمل، تود حقاً أن تخرج للحديقة ولكن...

خالد...

خشيت أن تلتقي به مصادفة..

نظرت للساعة فوجدتها قد تعدت الحادية عشر مساءاً، ربما نام مبكراً،

نعم بالتأكيد نام، فهو لم يغفو بحماقة مثلها ومارس بعض العمل..

لقد سمعته وهو يحادث أحدهم بالهاتف عندما كانا في طريق العودة..

كان يخطط لبعض الأعمال، ربما يحتضن فراشه الآن..

بل من المؤكد..

خرجت بهدوء ونظرها يسبقها نحو حديقته، تنهدت براحة عندما إلتمست الهدوء والأضواء الخافتة، لقد صدق حدسها تلك المرة..

ليلة تبدو مميزة، قمرٌ مكتمل..

مثل تلك الليلة التي هاجمه فيها الأشقياء وكادوا أن يفتكوا به..

شعرت بإنقباض..







قلق أفسد عليها أمسيتها، خاصة أن عينيها كانت تراقب حديقته بترقب خوفاً من أن يباغتها بحضوره كما جرت العادة..

تذكرت أول مرة رأته..

ابتسمت ساخرة عندما أيقنت أنها ترتدي نفس الثوب الذي كانت ترتديه ليلتها!!..

تذكرت أيضاً ليلة أخرى..

عندما غاصت دون وعي ببحر نظراته وبادلته قول البصر لدقائق..

ذكرى إرتباكها وهروبها بتلك الليلة تزامنت مع رؤيتها لكوب قهوتها المفقود على طاولة حديقته، إرتجفت شفتاها عندما ميزت كوبها المفضل وأيقنت أنه احتفظ به..

بدت ملامحها منقبضة..

عيناها مغمضة..

لماذا تفعل بي ذلك؟..

هذا يفوق إحتمالي... يفوق إحتمالي..

****

نظر حمزة نحو كريم بريبة وبدأ الحديث قائلاً:







. إنت تعرف كارمن من زمان؟

ابتسم كريم ببرود ثم وضع لفافة التبغ بفمه دون إكتراث وظل يبحث بيأس بين جيوبه عن قداحته، فوجئ بيد حمزة أمام فمه وبها ثقاب مشتعل..

أشعل لفافته ونفث دخانها بابتسامة ماكرة ثم تابع:

. إنت بتدخن؟

حمزة:

. مبطل بقى لي سنتين، بس إتعودت يبقى معايا كبريت.

كريم:

. ده من حظي.

حمزة:

. ما قولتليش تعرف كارمن منين؟

. وائل يبقى جاري في العمارة.

قالتها كارمن بنبرة صارمة وهي تتوجه نحوهما بعد تركها لهما لدقائق لتجلس منفردة بالشرفة..

ابتسمت بإقتضاب وتابعت:

. ومشكور قرر يساعدني.

صمت حمزة قليلاً ثم باغت كريم بتساؤل آخر:









ـ وتفتكر يا دكتور ليه خالد ممكن يعمل كده؟.. يغش ويزور في السلالة!..

شيء غريب!

تابع كريم بثقة:

ـ الفلوس.. هو في سبب غيرها!

حمزة:

ـ بس خالد إبن ناس ومش فقير.

كريم:

ـ كلنا ولاد ناس.. وبعدين عادي أغلب الحرامية أغنياء!

لم تكن كارمن مطمئنة للحوار قاطعتهما بثقة مصطنعة:

ـ حمزة.. الساعة عدت ١٢ دلوقتِ.. نتحرك؟

حمزة:

ـ لا حنستنى ساعتين كمان أضمن.

كريم:

ـ إيه يا كارمن.. إنتِ نسيتِ ولا إيه؟.. إتفاقنا مع البشمهندس على الساعة ٣ الفجر، وأنا شايف إن الوقت ده مناسب جداً.

كان كريم يتحدث ويوجه لها نظرة ذات مغزى، استدركت معناها عندما تذكرت الجزء الثاني من الخطة ورجال كريم الذي رتب معهم موعد الهجوم ليكون في الثالثة والنصف صباحاً..








التوقيت مهم للغاية قرأتها في عيونه دون أن يتحدث..

تابعت بنبرة ماكرة:

. عندك حق يا وائل.. أنا مش عايزة حد يعرف إنك ساعدتني يا حمزة ومش حاستحمل إن خالد يؤذيك.

غضب حمزة من جملتها الأخيرة وتابع:

. أنا مش خايف من خالد يا كارمن، الحكاية كلها إن كلامك خطير ولازم أتأكد منه، ودي الطريقة الوحيدة للأسف.. عموماً ٢ أو ٣ مش فارقة.. وقت ما تعوزوا حنتحرك

تركهما وتوجه للشرفة..

كان يشعر من داخله أنه يرتكب خطأ جسيم، خيانة..

لطالما كره الميكافيلية بكل أشكالها وصورها..

ولكن ماذا لو كانت محقة؟..

ألم تكن محقة من قبل وكان هو الأحمق؟!..

كان عليه أن يتأكد..

كان بحاجة لصورة مكتملة وهذا هو السبيل الوحيد.

****

ظلمة الليل قاربت على الإنقشاع.. مثل ظلمة عقله..



انطلقت السيارة بثلاثتهم نحو الإسطبلات..

نحو الحقيقة..

نحو النهاية كما يرسمها عقل كل منهم..

كلٌ على هواه..

ترجل حمزة من السيارة ليجد كريم قد سبقهما وتوجه مسرعاً بحماس نحو مدخل الإسطبلات..

دخل كريم أولهم وخلفه كارمن وحمزة..

كارمن:

. الدنيا ضلمة قوي.

حمزة:

. النور من هنا.

أشعل حمزة الأضواء...

كريم:

. أيوه كده.. الله ينور يا بشمهندس.

حمزة:

. التزوير ده حتكتشفه بالنظر عادي؟

لم يعره كريم إنتباهاً وتوجه بعزم نحو أحواض المياه وبدأ بإفراغ مادة بيضاء





بداخل الأحواض، ثم بدأ يحث بعض الخيل على الخروج للشرب ويملأ السطول أمام البعض الآخر..

ما يفعله لجّم حمزة لدقائق ثم إستدرك نفسه وتابع بصوت زاعق:

. إنت بتعمل إيه؟

ردت كارمن مسرعة:

. إستنى بس يا حمزة.. ده شغله وهو فاهم يعمل ايه.

حمزة بدهشة ممزوجة بالغضب:

. شغل إيه!.. وقف عندك ورد عليا.

رمقه كريم بنظره مخيفة وتابعت كارمن وهي تجذبه من ذراعه للخارج: . طيب تعال بس وأنا حافهمك..

تخلص حمزة من قبضتها بغضب ثم توجه نحو كريم يحدثه بغضب:

. إنت يا بني آدم رد عليا.. إيه اللي حطيته في المية ده؟... هششششش... هشششششش..

كان يبعد الخيول بعزيمة كي لا تقترب من المياه..

نظر نحوه كريم بحدة ثم باغته بدفعة قوية أسقطت حمزة أرضاً بجانب كومة من العلف، ثم تحركت شفتاه بشراسة كشفت عن قبح أسنانه الصفراء: . بقول لك ايه يا شاطر.. أنا مش ناقص عيل خرع زيك يبوظ اللي في دماغي!

قال جملته ثم صوب مسدس أخرجه من طيات ملابسه نحو حمزة في تهديد







صريح..

شهقت كارمن بفزع:

- كريم.. لأ..

كريم:

- خليه يتلم، لسه ناقص إسطبلين.

نظر حمزة نحوه بصدمة:

- كريم!!

كانت نظراته موجهة نحو كارمن بذهول.. بغضب.. بإزدراء..

انفجرت بحنق صارخة:

- أيوه كريم.. أخويا.. اللي إتسجن بسبب خالد.. فوق بقى.. كله بسبب خالد.. وإنت فقدت حبيبتك بسبب خالد.. آن الآوان يدفع الثمن.. كله حيضيع.. الخيل حتموت.. والمزرعة حتولع نار.. وريّح نفسك.. ما فيش في إيدك حاجة تعملها.

شعر وكأنه سقط ببئر عميق بجوف الأرض.. وكأنه سقوط بلا رجعة.. أعاده صوت كريم للواقع وهو يقول لها:

- ما فيش وقت.. شوفي حبل أكتفه بيه.. الرجالة خلاص حتهجم كمان تلت ساعة ولسه بقية الخيل..





مرت دقيقة وهي تبحث عن قيد وفوهة السلاح متجهه نحوه وكريم سيطلقها دون تردد لو تقدم خطوة واحدة..

يتحدثون عن رجال.. حريق..

تذكر يوسف.. نيرمين.. عمر.. رقية.. حسن.. إيناس

اعتصر عقله بيأس..

هم على بُعد دقائق من الفزع.. الذعر.. الهروب العشوائي..

لمعت عيناه..

لمح كريم ابتسامة عابثة ارتسمت على ثغره..

ما بُني على خطأ فهو خطأ..

ولا سبيل للصواب مع هذا الخطأ..

خطأ أخير عليه أن يرتكبه ليصلح كل ما فات..

أشكرك كريم..

دون أن تدري قدمت لي الحل على طبقٍ ذهبي متوهج...

النار!!

قبل أن تختفي ابتسامته العابثة من على وجهه وقبل أن يوقن كريم سببها..

أسقط حمزة عود ثقاب مشتعل على كومة العلف بجانبه، ربما هو لا يفقه شيئاً





عن الجياد، ولكنه يعلم جيداً عن خوف الحيوان من النار.

تسمر كريم مكانه وهو يراقب شعلة اللهب التي كانت تتحول بفعل العلف والأخشاب بالإسطبل لحريق هائل فزعت منه الخيل وهمت بالهروب غير عابئة بماءٍ ولا طعام..

غيظ وغل شديد إجتاحه، وجّه سلاحه بغضب نحو حمزة، ولكن في خضم الفوضى وعشوائية الجياد استطاع حمزة أن يقذف بنفسه خارج الإسطبل دون أن تصيبه رصاصة كريم..

كارمن أيضاً أصيبت بحالة من الذهول وعندما استدركت ما يحدث وحاولت الهروب إصطدم رأسها وفقدت الوعي، وإنشغل كريم بسحب جسدها من جحيم النيران وثورة القطيع الهائج..

وفي النهاية استطاع حمزة تحرير باقي الجياد من باقي الإسطبلات ودفعهم للهروب قبل أن يصل إليهم كريم، وساعدته النيران التي إلتهمت الإسطبل الأول فأطلقت الحيوانات سيقانها للريح فزعاً من اللهيب..

ومثلها إنطلق بدوره مسرعاً بسيارته نحو الجزء الآخر من المزرعة لتنبيه الجميع، يد تحرك المقود بإرتباك ويد تهاتف الشرطة في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه..

نظر كريم حوله في غضب فلم يجد غير عفر حوافر الخيل الجامحة، صرخ بغيظ وأقسم بقتله، سيزهق روحه حتماً دون تردد..



****

كانت إيناس تعلم أنها لن تستطيع النوم حتى الصباح..

جلست أمام التلفاز رغبةً في تشتيت أفكارها ولكن دون جدوى..

ما زالت متخبطة بشأن مشاعرها ومشاعره أيضاً..

الساعة تعدت الثالثة فجراً، قررت إرغام نفسها على النوم ولكن صوت غريب أفزعها..

يبدو كصهيل، لا بل ركض، وكأنه قطيع هائج على وشك إقتحام المكان..

خرجت مسرعة دون تفكير وأهالها ما رأت...

قطيع ثائر من الجياد يركض بذعر، قبل أن توقن أنهم يتقدمون نحوها جذبتها قبضتيه ليسقط كلاهما أرضاً بعيداً عن طريق القطيع الهائج..

اختفى الصوت..

نظر خالد حوله في ذهول ثم بقلق:

. إنتِ كويسة؟

خرج صوتها مرتعشاً:

. هو إيه اللي حصل؟

ضرب الأرض بكفه..






هو لا يعلم ماذا حدث..

لا يعلم شيئاً..

لقد سمع الصوت بدوره مثلها وخرج مذعوراً ليجدها تقف بطريق الجياد الجامحة، دفعها ودفع نفسه بعيداً عن القطيع قبل أن يُدهس كلاهما.. صراخها قطع أفكاره..

أشارت بذعر نحو وهج بعيد وهي تقول:

ـ حريق!!

لا يدري ماذا أصابه!!

كان جامداً كالصنم، استدرك نفسه عندما سمعها تقول بذعر:

ـ سهيلة.. سهيلة مش حتقدر تجري.. رعد..

قبل أن تكمل جملتها هرع كلاهما للسيارة وانطلق خالد بسرعة البرق نحو الإسطبلات..

****

نظر كريم لكارمن الفاقدة للوعي بغيظ وبدأ يحرك وجهها بغرض إفاقتها قائلاً:

ـ كارمن.. فوقي.. فوقي بقى.. يا ريتني ما سمعت كلامك.. الغبي بتاعك بوظ الدنيا.

أخرج هاتفه بغيظ وتحدث لأحدهم:







ـ إنتم فين؟.. ٥ دقائق!!.. إنجز ما فيش وقت.. عايزها نار.

زفر بغضب وعاد يحركها بعنف أقوى ولكن لفت إنتباهه ضوء سيارة قادمة..

سحبها وانزوى بعيداً ليرقب القادم..

عندها عادت ابتسامته..

إنه خالد.

كانت إيناس تضع يدها على صدرها لتهدئ من دقات قلبها المضطربة،

مضطربة كأنفاسه،

أنفاسه اللاهثة كلغو عقله،

عقله الذي كاد يفقده..

كما اختفت الدماء من عروقه المتصلبة..

ارتخت قبضته المتشبثة بالمقود عندما وصلا، هتفت إيناس بأمل:

ـ الإسطبل اللي فيه سهيلة ورعد سليم..

هرعت للداخل وهو خلفها ولكن بعد أن رمق الإسطبل الآخر أو ربما بقاياه بغيظ..

دخلت إيناس لتجد الفرسة المسكينة منزوية بأحد الأركان..

كان جلياً أنها لم تقوى على الركض..

والأسوأ رعد، الحصان المسكين كان يتحرك بفزع.. بذعر.. يتخبط بكل شيء..



اقترب خالد سريعاً من رعد وشد لجامه وهمس بأذنه لتهدئته على الرغم من إضطرابه الشديد ثم سحبه للخارج، وسحبت هي سهيلة بدورها وقبل أن يفكر أحدهما بالخطوة التالية وجداه بإنتظارهما وعلى ثغره ابتسامة بائسة..

بدت أعين خالد لامعة من الغيظ عندما رآه، قال بحنق:

. كريم!

رد كريم بنبرة باردة:

. حيكون مين غيري؟!

خالد وقد بدا غيظه جلياً:

. آه يا كلب يا...

خطا خالد نحوه للكمه ولكن إستوقفه كريم بعد أن أشهر سلاحه بوجهه قائلاً:

. عندك..

خالد:

. بتتحامى في مسدس يا ابن مختار؟

كريم:

. ما تستفزنيش.. أنا مش عايز أموتك.. أنا عايز أشوف الحسرة في عينيك بعد ما أضيع منك كل حاجة!







نظر خالد نحوه بتساؤل.. بذعر..

تابع كريم بنبرة المنتصر:

ـ دلوقتِ الرجالة بتوعي حيخلصوا.. النار حتاكل كل حاجة.. محصولك.. أرضك.. وكمان الخيل بتاعتك اللي طلعت تجري.

تمكن الغيظ من خالد ولم يبالِ بسلاح كريم، تقدم نحوه بغضب وهو يسبه، ولكن كريم أطلق رصاصة بجانب قدميه لإفزاعه وتابع:

ـ عندك.. المرة الجاية حتكون في قلب الحصان بتاعك.

قال جملته ببأس وتوجه ببصره نحو رعد الذي تملك منه الذعر من صوت الرصاص..

شهقت إيناس بفزع بدورها، كانت تراقب ما يحدث بقلب مضطرب كاد أن يتوقف عندما أطلق كريم رصاصته..

رمقها كريم بنظرة باردة وتابع:

ـ وحضرتك تبع مين بقى؟

أجاب خالد بحنق:

ـ مالكش دعوة بيها.

كريم:





ـ أدينا بنتسلى على بال ما مزرعتك تتحرق!.. حد يلاقي حاجة حلوة كده وميتسلاش؟!

كانت نظرته الثانية نحوها دنيئة.. وقحة..

أغضبت خالد بشدة وتقدم لتحطيم فكه غير مبالي، ولكن صراخ إيناس خوفاً عليه شتت إنتباهه..

وعندها أطلق كريم رصاصة أخرى في الهواء أفزعت رعد المسكين، وقبل أن يعي خالد ما يحدث وقبل أن يفرغ كريم من تهديده الجائر بأن رصاصته القادمة حتماً ستكون بقلب جواده الأسود، كانت أقدام رعد بصدر كريم ووجهه تركل في فزع.. ذعر..

ليسقط بعدها كريم صريعاً تحت حوافر الجواد الثائر..

صرخت إيناس من هول ما رأت، وسحب خالد رعد بعيداً عن جثة كريم وملامح الصدمة بادية على وجهه..

حالة من الذهول اجتاحت كلاهما..

سكون قطعه صراخ كارمن التي كانت تتقدم بإرتجاف نحو جثة أخيها وهي تصرخ:

ـ كريييييييم..

****

كانت كارمن قد استعادت وعيها ببطء على صوت أول رصاصة..





من بعيد رأت خيال أشخاص، وقبل أن تستدرك ما يحدث رأت الجواد وهو يقفز على كريم ليقضي عليه في لحظات وخالد يراقبه.

نظرت نحو خالد بحنق وتابعت بنبرة مضطربة:

ـ ليه؟.. ليه؟

خالد:

ـ ليه!!

كارمن:

ـ حتى كريم ضيعته مني.. ضيعتني.. وبابا مات زعلان مني.. ودلوقتِ قتلت كريم.

لم يجبها خالد كان ينظر نحوها في ذهول.. غضب.. غيظ.. شفقة لمشاهدتها تلك النهاية البشعة لكريم..

أجاب بإقتضاب:

ـ أنا ما قتلتوش.

ردت صارخة:

ـ لأ.. قتلته.. سلطت عليه حصانك.. إنت شيطان.. فاهم شيطان..

خالد بغضب:

ـ أنا شيطان!!.. وإنتم إيه ملايكة؟!.. كنتم جايين ليه يا كارمن؟.. إنطقي..

كارمن بيأس:







. جايين نحاسبك يا خالد.

خالد:

. تحاسبوني؟!..

تابعت بنبرة حاقدة:

. أيوه.. حسابك كان تقل قوي.. خدعتني.. سجنت كريم.. موتت بابا بحسرته..

خالد:

. أنا رجعت حقي.. اللي سرقه أبوكِ.

كارمن:

. إنت أخذت دور القاضي والجلاد.. حكمت ونفذت الحكم.. ودلوقتِ جه وقت الحكم عليك.

قالت جملتها بعد أن سحبت سلاح كريم وأشهرته في وجهه..

بدا خالد صامداً ولكن خلف صموده رجفة إجتاحت كل جسده..

كارمن تبدو محطمة الأعصاب.. منهارة.. قنبلة على وشك الإنفجار.. يبدو أنها النهاية..

نظر نحو إيناس التي كانت تراقبه بعيون متحجرة العبرات..

أغمض عينيه ليكون شعاع العسل آخر ما إلتقاه بصره..

وانطلقت الشظية..







لم يشعر بألم..

أهذا هو الموت؟..

لا..

بل ثقل..

جسد يتهاوى بين ذراعيه..

عطر البندق اخترق أنفاسه..

لااااااا..

أبصرها في هلع وهي تسقط على صدره مضرجة بدمائها..

صاحبة جدائل البندق..

الفصل السابع والثلاثون:

الأسطورة تقول أن وردة الحب الحمراء هي في الأصل وردة بيضاء.. تتحدث الأسطورة عن طائر صغير، ضحي بحياته من أجل معنى العشق، لون بدماءه الوردة البيضاء من أجل من يحب، لتصبح في النهاية وردة حمراء..

رمزاً للعشق.. للشغف.. للتضحية.











ذكرى..

ستفقده مرة أخرى..

ستمر بذلك من جديد..

ذكرى أخرى..

هل حقاً سيرحل خالد عن عالمها؟..

لا..

لن تحتمل..

الموت أفضل..

أرحم..

ودون ترتيب.. دون تردد ركضت نحوه..

في اللحظة المناسبة تلقتها بدلاً عنه..

ربما..

لا تدري!!..









فقد بدا العالم مشوشاً بعد ذلك، ولكنها كانت تشعر بأنفاسه الحارة تلفح وجهها..

بذراعيه اللذان أحاطا جسدها بشغف..

بحشرجة صوته وهو يصرخ بإسمها..

وبعدها لم تشعر بشيء..

هو لم يشعر بألم..

أهذا هو الموت؟.

لا..

بل ثقل..

جسد يتهاوى بين ذراعيه..

عطر البندق اخترق أنفاسه..

لاااا..

أبصرها في هلع وهي تسقط على صدره مضرجة بدمائها..

صاحبة جدائل البندق..

. إيناس!!

خرجت نبرته هامسة.. خائفة.. متشككة..








شك أتبعه يقين صارخ:

- إينااااااااااااس..

أبصر الوضع حوله في ذهول..

كارمن مغمضة العينين.. مرتجفة..

فوهة سلاحها الآثم ما زالت مسلطة نحوهما..

هي مدماة بين ذراعيه.. أبصر دمائها على قبضته..

أدارها نحوه.. ضمها لصدره هاتفاً بإسمها علها تجيب..

لاااااااا..

إنها تُغمض عينيها..

يخمد شعاع العسل بين ذراعيه..

لا.. لا تتركيني..

عبرة سقطت من عينيه..

منذ سنوات لم يتذوق طعم العبرات، إنها مالحة كماضيه البائس..

لا...

لن يبكي، هو لا يستسيغ تلك العبرات..



إيناس حية..

نعم حية لم تمت..

يشعر بنبضات قلبها النازف في صدره..

ما بال العالم ظلاماً!!..

شعر وكأنه لا يبصر شيء..

ولكن هناك خطوات.. همهمات..

ضجيج..

نعم ضجيج..

استدرك الواقع أخيراً..

صرخ بالجمع الذي اقترب منه في هلع..

ـ دسوقي... على العربية بسرعة.. بسرعة.. مستشفى بسرعة..

****

أيقظهم صوت الرصاص..

دسوقي كان أول من هرع للخارج فمقر سكنه هو وبقية العمال يقع خلف الإسطبلات..

وصلوا بعد ١٠ دقائق من الركض وهالهم ما رأوا..






خالد بوجه شاحب وإيناس مصابة بين ذراعيه..

امرأة صهباء بأيدٍ مرتعشة تبكي بهيستريا..

هرع دسوقي لسيارة خالد عندما إستدرك ما يقول، وخالد خلفه يحمل أيناس بين ذراعيه وكارمن جاثية على الرمال لا تصدق ما حدث..

- بسرعة يا دسوقي.. بسرعة..

كان صوته صارخاً، مذعوراً..

كانت بين ذراعيه في مقعد السيارة الخلفي، دماءها على صدره..

كم اشتاق لضمها، لعطر جدائلها البندقية..

والآن هي في أحضانه، ولكن.. دون عطر البندق.. دون ضوء العسل..

نبضاتها تخفت.. تهرب..

صرخ مرة أخرى:

- بسرررررررررررعة....

بعد حوالي عشر دقائق وصل دسوقي بالسيارة لأقرب مشفى..

دخل كالمجنون يحملها بين يديه، وضعوها على أحد الأسرة..

نبرة الطبيب كانت باردة.. حمقاء:





. دي خلاص يا أستاذ.. دي ميتة

قفز كالفهد وأمسك برقبته وهو يصرخ بغضب:

. ما ماتتش.. قلبها بيدق أنا حاسس بيه.. إيناس ما ماتتش إنت فاهم..

هرع طبيب آخر نحو غرفة الطوارئ على صوت صراخه ووضع يده على رقبتها..

صرخ على الفور:

. في نبض.. عمليات بسرعة..

تهاوى على الأرض جالساً وراقبها بقلب منتفض وهي ترحل مع ذوات المعاطف البيضاء..

****

. إيه!.. حمزة.. إنت بتقول ايه؟!

كانت كلمات حمزة صادمة بالنسبة ليوسف الذي استيقظ على مكالمته المزعجة، كلماته المبعثرة، عباراته الغامضة..

يتحدث عن حريق.. سُم.. خديعة.. هجوم وشيك..

تابع يوسف:

. ممكن تهدى.. أنا مش فاهم منك حاجة.

عبارته التالية كانت صارخة.. جامحة.. سمعتها نرمين بوضوح وهي بجوار زوجها، فاحتضت وليدها في جزع..

حمزة:





ـ مش مهم تفهم.. بقول لك في ناس حتهجم على المزرعة حالاً.. بلطجية.. حيحرقوا كل حاجة.. جمع كل الرجالة، مهندسين وعمال.. ما فيش وقت.

أغلق حمزة الهاتف وضغط بعزم على الوقود ليلتهم الطريق بسرعة جنونية..

قبض على المقود بغيظ..

افتعلت حريق وسأمنع الآخر..

نعم سأمنعه..

سندافع عن حلمنا لآخر نفس..

المزرعة ليست حلم خالد فقط، بل هي واقعنا جميعاً..

ولن يسرقه الحقد من جوانب دنيانا..

وصل حمزة وكان الجو يبدو هادئاً!!..

لمح يوسف ومعه جمع ليس بقليل وقبل أن يقترب منهم، أهالهم جميعاً صوت اصطدام قوي..

وقبل أن يعوا ما يحدث أبصروا اقتحام تتاري..

دراجات نارية.. سيارات جامحة اقتحمت البوابة..

وعندها بدأت المعركة..

أبيض وأسود..













هجوم ودفاع..

حق وباطل ..

صون الأرض وبطش المال..

صفوة وغوغاء..

بالطبع كان للغوغاء الكلمة العُليا فهم مدربين على الفوضى..

هي حرفتهم.. مصدر رزقهم..

لم يصدق حمزة نفسه عندما لمح شعلة اللهيب وهي تقتحم أول حقل.. المحصول..

مجهود شهور سيتناثر أمامهم في ثوانٍ معدودة، وبعدها ستلتهم النيران كدّ السنوات..

مشاعر حمزة لم تكن خاصة بل كانت عامة..

تأججت لدى يوسف..

واشتعلت داخل حسام..

وتمكنت من محمد..

مشاعر من الغضب إجتاحت الجميع..








فوطنهم الصغير سيتلاشى في دقائق..

عندها فقط أصبح الغضب الجامح هو صاحب اليد العليا..

وتبدلت الأدوار..

وارتبك الأشقياء.. تفرقوا.. تبعثروا دون خطة..

وانخمدت النيران قبل أن تلتهم باقي وطنهم..

تكاتفوا جميعاً على قلب رجل واحد كان يصرخ بهم بكل عزيمة..

رجلٌ كان صاحب النصيب الأكبر من الشجاعة.. الجسارة.. الجراح.. حمزة..

سقط في النهاية وسط فوضى فرار الغوغاء.. ووصول الشرطة..

وصراخ يوسف...

إسعاااااااااااف.

****

قابعٌ بمكانه وحيداً، بين جدران بائسة ورائحةٌ خانقة، لا يعلم كم مر من الوقت، وكأنها بالداخل منذ دهر..

صورتها تتراقص بخياله طوال الوقت..

رآها وهي نائمة بسلام بفستانها الأزرق بالحديقة، كانت تلك المرة أول لقاء له مع عطر البندق..









قطب جبينه عندما تذكر أنها ترتدي نفس الثوب..

لاااااااا...

لن يكون آخر لقاء..

اعتصر جبهته بعنف ليطرد هذا الهاجس المخيف..

ذكرى أخرى..

أجمل..

عندما أنقذها من بطش رعد الثائر..

تذكر ثورته..

بكاءها.. أهدابها المبللة التي أيقظت قلبه من سبات الجفاء والقسوة..

بل تذكر أول لمسة يدٍ إختلسها منها بفضل رعد..

تذكر رجفة جسده التي تجاهلها عقله البائس..

تذكر صورتها وهي معصوبة العينين أمام رعد..

بكاءها.. شفتيها القرمزيتين اللتين تلقتا هجومه الباغِ..

رغبته الجامحة في عقابها..





إمتلاكها.. عشقها..

العشق الذي انتظره ليلومها..

لتنفجر هواجسه الحمقاء بعد ذلك وتفرغ مكنون الشك والحماقة والرغبة..

نعم..

منذ أول لقاء وهو ينتظر ضعفها..

رغبتها الملفوفة بعناية بأوراق العشق المحظور..

أرادها رمزاً للوفاء ورغبها بين ذراعيه..

كان عشقه منقوصاً.. أحمقاً .. مضطرباً..

الآن فقط اكتمل على يديها..

الآن فقط يعلم معنى العشق الحقيقي..

هي من علمته معنى العشق، هي وليس سواها..

إيناس...

إيناس..

صدى اسمها يتردد داخل عقله بتتابُع..

تتابُع قطعه صوت دسوقي الغليظ:







ـ يا بشمهندس..

رمقه خالد بنظرة غامضة، وكأنه يتذكره

فقد نسي وجوده كما نسي بشأن المزرعة..

كارمن.. الهجوم..

تابع دسوقي بإرتباك:

ـ يا بشمهندس.. الرجالة كلموني من المزرعة.. بيقولوا بلطجية هجموا عليها وكانوا عايزين يولعوا في كل حاجة بس ما لحقوش يا باشا.. آه والله البوليس جه..

خالد:

ـ بوليس!

دسوقي:

ـ آه البوليس.. وقبض عليهم بس مش كلهم.

خالد:

ـ مين بلغ البوليس؟

دسوقي:





ـ بيقولوا المهندس حمزة.. بيقولوا كمان إنه إتصاب والإسعاف جايباه على هنا دلوقتِ.

خالد:

ـ حمزة!!..

كانت ملامحه ما زالت غائبة، ضائعة بين الواقع والخيال..

تابع دسوقي:

ـ خالد بيه.. حنعمل ايه في الست اللي هناك؟.. الرجالة محتارين وهي متسمرة مكانها من ساعتها ما تحركتش!.

كارمن!!..

عاد للواقع، نظر لدسوقي بحدة وتابع بحنق:

ـ اخفيها.. اوعي تسلمها للبوليس.. كلم حسن.. خليه يتصرف معاها لغاية ما أفوق لها.

دسوقي:

ـ أمرك.

أغمض عينيه، عقله مضطرب، غارق في الفوضى، رغبات مختلطة.

بين عشق وانتقام وشفقة.. وبغضاء.. ووعيد..

لا..





هي رغبة واحدة فقط تمتلكه الآن..

نجاتها..

النجاة التي بدت أملاً بعيداً عندما لمح وجه الطبيب الشاحب، خانته قوة قدماه، لم يستطيع النهوض..

نظر نحوه الطبيب برأفة وقال دون مقدمات:

. الرصاصة كانت قريبة من القلب.. إحنا خرجناها لكن حالتها لسه مش مستقرة.. ادعي لها.. هي في العناية المركزة دلوقتِ.

نهض خالد وتابع بنبرة مرتجفة:

. هي عايشة؟.. إيناس عايشة صح؟

الطبيب:

. الساعات الجاية بس يمروا بسلام.. ادعي لها.

رد خالد بنبرة صارمة:

. أنا عايز أشوفها.

الطبيب:

. ما ينفعش.. ممنوع.

خالد:









. أرجوك..

رق الطبيب لحاله..

تابع قائلاً:

. غادة..

الممرضة:

. أيوه يا دكتور؟

الطبيب:

. دخلي الأستاذ.. هما ١٠ دقائق.

خالد:

. متشكر..

وتبع خالد الممرضة بقلب مرتجف.. خائف.. سعيد..

مواقف عديدة نشعر أننا مررنا بها من قبل لكن بالنسبة لها لم يكن مجرد شعور..

الأسِرَة البيضاء..

صافرة قياس نبضات القلب..

قلبها؟.. أم قلبه؟..

رؤيا..







شريف يبتسم لها من بعيد.. يلوح لها مودعاً..

وهي تبحث بعيون زائغة عنه.. تخشى رحيله مع شريف..

شعرت بقبضته تحيط بأناملها..

خالد..

أين أنت؟..

أفلتتها قبضته..

لا..

لا ترحل..

كانت تناديه بيأس..

خـــــــالد.

****

معشوقته..

تبدو جميلة رغم شحوبها، رغم الأسلاك الملتصقة بجسدها الضعيف.. جلس بجانب فراشها..

احتضن يدها الصغيرة بكفه القوي، هرب صوته وضاعت كلماته ومرت الدقائق مسرعة كالبرق..







جاءه صوت الممرضة الرقيق:

. يا أستاذ؟

رد بعفوية:

. إيناس!

ابتسمت الفتاة بآسى:

. ربنا يقومها بالسلامة.

خالد:

. أرجوكِ.. ٥ دقائق كمان.

رقت الفتاة لحالة، تركته..

نظر خالد نحوها بتمعن..

خصلات البندق مختفية تحت غطاء بلاستيكي قبيح، عيناها مغمضة، شفتاها القرمزيتان طالهما الشحوب..

تابع بصوت ضعيف بكلمة واحدة لم يقل غيرها:

. بحبك.

عادت الممرضة، نظرت نحوه بتأثر ووضعت شيئاً صغيراً بين يديه،

نظر لها قائلاً:











ـ إيه ده؟

ردت بابتسامة:

ـ ده مصحف.. وقال ربكم إدعوني أستجيب لكم.. إدعي لها.. ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

ألا بذكر الله تطمئن القلوب..

اخترقته جملتها كسهم نافذ..

تذكر إيناس، تذكر ليلة قمر مكتمل..

عندما تمت مهاجمته، كانت شفتيها ترتجف، لا بل كانت تتمتم بكلمات غير مسموعة..

سألها ليلتها:

ـ إنتِ.. بتقولي إيه؟

وأجابته بدهشة وبصوت مرتجف:

ـ إيه!!

أعاد سؤاله :

ـ بتقولي.. إيه؟

ردت ببساطة:











ـ بقول أسترها يا رب.

رفع المصحف بارتعاش، قرأ بصوت مرتعش..

بسم الله الرحمن الرحيم

"وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين"

ظل يرددها..

"لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"

كان قلبه ينطقها قبل لسانه..

يا رب..

ذِكر الرحمن الذي غاب عن قلبه لسنوات عجاف، سنوات لم تحمل سوى الغضب.. الإنتقام.. الكيد..

ظل يقرأ ويقرأ دون توقف..

يدعو برجاء..

يراقب غرفتها بأمل..

غفا رغماً عنه..

أيقظته غادة الممرضة الشابة بحنان:













- يا أستاذ.. يا أستاذ..

فتح عينيه.. نظر نحوها في ترقب..

ابتسمت لتبدد قلقه وبنبرة هادئة زفت بشراها:

- المدام خرجت من العناية.

****

كانت جالسة على أرضية الغرفة.. زرقة عيناها باهتة..

تبدو كمياه راكدة بلا حياة..

كانت غائبة عن الواقع تسبح بعالم آخر افتراضي..

عالم جميل ارتوت فيه من حنان أمها المفقود، بل غفت في أحضان أبيها في طفولتها الغائبة..

وارتشفت جرعات العشق من خالد دون رياء..

عالم تلمست به حقيقة العشق وليس زيفه..

نظر نحوها حسن بصدمة وتابع:

- قول تاني يا دسوقي كده؟.. أنا مش فاهم!

دسوقي:

- ومين فاهم يا بشمهندس!.. إحنا صحينا مفزوعين على صوت الرصاص، وبعدها لقيناها ماسكة السلاح والدكتورة غرقانة في دمها، وجريت بيها أنا



وبشمهندس خالد على المستشفى.

اقترب حسن منها في حرص..

نظرت نحوه في فزع وعندما تعرفت عليه..

عندما تداركت الواقع مرة أخرى.. ظلت تصرخ بذعر حتى غابت عن الوعي..

هتف حسن بدسوقي:

ـ دي لازم تروح مستشفى حالاً.. لازم.

****

دلف لغرفتها بحرص..

كانت ما زالت فاقدة للوعي، نظر للطبيب بحيرة..

تابع الطبيب:

ـ ما تقلقش.. إحنا عدينا مرحلة الخطر، ومنتظرينها تفوق.

تركه الطبيب معها، جلس بجانب فراشها..

احتضن أناملها برفق ثم طبع عليهم قبلة دافئة تبعها بهمس رقيق من ثغره الباسم...

"حبيبتي"

عاد مرة أخرى لتلاوة آيات الرحمن..



همهمات خُشوعه كانت تشدو بجانبها..

آه من تلك البندقية!!..

عبثت بقسوة عالمه فتأرجح بمجون..

أصبح شاعراً..

وأمسى ناسكاً..

لفصل الثامن والثلاثون:

نظر عبد الرحمن لزوجته بضيق ثم تابع:

- يا ثريا.. اهدي شوية.

ردت ثريا بحدة:

- أهدى!. بقول لك البنت تليفونها ما بيردش من الصبح، ولا حتى مدام رقية..

أنا قلبي مش مطمن.. قلبي مش مطمن يا عبد الرحمن.

عبد الرحمن:









. أستغفر الله العظيم يا رب!

ثريا:

. بقولك ايه.. إنت مش معاك نمرة دكتور علي؟

عبد الرحمن بدهشة:

. أيوة معايا.

تابعت ثريا بلهفة:

. خلاص كلمه.. أكيد معاه نمرة جوز أخته، مش هو المسؤول هناك؟

عبد الرحمن:

. أيوة صحيح المهندس حسن..

أحضر عبد الرحمن جواله وبدأ يبحث عن رقم الطبيب حتى وجده..

كانت نبرته قلقة:

. آلو.. دكتور علي.. أنا عبد الرحمن والد الدكتورة إيناس.. الله يخليك.. أنا بس كنت باستأذنك في نمرة المهندس حسن.. أيوة المهندس حسن.. أصل إيناس مش بترد، شكل الموبايل فيه مشكلة.. أيوة.. صحيح.. آه تلاقيها اتشغلت معاها بقى.. الرقم.. أيوة أنا مع حضرتك.. ٠١٠.. متشكر.. أشكرك يا دكتور.

ثريا:





- إيه.. قالك إيه؟

عبد الرحمن:

- بيقول مدام رقية ولدت إمبارح، وبيرجح إن إيناس إتشغلت معاها.

ثريا:

- ما هي ايناس كلمتني إمبارح بالليل يا عبد الرحمن من المزرعة، وكانت رجعت والست ولدت خلاص.

عبد الرحمن:

- جايز راحت ليها تاني النهارده.

ثريا:

- كلم جوزها مش أخدت الرقم.. كلمه..

عبد الرحمن:

- حاضر.. حالا حاكلمه..

كان القلق قد استبد بعبد الرحمن بدوره، نظر لهاتفه بضيق ثم خلع نظارته وفرك عينيه ونادي بصوت زاعق على ولده قائلاً:

- يا مصطفى... مصطفى..

مصطفى:







. أيوة يا بابا

عبد الرحمن:

. خد يا بني.. أطلب لي الرقم ده مش شايف الأرقام

مصطفى:

. حاضر.. معاك جرس.

****

كان حسن قد أنهى لتوه اجراءات دخول كارمن للمشفى، نظر له الطبيب المعالج بتفحص ثم قال:

. حضرتك تقرب ليها؟

حسن:

. الحقيقة لأ.. هي قريبة لصديق عزيز عليا، وأنا وعدته أهتم بحالتها.

الطبيب:

. عموماً هي في حالة إنهيار عصبي شديد.. إحنا إديناها مهدئات، بس محتاج أفهم من حضرتك حصل إيه؟

حسن:

. هو الحقيقة المعلومات اللي عندي بسيطة جداً، بس هو أخوها توفى إمبارح وتقريباً في حادث.

الطبيب:





ـ عموماً هي نايمة دلوقتِ.. وإحنا حنخليها تحت الملاحظة لإنها بتمثل خطورة على نفسها.

زفر حسن بضيق..

ماذا يحدث؟..

تذكر رقية ووجهها القلق عندما تركها مسرعاً في الصباح الباكر دون أن يبدي الأسباب..

إيناس الراقدة بالمشفى بين الحياة والموت..

خالد..

يجب أن يمر بالمشفى للإطمئنان على خالد وإيناس ثم يعود لرقية..

قطع صوت الهاتف أفكاره، رقماً غريباً، ربما يكون أحد العمال من المزرعة..

أم ربما رقية تهاتفه من المشفى..

رد بحرص:

ـ الو..

عبد الرحمن:

ـ الو.. بشمهندس حسن؟

حسن:








. أيوه..

عبد الرحمن:

. معاك عبد الرحمن والد الدكتورة إيناس.

صمت حسن لوهلة من المفاجأة ثم تابع بتلجلج:

. أيوه.. أهلاً وسهلاً..

عبد الرحمن:

. الحقيقة أنا آسف على الإزعاج.. بس إيناس مش بترد على تليفونها، ووالدتها قلقانة عليها.

حسن:

. لا يا فندم ما فيش إزعاج ولا حاجة.

عبد الرحمن:

. طيب هي إيناس في المزرعة؟.. قريبة من حضرتك؟

حسن:

. المزرعة!

عبد الرحمن:

. بشمهندس.. صوتك مش مريحني.. أرجوك قول لي في ايه؟

حسن:





. ما فيش.. هي بس مش قدامي دلوقتِ

عبد الرحمن وقد أقلقته نبرة حسن بشدة:

. بنتي فين يا بشمهندس؟.. في حاجة حصلت؟.. صوتك مش طبيعي.. أرجوك ما تكدبش عليا.

حسن بيأس:

. الحقيقة.. أنا آسف.. هي الدكتورة في المستشفى.

لحظة قاتلة من الصمت مرت على الجميع تابع بعدها عبد الرحمن في جزع:

. مسستشفى!!.. مستشفى إيه؟.. ليه؟

حسن:

. أرجوك اهدى.. أنا رايح على هناك دلوقتِ.

عبد الرحمن:

. إديني العنوان.. أنا لازم أروح هناك.. بنتي جرى لها إيه يا بشمهندس؟

حسن:

. أستاذ عبد الرحمن.. اهدى علشان خاطري.

عبد الرحمن بإصرار:

. العنوان..

حسن وقد شعر بالشفقة من أجل الرجل:





. حضرتك مليني عنوانك، أنا حاعدي عليك وأوصلك لهناك.

أغلق عبد الرحمن الهاتف وقد تمكن الوجوم من ملامحه، كانت ثريا تصرخ بغضب:

. بنتي جرى لها إيه يا عبد الرحمن؟.. بنتي فين؟

عبد الرحمن:

. مش عارف.. يا رب.. اللهم إني لا أسئلك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه.. يا رب.

****

يمر الوقت وهي غافية أمامه، يراقبها بعيون قلقة، أناملها الرفيعة ترقد برفق داخل راحة يده، ينتظر إفاقتها بلهفة..

كان بعالم آخر، فقط هو وهي وعطرها البندقي..

لم تكن وحدها الغائبة عن الوعي، هو مثلها تماماً، غارق في أحلام يقظة هي بطلتها دون منازع..

لم ينتبه للخطوات الراكضة نحو الغرفة..

فوجئ بهم داخل الغرفة..

حسن.. ورجل.. وامرأة.. وشاب

نظر نحوهم في دهشة بادلوه بها..









استدرك أناملها النائمة بقبضته، تركها على الفور وهو يرمقهم بحدة..

حدة قطعها صوت ثريا الباكي وهي تقترب من ابنتها في هلع:

- إيناس.. إيناس.

****

بخطوات مرتجفة وقلوبٌ مرتعدة كانوا يهرولون نحو غرفتها، رحلة الذهاب للمشفى كانت تعذيب بحد ذاتها فعبارات حسن غامضة.. مبهمة..

تارة يتحدث عن هجوم..

وتارة عن حريق..

وكلاهما سبب لمجهول أصابها، مجهول أصبح واقعاً مخيفاً عندما خرجت الكلمات من فم أحد الممرضات..

حادث إطلاق نار!

وصلوا ليجدوها ممددة على الفراش، غائبة عن الوعي..

ويجانبها رجلٌ حاد الملامح، رث الهيئة، فقميصه به آثار دماء!..

ويبدو عليه الأرق والتعب الشديد، لون عينيه اقترب من الحمرة..

هرعت ثريا للداخل نحو ابنتها، ووقف عد الرحمن متسمراً يراقبها في حسرة، وظل مصطفى يرمق الغريب بنظرة غاضبة خاصةً عندما لمح سقوط يدها





الصغيرة من سجن قبضته..

قالت ثريا في هلع:

. إيناس.. إيناس.. ردي عليا..

نظرت لخالد وحسن بغضب وتابعت:

. بنتي مالها؟.. ردوا عليا.. إيه اللي حصل؟

نظر خالد نحوها بخجل، فإيناس ممددة في الفراش بسببه..

قال بصوت أجش:

. ما تقلقيش يا فندم.. الدكتور طمني على حالتها واحنا في إنتظار إنها تفوق من البنج.

رقية:

. بنج!

نظر مصطفى نحو خالد بحدة وقال بدوره:

. وهو حضرتك مين؟

نظر له خالد وقبل أن يجيب كان حسن قد نطق بدوره:

. ده...

ولكن قبل أن يكمل انتبهوا جميعاً لثريا وهي تهتف بلهفة:





. إيناس.. بتقولي إيه؟؟

نظرت ثريا نحوهم وتابعت:

. اتكلمت.. بتقول حاجة أنا سمعتها..

قفز مصطفى بجانب أمه، وهرع عبد الرحمن نحوهما، وخالد يراقبها بلهفة..

همهمات متقطعة دون معنى..

الجميع منصت والقلوب متحفزة، خاصة قلبه..

لا..

لن يحتمل الوقوف هكذا..

ستفضحه ملامحه..

أراد الهروب..

استوقفته همساتها..

حروف اسمه التي خرجت برقة من بين شفتيها...

خـ.. ا.. لــ.. د.

خـ.. ا.. لـ.. د.

اخترقت أذنيه، سمعها..

وليس وحده بل كل من في الغرفة..



تسمر مكانه..

ظل ينظر نحوها بقلب مرتجف.. سعيد.. مشتاق..

كررتها مرة أخرى..

إنها تناديه..

تبحث عنه..

خـــالــــد..

شعر بالعجز، يود اجابتها..

بل يود ضمها إلى صدره، إختطافها معلناً إستبداد العشق..

ولكن لا يستطيع..

ارتجفت أهدابها قبل أن تُبصر الضوء، ارتعدت شفتاها..

بدت باكية..

كانت لحظة فارقة..

أخذ نفساً عميقاً، خُيل إليه أنه استهلك كل الهواء بالغرفة..

ثم..

ثم اتجه نحوها غير عابئاً بأحد..





اقترب منها، احتضن أناملها بكفيه ثم همس بصوت رقيق:

- أنا هنا.. جنبك..

تبدل بكاء شفتيها لبسمة..

وعادت من جديد لسبات هادئ..

كانت لحظة من الجنون..

لحظته الخاصة من الجنون التي انتهت عندما لمحهم جميعاً ينظرون نحوه بصدمة وبثغور مفتوحة!

عندها...

غادر، رحل مسرعاً بحجة إحضار الطبيب..

رحل قبل أن يقفز قلبه وتعلن دقاته بقوة عن طبول الفرح..

****

رمقه حسن بنظرة تحمل الحيرة عندما عاد بالطبيب وغادر بوعد مطمئن أنها ستفيق بشكل كامل بعد نصف ساعة.

ترك خالد الغرفة هروباً من نظرات والديها وأخيها وحسن خلفه وهو يقول: .

خالد.. استنى.. رايح فين؟

خالد:








ـ حاستنى هنا.

حسن:

ـ أنا عايز أفهم إيه اللي حصل جوه ده؟!

خالد بغيظ:

ـ وأنا عايز أفهم إزاي تجيب الناس وتخضهم كده قبل ما نطمن عليها!!

حسن:

ـ غصب عني.. أبوها فاجئني واتصل بيا.. كانوا قلقانين عليها وصعب عليا ما اقدرتش أخبي.

تنهد خالد ثم فرك جبهته بكفيه وتابع:

ـ خلاص.. اللي حصل حصل.

حسن:

ـ ما هو اللي حصل يا خالد؟.. كارمن هي اللي ضربتها بالرصاص؟

خالد:

ـ مش وقته يا حسن.. مش وقته.

حسن:

ـ لأ وقته يا خالد.. إنت ناسي إن البوليس حيحقق وحيستجوبها لما تفوق؟!

خالد:





. يا سيدي تفوق بس الأول.. كمان لازم أعرف هي وكريم الزفت دخلوا المزرعة إزاي؟

حسن:

. صحيح .. البوليس أخد جثته وحيحولوها على الطب الشرعي.

خالد:

. وهي؟ عملت معاها إيه؟

حسن:

. نقلتها المستشفى.

خالد:

. إيه؟.. مستشفى!!

حسن:

. أيوه مستشفى يا خالد.. دي كانت في حالة غير طبيعية، ممكن تعمل في نفسها حاجة وتجيب لينا مصيبة.

خالد:

. وبعدين؟.

حسن:







. ما فيش.. هي محجوزة هناك.. حالة إنهيار عصبي شديد.

خالد:

. كانوا عايزين يدمروني ولاد الـ...

حسن:

. خلاص يا خالد.. هما خدوا جزائهم.

صمت خالد قليلاً وهو يحاول استدراك ما يحدث ثم تابع:

. دول كانوا مخططين لكل حاجة، هي وكريم عند الخيل.. وشوية بلطجية عند المزرعة التانية.. ده إتفاق يا حسن وبمواعيد.

حسن:

. مش فاهم؟

خالد:

. هات موبايلك.

حسن وهو يناوله الهاتف:

. حتعمل ايه؟

خالد:







. حاكلم الحرس الزفت.. دخلوا إمتى ومنين؟

****

نظر يوسف لصديقه بابتسامة وتابع:

. حمد الله على السلامة.

حمزة بصوت مجهد:

. الله يسلمك.

يوسف بمزح:

. يعني عامل فيها سبع رجالة في بعض، ويلا يا وحوش وجات اللحظة اللي إنتم مستنينها وفي الآخر تتكوم كده!

ابتسم حمزة باقتضاب وتابع:

. قبضوا عليهم؟

يوسف:

. مش كلهم.

حمزة بتردد:

. ما تعرفش حصل إيه في مزرعة الخيل؟

يوسف:





ـ سمعت إنه كان في حريقة برده وواحد مات.

حمزة بجزع:

ـ مين مات؟

يوسف:

ـ ما اعرفش.. واحد حاول يتهجم على خالد ومات تحت رجلين الخيل.

شرد حمزة وهمهم بذهول:

ـ كريم!!

تابع يوسف بتردد:

ـ كمان حاجة تانية حصلت.

حمزة:

ـ إيه؟.. حصل إيه تاني؟

يوسف:

ـ إيناس.. إيناس هنا في المستشفى.

حمزة:

ـ إيه!.. إنت بتقول إيه؟.. إيناس هنا ليه؟.. ليه يا يوسف؟

يوسف:







ـ إيناس خدت رصاصة يا حمزة.. ما حدش عارف إزاي، بس ده اللي حصل.

شعر حمزة وكأن ثقلاً شديداً قد هوى على رأسه، تابع بنبرة مرتعشة: .

رصاص!

يوسف:

ـ أيوة.

حمزة:

ـ أنا لازم أقوم.. لازم أمشي من هنا.

يوسف:

ـ استنى.. حتروح فين بس؟

حمزة:

ـ للبوليس.. حاروح للبوليس يا يوسف.. علشان اللي غلط يتعاقب.

يوسف:

ـ إنت تعرف إيه يا حمزة؟.. عرفت منين إن حيحصل هجوم؟

حمزة:

ـ ما هو علشان كده حاروح للبوليس.. علشان أقول لهم على أعرفه.

ـ طيب مش قبل ما تقول للبوليس.. تقول لي أنا الأول!

نظر حمزة ويوسف لصاحب الصوت في رهبة..







وخالد يقف بباب الغرفة يرمق حمزة بغيظ.

دخل خالد للغرفة ثم جلس بغرور على أحد المقاعد وتابع بنبرة حادة:

. اتفضل.. أنا سامعك..

حمزة:

. يوسف.. ممكن تسيبنا لوحدنا بعد إذنك؟

تركهما يوسف وأغلق الباب خلفه وأفكاره حائرة.. قلقة بشأن صديقه..

نظر حمزة بهدوء لخالد وتابع:

. أنا حاحكيلك على كل حاجة.. ومن البداية.

****

خرج من غرفة حمزة غاضباً.. مُغتاظاً..

ولكن مِن مَن؟..

حمزة أم نفسه؟

من السبب؟..

عشق حمزة الأحمق؟.. أم خبث كارمن؟.. أم غروره؟..

قبلته التي أخذها عنوه فشوهت صورتها أمام حمزة وعشقه الفردي؟..

أم قسوته مع كارمن التي أخرجت وحش المرأة الكاسر من داخلها؟..





تصور أنه سيحطم وجه حمزة بقبضته، ولكن هل سيحاسبه وحده عن خطأ إرتكبوه جميعاً!!

تركه وخرج بعد أن قال جملةً واحدة..

قالها ببأس..

بحدة..

"دي آخر مرة حاسمعك بتتكلم فيها عن إيناس، لإنها بعد كده حتكون مراتي.. حتكون مدام خالد رضوان ويس".

توجه لغرفتها، أراد رؤيتها..

كلما غضب أراد رؤيتها..

كلما فرح أراد رؤيتها..

اقترب من غرفتها بحرص، كانوا ما زالوا حولها يحيطون بها بإصرار..

بدأ يضيق بهم.. ليتهم يرحلون.. يتبخرون في لحظات ليبقى وحيداً معها.. ظل يراقبها في صمت.. حتى لمح تلك أهدابها المرتجفة..

ها هي تعود..

تفتح عينيها ببطء..

تبحث عن ملامحه بوجوههم..










أين هو لقد سمعته؟..

نعم كان يخاطبها بأحلامها..

هل؟!!..

فزعت..

وقبل أن تتدارك الواقع حولها..

رأته..

كان يقف بجوار الباب..

ينظر نحوها بعمق.. كما اعتادت..

وعادت لها الابتسامة.. وانتفض قلبها..

وفضحتها عيناها رغماً عنها..

هو حي..

خالد حي..

يتساءل قلبي عن رؤياك..

وغياهب عقلي أوحت لي بفقداك..





وهواجس نفسي تهذي......

أشباح الماضي تغدو......

تذهب......

وأنا أبحث عنك لا عن ذكراك.

الفصل التاسع والثلاثون:

فضحتها عيناها رغماً عنها..

إنه حديث العيون..

لغة الصدق..

همس البصر..

ود لو توقف العالم لدقائق، بل ربما لساعات ليرتوي من نهر العسل بعينيها..

حتى الثمالة.

انتبهت إيناس لصوت أخيها:



. إيناس.. إيناس سرحتِ في إيه؟

قبل أن تجيب تنحنح خالد ودخل الغرفة..

ابتسم وحياهم ثم نظر نحوها وقال بنبرة هادئة:

. حمداً لله على السلامة.

لا تعلم ماذا أصابها.. خرج صوتها خافتاً وطغت حمرة الخجل على كل شيء حتى نبرتها وهي تردد:

. الله يسلمك.

رمقهما عبد الرحمن بنظرة فاحصة وتابع بصوت أجش:

. اتفضل يا بشمهندس.

خالد:

. متشكر يا فندم.

عبد الرحمن:

. إحنا اللي بنشكرك على تعبك مع إيناس.. أنا عرفت إنك إنت اللي جبتها هنا.

خالد:

. العفو.. حضرتك بتشكرني على إيه!.. اللي عملته ده هو اللي كان لازم يحصل.

عبد الرحمن:







. طيب واللي حصل؟

خالد:

. مش فاهم!

عبد الرحمن:

. مين اللي ضرب بنتي بالرصاص؟

قبل أن يجيب خالد سمعها ترد بنبرة واثقة:

. بابا.. دي كانت رصاصة طايشة.

استدار نحوها بدهشة..

تلاقت أبصارهما مرة أخرى، قرأ بعينيها إصرار، تابعت مرة أخرى:

. البشمهندس ما يعرفش مين ضرب نار ولا أنا.

كانت الحيرة قد تملكت من ملامح الأب، والرضى بنجاة إبنتها كان هو سمة ثريا، أما مصطفى فقد ظل يرمق خالد بنظرات الريبة..

قال خالد وهو ينظر نحوها هي دون الجميع:

. أنا حابلغ الدكتور إنك فوقتِ.. عن إذنكم.

خرج، عقله مشتت، حائر..

كيف تفكرين أيتها البندقية؟

ماذا يدور بخلدك البريء؟..





الغفران!

عاد مع الطبيب، كان رجلاً يبدو في عقده الرابع من العمر، بشوش الوجه له صوت جهوري، ابتسم وهو ينظر إليها وتابع:

. حمداً لله على السلامة.

إيناس:

. الله يسلمك.

الطبيب:

. خضتينا عليكِ.. ده كفاية الأستاذ كان حيتجنن والله.. ربنا يخليكوا للبعض.

كاد قلبها أن يتوقف عندما سمعت جملة الطبيب، بل خُيِل إليها هروب نبضها وجفاف عروقها، وأن الطبيب سيعلنها الآن ميتة لا محالة..

خالد بدوره بُهِت للحظة، ولكن بما أنه قد تعدى تلك المرحلة منذ أن نطقت باسمه أمام الجميع فقد ظل يراقب خجل ملامحها بنشوة..

تابع الطبيب بعدها دون أن يعي أثر قنبلته:

. البوليس حيجي ياخد أقوالك هنا.

انتبهت إيناس ونظرت نحوه في دهشة:

. بوليس!!

الطبيب:








. أيوة البوليس.. ده طلق ناري يا أستاذة.

عبد الرحمن:

. بس هي مش عارفة مين ضرب نار.

كانت نبرته غاضبة.. رافضة..

تابع الطبيب:

. خلاص تقول ده في المحضر.. حتى برده في أستاذ تاني مصاب في نفس حكاية المزرعة دي، والبوليس حياخد أقواله برده.

إيناس:

. مين؟

أجابها خالد بإقتضاب:

. حمزة.

الطبيب:

. شاب صغير.. الحمد لله نجي.

تنهد الطبيب ثم تابع وهو يوجه حديثه لعبد الرحمن:

. والله يا أستاذ حوادث البلطجة زادت قوي.. ربنا يستر على البلد.

عبد الرحمن:







ـ وهو البوليس قبض على البلطجية دول؟

خالد:

ـ مش كلهم.. قالوا لي إن في ناس هربت.

إيناس:

ـ قالوا لك!!.. إنت ما رجعتش على المزرعة؟

بدأت تلاحظ مظهره الرث، بقايا الدماء بقميصه، أرق عينيه..

كانت تنظر نحوه بتساؤل.. بترقب..

تابع بثقة وهو يبادلها نظرة دافئة:

ـ وهو أنا كان ينفع أمشي!!

نظر مصطفى نحوهما بضيق فتابع:

ـ متشكرين لمجهود حضرتك.. ممكن تروح تطمن على أشغالك دلوقتِ.

رمقت ثريا إبنها بلوم ثم تحدثت بعد صمت طويل موجهة حديثها للطبيب:

ـ وإيناس حتخرج إمتى يا دكتور؟

الطبيب:

ـ أسبوعين إن شاء الله.

ثريا:







- ليه!!. مش هي بقت كويسة؟

الطبيب:

- ما تقلقيش.. بس لازم تقضي فترة النقاهة هنا أحسن.. عن إذنكم.

خرج الطبيب وظلوا جميعاً صامتين لدقائق..

صمت قطعته ثريا عندما قالت لزوجها:

- لازم أجيب حاجات من البيت علشان إيناس وأنا حاقعد معاها.

عبد الرحمن:

- خلاص.. روحي إنتِ ومصطفى وأنا حاستنى هنا معاها.. حتوصل والدتك يا مصطفى؟

مصطفى:

- حاضر يا بابا.

خالد:

- بعد إذنكم.. لو تنتظروا عشر دقائق حاكلم السواق وأوصلكم بنفسي.

عبد الرحمن:

- ما فيش داعي لتعبك يا بشمهندس.

خالد :





- ما فيش تعب ولا حاجة.. دي مسافة الطريق.. عن إذنكم.

رمقه عبد الرحمن بنظرة فاحصة ثم تابع:

- طيب خدني معاك يا بشمهندس، حاسألهم على حاجة تحت.

خرج عبد الرحمن وخالد سوياً، وإيناس تراقبهما بنظرات قلقة لاحظتها ثريا ولكنها آثرت الصمت..

نظر عبد الرحمن نحو خالد وبدأ دون مقدمات:

- أنا محتاج أسمع تفسير يا بمشهندس.

خالد:

- بخصوص إيه يا فندم؟

عبد الرحمن:

- بخصوص كل اللي شفته النهاردة.

صمت خالد لوهلة ثم لاحت على ثغره ابتسامة هادئة، ربما قصد بها إخفاء ارتباكه ثم تابع:

- أستاذ عبد الرحمن.. جايز أنا أول مرة أشوف حضرتك، وكمان الظروف مش طبيعية لكن أنا باطلب من حضرتك إيد إيناس.. باتقدم لها للجواز واتمنى إنكم توافقوا.

بدت على ملامح الأب ابتسامه ساخرة، تابع بعد أن بادره بنظرة ثاقبة:








ـ على فكرة مش هو ده اللي كنت عايز أسمعه!

خالد وبنفس نبرته الواثقة:

ـ عارف.. بس هو ده اللي أنا عايز أقوله.

****

"حتكون مدام خالد رضوان"..

كلمات تبدو حروفها كحبال غليظة تلتف حول رقبته بخبث لتمنع عنه الهواء أم ربما الهوى..

ولكن هواه هو فقط، فقد عشقها وحده وسيتألم وحده..

زفر بغضب عندما تذكر الأخرى..

الصهباء التي استغلت عشقه.. غضبه.. حماقته..

صك على أسنانه من الغيظ....

كارمن..

كان حمزة غارقاً بأفكاره، لم ينتبه لدخول خالد لغرفته مرة أخرى..

خالد الذي رمقه بغضب وقال بنبرة جافة دون مقدمات:

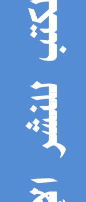
ـ البوليس على وصول.. حياخدوا أقوالك، مش عايزك تجيب سيرة كارمن ولا إنك دخلتها المزرعة مع كريم.

حمزة بدهشة:









. إيه!!.. إنت بتقول إيه.

خالد:

. أعتقد إنك سمعتني كويس.

حمزة:

. إزاي!!.. وليه؟

خالد:

. ده شيء ما يخصكش.

حمزة:

. لأ يخصني.

خالد:

. حمزة.. أنا ما عنديش لا وقت ولا دماغ، وأعتقد حقي إنك تسمع كلامي بعد اللي عملته.

هم حمزة ليقاطعه ويتحدث ولكن خالد تابع بإصرار:

. إيناس الضابط عندها دلوقتِ، وبعدها حيجيلك..

حمزة بتلعثم:

. إيناس فاقت؟

خالد بغيظ:



. أيوه.

حمزة:

. مش حتقول على كارمن؟

خالد:

. لأ.

حمزة:

. ليه؟.. إنت اللي طلبت منها كده؟

خالد:

. لتاني مرة شيء ما يخصكش.

دلى خالد بدلوه وترك حمزة..

حائراً.. غاضباً.. رافضاً..

****

في السيارة ركب خالد بجانب السائق وفي الخلف مصطفى مغتاظاً، وثريا متفحصة لملامحه..

هذا الغريب الذي استحوذ على قلب إبنتها، الأمر جلي لا ينتظر سؤال أو تأكيد..

ولكن متى؟.. وكيف؟..



كانت سعيدة وحائرة..

ابتسم لها خالد عندما لاحظ تفحصها ثم حادث مصطفى بنبرة حميمية:

. وإنت يا مصطفى بتدرس ولا خلصت؟

مصطفى:

. أنا في كلية تجارة.

ثريا:

. تعبناك معانا يا بشمهندس.

خالد:

. تعب إيه بس يا فندم!.. وبعدين أنا عايز أعرف البيت.. مش جايز أحب أعزم نفسي بعد كده على القهوة عندكم!

رمقته رقية بنظرة إعجاب فعلى الرغم من غضبها وخوفها إلا أنها أعجبت بصراحته، تابعت:

. وهو ما ينفعش دلوقتِ؟.. حضرتك تتفضل تطلع معانا.

خالد:

. لا يا فندم ما لوش لزوم.. أنا حاستناكم في العربية.

ثريا:







. على فكرة إحنا مش بخلاء، والقهوة مش متعبة في عمايلها.

وافق خالد ووصلت السيارة للمنزل..

شعر خالد بالدفء والراحة بمجرد أن دلف للداخل، هذا هو منزلك إذاً أيتها البندقية..

يشبهك، دافئ كلون خصلاتك، له عبق مميز!

ما بال تلك الأسرة!!

ابتسمت له ثريا وتابعت:

. قهوة حضرتك إيه؟

خالد:

. مظبوط.

نظر مصطفى لأمه بغضب وهي تعد القهوة ثم تابع:

. كمان بتعزميه على قهوة!!

ثريا:

. مالك يا مصطفى؟

مصطفى:

. مالي!!.. بتسأليني مالي؟!.. إسأليهم هما.. هو في إيه؟

ثريا:





ـ حيكون في إيه؟!.. فوق كده.. هو أنا مش مربية بنتي وعارفاها ولا إيه!

مصطفى:

ـ ماما.. أنا مش قصدي.

ثريا:

ـ شوف يا مصطفى.. أنا زيك مش مرتاحة للغريب اللي نط في حياتنا فجأة ده.. كمان مش عايزاها ترجع المزرعة دي، وما كونتش عايزاها تروح أصلاً.. بس عارف.. نفسي إنها تعيش حياتها زي كل البنات.. تتجوز وتخلف.. نفسي أن أطمن عليها.

مصطفى:

ـ ومعاه حتطمني عليها!!.. ما هي إنضربت بالرصاص في مزرعته!

ثريا:

ـ خلاص.. حاشترط عليه ما يقعدهاش في المزرعة.

مصطفى:

ـ ده الموضوع بقى رسمي بقى!!

ثريا:

ـ طلبها من أبوك.

مصطفى:







- طلبها من أبوك!.. إمتى حصل الكلام ده؟

ثريا:

- في المستشفى، قبل ما نيجي هنا.

مصطفى:

- لحق!!.. إحنا لسه شايفينه من ساعتين، بالطريقة دي حيتجوزوا بكرة!

ثريا:

- إيه يا مصطفى؟.. غيران على أختك ولا إيه!!.. إنت ما كونتش بتعمل مع شريف كده!

مصطفى:

- شريف كان غلبان.. لكن ده شكله مش غلبان خالص!

ثريا:

- طيب.. تعال أقعد مع الراجل وهو بيشرب قهوته على بال ما أحضر الهدوم، وبعدين نشوف موضوع الجواز ده، ونشوف أختك حتقول إيه

مصطفى:

- يعني حتقول إيه يا ماما!!.. هو إنتِ مش كنتِ معانا لما ندهت عليه وهو ولا همه!

ثريا:





. هو وخلاص نيته بانت.. واللي عمله أبوك مش حيسيبه حيلومه ويفهمه غلطه، لكن هي.. أنا خايفة من عِندها يا مصطفى.. والمرة دي لو عاندت يبقى بتعاند نفسها.

****

نظرت رقية لحسن بغضب وتابعت:

. إنت إزاي تخبي عليا حاجة زي دي؟!

حسن:

. كان لازم أطمن الأول قبل ما أقولك.

رقية:

. يا حبيبتي يا إيناس.. رصاص!!

حسن:

. المهم إنها نجيت.

رقية:

. أنا لازم أروح لها.. لازم توديني عندها حالاً.

حسن:

. رقية.. ما ينفعش.. ما لكيش خروج دلوقتِ، إنتِ عارفة.

رقية:





ـ يعني إيه؟!.. حافضل هنا وأسيبها كده!.. لا يا حسن.. كله إلا إيناس.

حسن:

ـ بلاش عِند.. وهي مش لوحدها، أهلها معاها، وخالد ما سبهاش.

رقية:

ـ لازم أطمن عليها.. حسن.. هي كويسة ولا بتضحك عليا؟

حسن:

ـ والله كويسة.. أكلمها لك؟

رقية:

ـ أيوه.. كلمها دلوقتِ.

ـ حاضر حاكلمها على تليفون والدها.

اختطفت رقية الهاتف من حسن بمجرد أن استشعرت صوت إيناس..

قالت وهي تحاول منع عبراتها:

ـ إيناس.. حبيبتي.. إنتِ كويسة؟

إيناس:

ـ رقية.. يا خبر!.. قال لك وقلقك ليه بس؟!

رقية:











ـ كده يا إيناس!.. أسيبك ليلة واحدة تخضيني عليكِ كده!

إيناس وقد استشعرت نبرتها الباكية:

ـ رقية.. إنتِ بتعيطي؟

رقية:

ـ ومش هرمونات.. إنتِ غالية عندي قوي يا بت.

إيناس:

ـ طيب أنا كده حعيط.

رقية:

ـ حاجيلك.. لازم أشوفك.

إيناس:

ـ ما تهرجيش.. أنا كويسة والله.. ولو نفسك تيجي المستشفى ما تخافيش، أنا هنا أسبوعين.

رقية:

ـ ألف سلامة عليكِ يا حبيبتي.

إيناس:

ـ بوسي لي خالد.

رقية:











ـ حاجيبهولك.. أول ما اخرج.. حنيجي سوا.

إيناس:

ـ ربنا يحميه يا رب.

رقية:

ـ لا إله إلا الله.

إيناس:

ـ محمد رسول الله.

أغلقت إيناس الهاتف وتنهدت براحة..

رقية لقد افتقدت صحبتها بحق..

جاءها صوت أبيها متسائلاً:

ـ مين خالد؟

إيناس:

ـ ده إبنها.

عبد الرحمن:

ـ سموه خالد؟

إيناس:











ـ آه.

عبد الرحمن:

ـ ده على إسم البشمهندس؟

إيناس:

ـ أيوه.

عبد الرحمن:

ـ بيحبوه للدرجة دي؟

إيناس:

ـ هو وبشمهندس حسن صحاب قوي.

عبد الرحمن:

ـ شكله إنسان محترم.

إيناس:

ـ آآآه طبعاً.

عبد الرحمن:

ـ لكن ليه أعداء.

إيناس:








ـ أعداء!

عبد الرحمن:

ـ الناس اللي هجمت على المزرعة، أكيد حد مسلطهم.

إيناس:

ـ قصدك البلطجية؟

عبد الرحمن:

ـ أيوه.. عموماً حصل خير.. ربنا ستر.. وكفاية قوي لغاية كده.

إيناس بارتباك:

ـ كفاية!.. إيه؟

عبد الرحمن:

ـ يعني إن شاء الله ترجعي معانا علي البيت.. بعيد عن القلق ده.

أجابت إيناس بعفوية:

ـ بس هو مات.

نظر عبد الرحمن نحوها بتفحص:

ـ هو مين ده اللي مات؟

إيناس وقد تمكن منها الإرتباك:





- اللي.. اللي سلط البلطجية.

عبد الرحمن:

- وعرفتِ منين إنه مات؟

إيناس:

- شفته.. الخيل كانت مذعورة وبتجري.. وإحنا طلعنا على صوتها، والشخص ده مات تحت رجلين حصان خايف.

عبد الرحمن:

- والرصاص مين ضربه؟

إيناس:

- ما اعرفش.. إحنا كنا ملخومين باللي بيحصل وفجأة سمعت صوت رصاص.

عبد الرحمن:

- خلاص.. يبقى لغاية ما نعرف مين ضرب الرصاص، ما فيش رجوع للمزرعة.

بدا عليها الضيق..

الآن تود العودة للمزرعة؟!!!

من أجل من؟؟

من أجله؟!..

نعم من أجله..



ألم تتلقى الشظية من أجله؟..

ألم تتستر على كارمن من أجله؟..

من أجل أن تفتح دائرة إنتقامه وتُفرغها من أحقادها..

إنها تريده نقياً..

خالٍ من هواجس الغضب..

سحقاً إنها تريده.

وهو..

هو لا يريد سواها..

عاد وألقى نظرة سريعة عليها..

كانت وحيدة بالغرفة، قال لها بنبرة حانية:

ـ أنا مضطر أرجع المزرعة أشوف الوضع هناك، وكمان أغير هدومي.

أومأت بابتسامة رقيقة دون حديث..

سألها بخبث:

ـ هو بابا فين؟

أجابت:





. راح يصلي.

تابع بابتسامة ماكرة:

. خلاص أستنى معاكِ لغاية ما يصلي.

إيناس:

. هي ماما فين؟

خالد:

. تحت بتقيس الضغط.

إيناس بلهفة:

. هي تعبت؟

خالد:

. ما تتخضيش.. ده أخوكِ حب يطمن عليها.

ظلت صامتة لوهلة، تابع بعدها:

. الظابط جه؟

إيناس:

. أيوه.

خالد:













. برده ما قولتيش على كارمن؟

إيناس:

. لأ.

خالد:

. ليه يا إيناس؟

بدا عليها الإرتباك ولم تجب..

تابع بصوت دافئ:

. علشاني؟

همت تنفي بلسانها ما تجزمه عيناها ولكنه استوقفها متابعاً:

. زي برده ما أخدتِ رصاصتها مكاني.

كان ينظر نحوها بثقة.. بعمق..

بحب..

قالت متلعثمة:

. أنا...

قال بثقة:

. بحبك..

مرة أخرى تمكنت منها حمرة الخجل..





تقافزت دقات قلبها وكأن إشارات نبضه الجامح مرتسمة على وجهها..

كادت أن تتحدث ولكن..

ماذا ستقول؟..

لم يعطها فرصة..

اختطف أناملها برقة ليطبع عليهم قبلة دافئة..

سحبتهم بخجل..

ابتسم لها برقة مودعاً..

واحتفظت هي بابتسامتها لنفسها بعد رحيله..

****

وبخطوات متثاقلة.. مترددة.. وبعد أن اطمئن على غاليتيه..

معشوقته ومزرعته توجه إليها...

كانت تجلس منكمشة على الفراش.. خصلاتها الحمراء مبعثرة كأفكاره.. انتبهت له..

كان وجهها شاحباً.. ملامحها قلقة..

تبدلت نظرتها وحلت السعادة محل الخوف..

صاحت ببهجة:





ـ خالد حبيبي.. إنت جيت!!

نظر نحوها بصدمة..

تابعت بعد أن تبدلت ملامحها لحزن:

ـ خالد.. أنا مش عارفة أنا فين؟.. فين بابا وكريم؟!.. هما مش معاك؟

خالد:

ـ إيه!!

اقتربت منه واحتضنته بشوق ثم تابعت:

ـ حبيبي.. وحشتني قوي.. يلا نمشي من هنا.. يلا نروح على البيت!.

نعم..

كان حائراً بشأنها..

كان ينتظر كلماتها ليقرر مصيرها بين إنتقامه وشفقته..

ولكن لم يتصور أن يجد في النهاية...

الهذيان.



الفصل الأربعون:

"بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد..

أنه كان هناك سفينة، تبحر دون مقصد بدروب الحياة، زادها الخيال وونيسها الذكرى...

وفي ليلة فضية، ليلة تربع فيها ضوء القمر على عرش الظلام، وتزينت سماء الليل بلمعة النجوم، غاصت دون وعي ببحر الهوى..

وبحر العشق عميق، سحيق يا مولاي، وبعمق هذا البحر كان يوجد جبل.. شامخ.. غاضب.. ثائر.. أسود كستائر العتمة..

يطلقون عليه جبل المغناطيس..

كلما مرت به سفينة.. تهشمت.. تناثرت أجزاؤها..

فصارت حطاماً ابتلعه البحر في لحظات.

واقتربت منه دون إرادة وتحطمت جدران عزلتها على يد عنفوانه، ولكن لم يبتلع البحر عزلتها فحسب..

ولم يتمكن الغرق فقط من ذكراها فقط.. بل غاصت معه أحجار المغناطيس وركع شموخ صرحه تحت قدميها"..








مرت ثلاثة أيام..

ثلاثة أيام منذ أن ألقى بتعويذته السحرية على مسامعها..

"أحبك"

بدّل حالها ورحل..

تركها سعيدة..

لا..

بل حائرة..

مبعثرة كحروف كلمته داخل عقلها..

فتارة رافضة..

وتارة عاشقة..

وهو غائب..

والوقت يتبختر بدلال حولها.. وعبارته متأججة بوجدانها.. متملكة لها بإصرار..

رحل..











وهي أصبحت رافضة وغدت مشتاقة.

وأحاطت بها الغُربة، وكأن العالم فراغاً دونه..

لم تصدق نفسها عندما لمحت رقية بباب غرفتها ومعها خالد الصغير.. كانت تبدو جميلة... بل مضيئة..

نعم مضيئة بشعاع الأمل ورونق الأمومة..

هتفت إيناس بسعادة بالغة:

ـ رقية!

رقية:

ـ أنوس حبيبتي..

تعانقتا بشوق وطبعت إيناس قبلة رقيقة على جبهة الصغير النائم، ابتسمت بمكر لصديقتها وقالت:

ـ نسخة من البشمهندس.

رقية:

ـ ما اخدش مني حاجة العفريت ده.. حتى متعب زي أبوه!

إيناس:

ـ ربنا يخليكوا لبعض.

رقية:





- إنتِ عاملة إيه دلوقتِ يا حبيبتي؟

إيناس:

- أنا كويسة الحمد لله.. مش عارفة ليه الدكتور مقعدني هنا!.. أنا زهئت.

رقية:

- هي كانت عملية الزايدة يا إيناس!.. دي رصاصة.. يا ربي أنا كل ما افتكر قلبي يقع في رجلي.

إيناس:

- خلاص يا رقية.. عدت الحمد لله.

رقية:

- حصل إيه يا إيناس؟.. حصل إيه يومها؟

إيناس:

- ما إنتِ عارفة يا رقية، الهجوم والقلق.

رقية:

- حتخبي عليا يا أنوس!.. أنا عارفة إنها رصاصة كارمن.

نظرت نحوها إيناس بترقب وتابعت:

- خالد هو اللي قال لكم؟

رقية:







ـ خالد يومها كان في حالة إنهيار، وبعت دسوقي لحسن.. كان عايزه يحبسها لغاية ما يفوق لها، وحسن عرف من دسوقي إن كارمن كان في إيدها مسدس.

إيناس:

ـ يعني هي دلوقتِ في المزرعة؟

رقية:

ـ لا.. جات لها حالة إنهيار عصبي، وحسن نقلها على المستشفى.

إيناس:

ـ ايه؟!

رقية:

ـ كانت قاصداكِ يا إيناس؟

إيناس:

ـ رقية.. إنتِ بتقولي إيه؟!.. لأ خالص.. حتقصدني ليه؟

رقية:

ـ علشان تحرق قلبه.. كانت عارفة إنه بيحبك، صح؟

إيناس بتلعثم:

ـ بي... بيبـ.. إيه!!... رقية.. إنتِ بتقولي إيه؟!!

رقية:



. بطلي مكابرة بقى.. أنا نفسي عرفت من يوم ما طفشتِ وجري وراكِ زي المجنون علشان يرجعك.. ليلة ما ضايقك وهربتِ تاني يوم.

إيناس:

. رقية!!

رقية:

. كارمن كانت عارفة أكيد.. ليه ما بلغتيش عنها؟.. ليه؟!

إيناس:

. ما كانتش تقصدني.. ما كانتش في حالتها الطبيعية.

رقية:

. مش فاهمة!.. طيب الطلقة ضربتها إزاي؟!

صمتت رقية لوهلة ثم تبدلت ملامحها، فنظرت نحو إيناس في صدمة وقالت:

. إيناس!!.. هي كانت تقصد؟؟!!

ترقرقت العبرات بعينيّ إيناس رغماً عنها وتابعت:

. أيوه.. كانت تقصد خالد.

رقية بتأثر:

. إيناس.. إنتِ عملتِ إيه؟!..

بنبرتها المرتجفة تابعت:





ـ ما قدرت.. كان صعب أفقده من تاني.. كان صعب قوي.. ما حستش بنفسي.

أمسكت رقية بأنامل صديقتها وربتت عليها:

ـ حبيبتي.. إنتِ مجنونة.. إنتِ بتحبيه للدرجة دي!!.

انفجرت إيناس رغماً عنها في البكاء عندما سمعت عبارة رقية الأخيرة..

لقد أفرغت لتوها حملها الثقيل بجعبة صديقتها..

اقتربت منها رقية ورفعت ذقنها وتابعت بحنان:

ـ طيب بتعيطي ليه بس؟.. هو الحب حاجة وحشة!

إيناس:

ـ أنا... أنا..

رقية:

ـ إنتِ حبيتيه.. حبيتيه يا أنوس، ومش حتعرفي تكدبي حتى على نفسك.

إيناس:

ـ لكن.. شريف..؟

نظرت رقية لصديقتها بابتسامة وتابعت:

ـ شريف أول حب، بس مش الأخير يا إيناس.. قلبك دق تاني.. لأ ده مش دق.. ده صرخ بأعلى صوته.. وقال بحبك يا خالد.. وعلى فكرة عادي.. يعني










مش عيب.. ولا حرام.. ولا قلة أدب..

إيناس:

. بتهزري يا روكا!!

رقية:

. لأ ما بهزرش.. ولا ناسية الكلام اللي قلتهولك ليلة ما حمزة عرض عليكِ الجواز.. فاكرة؟.. يومها كنتِ مش طايقة نفسك.

إيناس بشرود:

. حمزة!

رقية وقد ابتسمت بمكر:

. أيوة حمزة.. بس أقول إيه؟!.. ما هو إحنا كده كلمة بحبك بتبقى حلوة بس من واحد بس!

صمتت إيناس لوهلة بعد عبارة رقية..

تذكرتها..

"بحبك"...

قالها بهمس.. بصوت دافئ..

وتمكنت منها حتى النخاع.. تمكنت من يقظتها وسيطرت على أحلامها.. هي حمقاء..





أين هو الآن؟..

رحل دون إكتراث!

قطبت جبينها، تابعت بضيق:

ـ الكلام ده سابق لأوانه.

رقية:

ـ ده هو أوانه.. أنا لو منه أجيب المأذون وأكتب حالاً قبل ما ترجعي في كلامك.

نظرت نحوها إيناس بقلب مرتجف:

ـ مأذون!.. إنتِ بتقولي إيه بس؟!.. لا كويس إنه ما بيفكرش زيك!

رقية:

ـ حنشوف.. هو بس يخلص موضوع الست كارمن.

انتبهت..

سألتها بقلق:

ـ كارمن!!.. هو حيعمل إيه؟

رقية:

ـ ما تعرفيش؟.

إيناس:






ـ لأ.. ما اعرفش.. وما شفتوش من ثلاث أيام.. قولي يا رقية.. ما توقعيش قلبي.

رقية:

ـ ما اعرفش تفاصيل.. بس هو حسن قالي إنه نقلها مستشفى أمراض نفسية و.. عايز يسفرها برة.

إيناس:

ـ أمراض نفسية!.. هي حصلها إيه بالضبط؟

رقية:

ـ ما اعرفش.. خالد ما قالش لحد تفاصيل، ولا حتى لحسن.

شعور آخر تختبره الآن..

هو حريص بشأنها..

ربما قلق..

مشغول..

متحفظ..

تباً إنها الغيرة.

****

ما زالت عبارات الطبيب مسيطرة على عقله..










كارمن تعاني من فقدان الذاكرة الإنشقاقي، ذكرى آخر ثلاثة أعوام غابت عن عقلها..

الطبيب يرجح أن السبب صدمة عنيفة، صدمة إلتقت بشقاء ثلاثة أعوام..

بذرة الغضب التي ألقاها بعبث في أرضها لتطرح غِلاً كاد أن يودي في النهاية بحياة من تمكنت من دقات قلبه.

زفر بضيق..

يالسخرية القدر..

الآن هو يسعى بكل ما أوتي من قوة لعلاجها، رتب كل شيء في أيام، وتوصل بفضل أصدقائه في الولايات المتحدة لمصحة نفسية شهيرة..

علاج عضوي ونفسي لإستعادة ذاكرتها أولاً والتعامل مع ألمها ثانياً..

لا يعلم هل يفعل ذلك خوفاً عليها أم منها؟..

أم ربما كلاهما؟.

****

ابتسم حسن مرحباً بزوجته بعد أن دخلا للفيلا قائلاً:

- نورتِ بيتك من تاني يا حبيبتي.. نورت يا أستاذ خالد.

ابتسمت رقية لزوجها ابتسامة بسيطة وظلت تتفحص منزلها لدقائق ورغماً عنها تمكنت منها ذكرى رحيلها..









لاحظ حسن تبدل ملامح زوجته، تابع بصوت أجش:

. إيه يا رقية؟.. ما كونتيش عايزة ترجعي؟!

رقية:

. لو ما كنتش عايزة أرجع، ما كنش زماني واقفة هنا دلوقتِ

حسن:

. يبقى تضحكي وتفرحي برجعتك لبيتك وتفرحيني معاكِ

تنهدت رقية وتابعت بنبرة جادة:

. حسن.. إحنا لازم نتكلم.

ابتسم حسن وتقدم من زوجته مقبلاً رأسها وتابع:

. ومستعجلة على إيه؟.. ما احنا حانتكلم.. قدامنا العمر كله.. حنتكلم وحنتخانق.. وحنقلق.. وحنفرح.. وحنزعل.. وحصالحك.. بس حنفضل مع بعض.. ولبعض.. سامعاني يا رقية.. لبعض.

نظرت نحوه بتمعن، ثم نظرت نحو خالد وتفحصت مملكتها مرة أخرى.. وابتسمت بسخرية..

فقد كان محقاً.

****

دخلت ثريا لغرفة ابنتها مسرعة وهي تلهث قائلة:





- معلش يا حبيبتي إتأخرت عليكِ.

إيناس:

- ماما.. إنتِ تاعبة نفسك راحة جاية.

ثريا:

- لازم برده أطل على البيت وعلى أخوكِ

إيناس:

- خليكِ في البيت يا ماما.. ما لوش لزمة تبهدلي نفسك معايا هنا.

ثريا:

- لما تِبقي ماما حتفهمي.

ابتسمت إيناس لأمها وتابعت:

- حقك عليا يا ست الكل، أنا مش قصدي أنا بس عايزة أريحك.

ثريا:

- ما حدش فيكم مريحني.. الصغير قالقني عليه وبيسرح وبيتأخر بره كتير خصوصاً لما أغيب، والكبير أهو معاد أجازته فات يجي من ٣ شهور ومنزلش.. الشغل يا ماما.. طيب كان نزل العيال دول وحشوني قوي.

إيناس:



ـ معلش يا ماما ما حدش عارف ظروفه.

ثريا:

ـ وإنتِ ربنا يهدي لك الحال وقلبي يطمن عليكِ بقى.

ـ طيب والدعوات دي أنا ما ليش نصيب فيها؟!

قال عبد الرحمن جملته بابتسامة وهو يدلف لداخل الغرفة، نظرت نحوه ثريا بتساؤل:

ـ كنت بتكلم مين وسيبتني أطلع لوحدي؟

عبد الرحمن:

ـ كان معايا واحد صاحبي على التليفون.

ثريا:

ـ صاحبك مين؟

عبد الرحمن:

ـ صاحبي وخلاص.. يعني إنتِ تعرفي كل صحابي؟!.. عاملة إيه النهاردة يا حبيبتي؟

قال جملته الأخيرة لصغيرته بابتسامة قابلتها هي بابتسامة أوسع مجيبة:

ـ الحمد لله يا بابا.

عبد الرحمن:

ـ زهئتي الصبح لوحدك؟

إيناس:

ـ لأ خالص.. حتى رقية جات لي وقعدت معايا شوية.

عبد الرحمن:

ـ الست دي ذوق جداً وجوزها كمان.

إيناس:

ـ آه والله.. طلعت من المستشفى عليا على طول، قبل حتى ما تروح البيت.

ثريا:

ـ وكلمتني وكلمت أبوكِ تطمن علينا كمان.

إيناس:

ـ والله فيها الخير.

عبد الرحمن:

ـ طيب.. أنا حاسيبكم ورايا مشوار ضروري وراجع.

ثريا:

ـ رايح فين؟

عبد الرحمن:





ـ حقابل واحد صاحبي.

ثريا بدهشة:

ـ صاحبك مين؟

عبد الرحمن بضيق ونبرة يقصد بها ممازحة زوجته:

ـ ما قلت لك ما تعرفيهوش.. يلا عايزيين حاجة من برة؟

لم تجب ثريا زوجها فأجابته إيناس بابتسامة:

ـ سلامتك يا بابا.

نظرت إيناس نحو أمها وتابعت:

ـ برده متضايقة؟

ثريا:

ـ يعني شايفة أبوكِ ودلعه وقت صحاب ده وخروج!..

ما حدش فيكم مريحني.

ضحكت إيناس بيأس وزمت ثريا شفتيها وظلت تتفكر في أحوالهم جميعاً.

****

نظر عبد الرحمن نحو خالد بابتسامة وتابع وهو ينفض ملابسه:

ـ الحقيقة يا بشمهندس لما كلمتني في التليفون وقلت لي يا عمي.. توقعت مقابلتنا حتكون في مكان هادي وإني حاشرب ليمون، ولما إنت إقترحت المزرعة قلت وماله مكان حلو وجو جميل وهدوء..





ابتسم خالد بدوره وتابع بعد أن بدّل ملابسه التي كانت قد نالت نصيبها مما حدث:

. بجد يا عمي أنا مش عارف أقول لك إيه!!.. أنا كنت نسيت في وسط اللخبطة والزحمة الفرسة دي خالص.. يدوبك عرفت من البواب إن حضرتك وصلت لقيت السايس بيقول لي يا بشمهندس إلحق سهيلة حتولد.

عبد الرحمن:

. فرسة جميلة واسمها جميل.

خالد:

. أنا ما كنتش عايز أتعب حضرتك وقلت تنتظرني في الفيلا أفضل.

عبد الرحمن:

. بصراحة أنا كان عندي فضول أحضر التجربة دي، برده شغلكم متعب يا أخي.. هي إيناس لو كانت موجودة كانت حتولد الفرسة دي؟

خالد:

. لا.. لا.. مش للدرجة دي.. بس كانت حتحضر مع الدكتور وتساعده.

عبد الرحمن:

. بس إنت كنت مخضوض قوي، ده ولا أكن مراتك اللي بتولد!

خالد:










ـ أصل الفرسة دي بقت عزيزة عليا قوي.

نظر عبد الرحمن نحوه بتفحص ثم تابع:

ـ طيب أنا محتاج ليمون بعد شحنة التوتر دي.

خالد:

ـ ليمون إيه!.. الغدا جاهز.

عبد الرحمن:

ـ غدا إيه يا إبني!!.. هو أنا حاقدر آكل حاجة بعد اللي شفته ده!.. يلا هات اللي عندك.

خالد:

ـ طيب نقعد الأول.. إتفضل.

عبد الرحمن:

ـ هه وادي قعدة.. يلا قول يا بشمهندس.

خالد:

ـ أنا كنت عايز أعرف رد حضرتك على طلبي.

عبد الرحمن:

ـ يا بني إنت مستعجل كده ليه!.. ده ربنا خلق الدنيا في سبع أيام.

خالد:





- ونعم بالله.. أصلي مسافر وكنت حابب لو أعرف رأيك مبدئياً يعني.

عبد الرحمن:

- مسافر!!

خالد:

- اه ظرف طارئ أسبوع وحارجع.

عبد الرحمن:

- لما ترجع بالسلامة لينا كلام.. حتى تكون إيناس خرجت من المستشفى.

خالد:

- طيب إتفضل.

عبد الرحمن:

- إيه ده؟

خالد:

- دي ورقة فيها كل بياناتي علشان حضرتك تسأل عني وعن عيلتي.

عبد الرحمن:

- يا ابني سماهم على وجوههم.

خالد:



ـ والله يا فندم المفروض أنا اللي أقول الجملة دي حضرتك بتفكرني بوالدي الله يرحمه.

عبد الرحمن:

ـ الله يرحمه.. وما دام بفكرك بوالدك يبقى بلاش يا فندم دي قول يا عمي زي ما بدأت كلامك.

خالد:

ـ طيب ممكن ياعمي أطلب من حضرتك طلب تاني.

عبد الرحمن:

ـ طلب إيه؟

خالد:

ـ ممكن أروح أسلم على إيناس في المستشفى قبل ما أسافر؟

رمقه عبد الرحمن بنظرة متفحصة مرة أخرى من تحت نظارته وتابع:

ـ هو المفروض لأ.. بس أنا موافق بس بشرط.

خالد:

ـ اتفضل.

عبد الرحمن:


. عايز الحقيقة يا خالد.. الحقيقة اللي إنت وإيناس مخبينها.

خالد:

. حقيقة إيه؟

عبد الرحمن:

. مين اللي ضرب الرصاص؟

صمت خالد لوهلة ثم زفر بعمق ونظر نحو عبد الرحمن بجدية وتابع: .

حاضر.. أنا حقول لحضرتك على الحقيقة.. حقول لك مين اللي ضرب الرصاص.

****

كانت الساعة قد تعدت الحادية عشر صباحاً بقليل، الوقت يمر ببطء كقطارٍ متهالك يحمل على متنه الكثير والكثير من الأفكار..

ذكريات الحاضر تتسلل بخبث نحو عقلها..

تذكرت همسته الساحرة بأذنها..

ابتسمت ولكن تبدلت ابتسامتها لضيق عندما تذكرت غيابه..

إنها تفتقده..

أفاقت من شرودها على صوته، هذا من ينقصها، الآن تتخيل سماع صوته!

ما بال هذا الرجل تخطو النساء بعالمه نحو الجنون!!







ولكنه لم يكن جنوناً، لم يكن خيالاً بل واقعاً متجسداً على باب غرفتها..

هو بحدة نظراته ومكر ابتسامته ودفء صوته

خالد:

ـ صباح الخير.

إيناس:

ـ صباح النور.

دخل بخطوات ثابتة، ثم قرَّب أحد المقاعد من فراشها وتابع متسائلاً أثناء جلوسه:

ـ هي ماما فين؟

إيناس:

ـ كل يوم الصبح بتروح على البيت شوية، تطمن على مصطفى وتشأر على الشقة، وبابا بيجيبها بعد الظهر.

تابع بابتسامة:

ـ وإنتِ عاملة إيه دلوقتِ؟

إيناس:



. الحمد لله.

كانت تجيبه بإقتضاب..

تابع بنبرة ضاحكة:

. متأكدة؟!.. أنا متفق مع الدكتور أقل من ٧٠ نبضة في الدقيقة مش حاستلم.. أنا بقول لك أهو!

ضحكت إيناس رغماً عنها وتابعت:

. إيه اللي إنت بتقوله ده!

خالد:

. ياااااه.. أخيراً ضحكتِ!.. ده أنا عملت بحث مُضني على النكتة دي قبل ما أجي لك علشان أصالحك بيها.. إنتِ عارفة دمي مش خفيف قوي.

أعادت بعض خصلات شعرها للوراء بإرتباك ثم تابعت:

. تصالحني!.. ليه؟

خالد:

. علشان زعلانة مني.

إيناس نافية بتوتر:

. لا.. أبداً مش زعلانة.

هو بثقة:











. لأ زعلانة.

تابعت رغبة في الهروب:

. أخبار المزرعة إيه؟

خالد:

. وحشة من غيرك.

ردت مسرعة رغبةً منها في التخلص من هذا الإرتباك الأحمق الذي يصيبها أمامه:

. يعني ما فيش خساير؟

خالد:

. الخساير بسيطة وحنعوضها إن شاء الله.

إيناس:

. إن شاء الله.

خالد:

. مش عايزة تعرفي كنت فين الأيام اللي فاتت؟

إيناس:

. أكيد مشغول بمليون حاجة.

خالد:





. يعني عندي مليون حاجة تشغلني عنك؟!.. تبقي لسه زعلانة!

نظرت نحوه بخجل دون إجابة، فحروف الهجاء تهرب أمام نظراته..

تصبح شفرة هي نفسها غير قادرة على فك طلاسمها..

استشعر خجلها كعادته واستقطع لنظراته بعض اللحظات الخاصة مع حمرة وجنتيها ثم تابع بصوت هادئ:

. لو زعلانة أنا ممكن أصالحك تاني!

كانت نبرته ماكرة..

ردت مسرعة دون تفكير:

. لأ خلاص أنا مش زعلانة.

ضحك بصوت عالٍ ثم تابع وهو يزفر براحة:

. آآآآآآآآآآه.. معاكِ بانسى همومي.

نظرت نحوه بقلق:

. حصل إيه.

خالد:

. كارمن..

إيناس:











ـ رقية كانت عندي إمبارح بتقول دخلت مستشفى أمراض نفسية.

خالد:

ـ نقلتها فيه من يومين لغاية ما تسافر وتتعالج برة.

إيناس:

ـ للدرجة دي؟!

خالد:

ـ ما عنديش استعداد أجازف.. ممكن تكون خطر على نفسها وعلى اللي حواليها.

إيناس:

ـ هي عندها إيه؟

خالد:

ـ فقدان ذاكرة جزئي.. مش فاكرة أحداث آخر ٣ سنين.

إيناس:

ـ معقول!!

خالد:



- الدكتور بيقول مع العلاج حتتحسن لكن أنا قلقان من رد فعلها بعد ما تفتكر.. ده كمان مهم أعالجه.

إيناس:

- عقلها حماها من الصدمة وهرب للماضي.

خالد:

- على فكرة.. هي كمان فاكرة إني لسه جوزها.

نظرت نحوه بدهشة وتملك منها الغضب للحظات ثم استدركت نفسها وتابعت:

- هي صعبانة عليا.

قال خالد بنبرة حزينة:

- أنا كنت برده سبب في اللي حصل لها.

إيناس:

- حتسفرها فين؟

خالد:

- فلوريدا.. صديق نصحني بمصحة كويسة هناك حجزت لها وحاوديها كمان يومين.

إيناس:

. ربنا يشفيها.

خالد:

. حاغيب أسبوع واحد بس.

إيناس:

. براحتك.. برده لازم تطمن على الوضع هناك.

خالد:

. حتوحشيني حاجي عليكِ من المطار.

ابتسمت ثم قالت وهي تنظر للأسفل:

. غالباً حكون رجعت للبيت.

تابع بابتسامة واثقة:

. خلاص يبقى حاجي البيت.

رفعت نظرها لتجده ينظر نحوها بإصرار متابعاً:

. حاجي البيت يا إيناس.. فاهماني.. حاجي البيت.

صمتت لوهلة، كانت تعلم مقصده جيداً..

كانت خائفة وسعيدة..

حائرة ولكن راغبة بقربه..

تابع مرة أخرى وهو يبسط يده من أجل مصافحتها:










. أشوف وشك بخير.

كانت أناملها مرتجفة.. باردة..

استقرت بأمان عندما استشعرت دفء قبضته..

وجدت نفسها تقول له:

. إبقى كلمني..

نظر نحوها بعمق تبعته إبتسامة صادقة وقال:

. حاكلمك.. كل يوم حاتصل أسمع صوتك.

إيناس:

. لا إله إلا الله..

خالد:

. محمد رسول الله.

الفصل الحادي والأربعون:

"إختبار السيدة الجميلة"





كيف نرى العالم؟..

هل نراه كما هو؟..

أم نراه كما نريد أن نراه؟.

الحقيقة أننا نرى العالم من خلال أنفسنا، أفكارنا، مشاعرنا، ربما سعادتنا أو غضبنا.



الصورة السابقة تمثل إختبار..

فإذا نظرنا ملياً للصورة على اليمين ثم عدنا للصورة في المنتصف سنراها امرأة جميلة، شابة، لها أنفٌ دقيق وترتدي عقداً ربما من الماس ولكن،

إذا نظرنا بدقة للصورة الأخرى على اليسار ثم عدنا مرة أخرى للصورة في المنتصف سنجدها عجوز!!










نعم عجوز تبدو في السبعين من العمر، حزينة، لها أنفٌ ضخم وترتدي شالاً سميكاً..

نعم..

نحن نرى الحياة بمنظور مختلف..

ويختلف بإختلاف تجاربنا.. ماضينا.. أفكارنا.. هواجسنا..

وستتبدل الصورة كلما تغيرنا نحن.

نعم..

الصورة ثابتة ونحن من نتحرك.

"الإختبار: المصدر... كتاب العادات السبع الأكثر فعالية لستيفن كوفي"

خالد

مرت عدة أيام واستقرت كارمن بالمشفى النفسي، كان يذهب لزيارتها يومياً..

مرت الأيام عليه مزدحمة.. ممتلئة بما حدث ويحدث وسيحدث..

ومع مرور الوقت بدأ يوقن ويعي التغيير حوله، إختلف كل شيء..

كارمن تبدو مختلفة..





ملامحها.. ابتسامتها.. عيناها

وكأنها ليست كارمن، وكأنها امرأة أخرى قابلها فقط منذ عدة أيام، فلم تعد خصلاتها الحمراء ثائرة.. جامحة كما إعتادها، لا بل أصبحت هادئة.. مستكينة.. خاضعة.

زرقة عينيها تملك منها السكون.. والركود.. ربما اليأس.. وربما العفة..

نعم انطفأت شعلة الرغبة بداخلها..

ولكن أية رغبة؟؟

رغبتها أم رغبته؟

فمنذ البداية كارمن لم تكن سوى رغبة..

رغبة الإنتقام.. رغبة الكيد.. ورغبة المتعة..

والآن أصبحت رغبة التطهير.

نعم اختلف كل شيء وأصبح يراها بمنظور مختلف..

مسالم.. هادئ.. مسامح..

منظور معبقٌ بنكهة البندق.

****





إيناس

عادت للمنزل..

عودة أخرى، مرة أخرى، مشفى آخر..

يبدو كل شيء مختلفاً، على الرغم من أنه لم يتغير شيء، فالأثاث مرتب كعادته، عبق الدفء يغمر المكان كما عهدته، والدتها تمارس طقوسها الخاصة بالمطبخ التي تنبئ بوجبة شهية ساخنة، وجبة تلذذت بطعمها أكثر من ذي قبل..

نعم كل شيء يبدو أجمل..

حتى الشرفة، شرفة شريف، تلك الشرفة التي احتضنت ذكرياتها.. أحلامها.. سعادتها.. أحزانها.. عشقها.

لم تتوجه نحوها بخطوات مرتجفة تلك المرة، لم ترى القبح بمعالمها كما اعتادت، فالمرأة بالشرفة كانت تبدو جميلة.. متفانية.. سعيدة..

إنها أم مستمتعة برونق الطفولة المحيط بها..

وكأنها تراهم لأول مرة.. وكأنها ترى الحياة من جديد.

حياة بشمس صبوح تشرق مع رسائله الصوتية كل صباح، نبرته الدافئة وعباراته العاشقة أصبحت عادة.. وسعادة.. ورغبة وابتسامة.. ودقات قلب متفانية من أجله وكل شيء..











كانت وحيدة بغرفتها عندما سمعت طرقات متتالية على الباب...

رمق عبد الرحمن ابنته بنظرة باسمة وقال:

ـ صباح الخير يا أنوس..

إيناس:

ـ صباح النور يا بابا.

عبد الرحمن:

ـ عاملة إيه دلوقتِ؟

إيناس:

ـ أنا كويسة يا بابا، ما تقلقش عليا.

عبد الرحمن:

ـ طيب يا بنتي الحمد لله.. دماغك رايقة، عايز أتكلم معاكِ شوية.

ابتسمت لأبيها بإرتباك وتابعت:

ـ آه طبعاً، اتفضل يا بابا.

ابتسم عبد الرحمن لإبنته ثم تابع بنبرة جادة:



- بصي يا إيناس من غير مقدمات كتير.. البشمهندس خالد طلب إيدك مني.

صمتت إيناس لوهلة وقد تمكنت دهشة ممزوجة بالخجل من ملامحها ثم تابعت بنبرة خافتة:

- طلب إيدي!.. إمتى؟

عبد الرحمن:

- في المستشفى.

إيناس:

- في المستشفى!

عبد الرحمن:

- أيوة في المستشفى، تقريباً ده كان أول كلامه معايا.

كانت تستمع لأبيها والدهشة مسيطرة عليها، فخالد لم يُخبرها أنه بالفعل تقدم للزواج منها وبتلك السرعة..

الزواج!!..

ماذا كانت تظن أنها ستقضي سنواتها القادمة في إستقبال برقياته العاشقة؟!..

حتماً سيكون هناك زواج فقد أخبرها بإصرار أنه سيأتي للمنزل..

أخرجها صوت أبيها من أفكارها المتشابكة وقد تابع:



. بصراحة أنا في الأول ما كنتش متشجع لكن لما سألت عنه وعن عيلته لقيت سمعتهم طيبة، وهو أعتقد إنه شخص ناجح ولا إنتِ إيه رأيك؟

إيناس:

. هه!

عبد الرحمن:

. إيه رأيك في البشمهندس خالد؟

ردت بإرتباك:

. هو كويس.. كويس.

عبد الرحمن:

. يعني موافقة؟

إيناس:

. موافقة!!.. على إيه؟

رمقها أبيها بنظرة فاحصة وتابع:

. على الجواز.

تبدلت ملامحها، تمكنت منها الحيرة والحزن، قالت بيأس:

. مش عارفة!

ابتسم عبد الرحمن لإبنته ثم أحاطها بذراعه ليجذبها بقربه وتابع:







ـ شوفي.. والدتك طبعاً مشجعة الموضوع.. أنا كنت متردد، لكن هو وعدني بحل مشكلة كارمن وإنها مش حتسبب إزعاج ولا خطر ليكم من تاني.

نظرت له إيناس بصدمة قائلة:

ـ هو حكى لحضرتك على كارمن؟!!

عبد الرحمن:

ـ وإنتِ تفتكري إني ممكن كنت أوافق من غير ما أفهم بالضبط اللي حصل ليلتها في المزرعة!

لا تدري ماذا حل بها ولكن سخونة وجهها كانت تنبئ بملامح حمراء تحمل الخجل والغضب في آن واحد..

أيعقل أن يكون قد أخبر والدها بتضحيتها من أجله؟!!

لاحظ عبد الرحمن ملامحها الحائرة وقلقها البادي بقوة على وجهها، كان يود أن يصمت منتظراً تفسير ما حدث منها تلك المرة ولكنه آثر المتابعة من أجل تهدئتها فتابع:

ـ أنا بصراحة كنت مصدوم لما حكى لي على موت اللي اسمه كريم وكمان جنون كارمن المؤقت وضربها نار عليكم عشوائي، وفي الآخر إنتِ اللي انصبتِ..

زم شفتيه وتابع:





ـ طول عمرك محظوظة كده يا بنتي!

تنفست إيناس الصعداء عندما سمعت كلام أبيها..

آآه كم تحب خالد في تلك اللحظة!!

هل هذا حقاً هو الحب؟!

أن يعلم حبيبك بما توده دون أن تُصرح له بذلك..

نعم ربما علمت رقية بتضحيتها من أجله، ولكنها لم تشأ أن تواجه عائلتها بهذا الشأن..

فآخر ما ينقصها الآن هو تبرير هذا العشق..

أم ربما هذا العذاب الذي أصبحت تريده رغماً عنها..

مرة أخرى يُخرجها صوت عبد الرحمن من شرودها، تابع الأب بنبرة ماكرة: ـ

ها يا إيناس.. الراجل منتظر ردنا، غالباً حيزورنا الأسبوع الجاي بعد ما يرجع من السفر.

إيناس:

ـ هو كلم حضرتك؟.. حدد ميعاد يعني؟

عبد الرحمن:

ـ تقريباً إتفقنا على كده لما شفته آخر مرة في المزرعة.

إيناس:







ـ هو حضرتك رحت المزرعة؟

عبد الرحمن:

ـ أيوه قبل ما يسافر على طول طلب يقابلني، وإتقابلنا هناك.. لأ وكمان على حظي أحضر يا ستي الولادة اللي كان المفروض حضرتك تحضريها!

تملكت منها الدهشة مرة أخرى..

ما بال هذا الحوار.. زاخرٌ بالمفاجآت..

هتفت متسائلة:

ـ ولادة!!.. سهيلة ولدت؟

عبد الرحمن:

ـ ما كنتيش تعرفي؟.. خالد ما قالش ليكي؟

نعم لم يخبرها..

بل تهرب من الإجابة عندما سألته عن سهيلة منذ يومين..

وقال أنها بخير ولم تلد بعد..

أجابت أبيها مسرعة ربما لتنفي مكالمتها الهاتفية كتلميذة صغيرة:

ـ لأ.. حيقول لي إمتى!

ابتسم عبد الرحمن لطفلته العنيدة ثم تابع:



. عموماً قدامك يومين وتديني رد.. لو رافضة بلغيني، بس طبعاً مش حينفع شغل في المزرعة بعد رفضك.. ولو موافقة مش شرط تبلغيني.. يعني حنمشي بمبدأ السكوت علامة الرضا.

قال عبد الرحمن جملته وغادر غرفتها مسرعاً قبل أن تبدي الموافقة أو الإعتراض على إقتراحه..

ابتسم بسخرية هو يعلم ردها، فمنذ أن دلف للغرفة ولمح شعاع الشمس بداخلها وشرفتها المفتوحة على مصراعيها وقد تزينت بضحكات الصغار من الشرفة المقابلة علم الرد..

إنها الحياة.

الحياة التي تمكنت في النهاية من عزلتها، تسللت ببطء لعالمها الصغير حتى تمكنت منه..

نعم دون أن تشعر تمكن منها هذا العشق، وعندما قررت الهروب اكتشفت في النهاية أنه تهرب نحوه لا منه!

خالد..

هذا الغاضب الذي إقتحم ليس واقعها فقط بل أحلامها أيضاً،..

نعم كان خالد يخطو بثقة داخل دهاليز عقلها بهذا العالم المسمى الأحلام وكأنه قرر الإستئثار لنفسه بكل شيء..



الواقع والخيال..

كانت الساعة قد تعدت الثانية صباحاً، أيقظها رنين الهاتف،

كان هو..

أجابت بقلق بالغ:

ـ خالد!!.. خير!.. إنت كويس؟

خالد:

ـ ما تتخضيش.. أنا عارف الوقت مش مناسب، بس أصلي بكلمك قبل ما اركب الطيارة.

إيناس:

ـ إنت مسافر دلوقتِ؟

خالد:

ـ آه.. طيارتي كمان نص ساعة.

إيناس:

ـ توصل بالسلامة.

خالد:








- الله يسلمك.. كان لازم أسمع صوتك قبل ما أسافر، أهو يونسني في ساعات السفر المملة دي.

إيناس:

- المسافة طويلة صح؟

خالد:

- أكثر من ١٠ ساعات.. تخيلي كل ده محبوس في الجو.. بصراحة أنا بكره الطيران جداً.

إيناس:

- ليه؟

خالد:

- تخيلي محبوس في علبة سردين بالأمر ومش قادر أخرج.. ححاول أنام.

إيناس:

- فعلا... بالشكل ده طبيعي تكره الطيران.. إنت كمان بتحب الأماكن المفتوحة زي المزرعة.

خالد:

- طيب بذمتك المزرعة ما وحشتكيش؟

إيناس:







- بصراحة وحشتني.. ووحشني رعد، ووحشتني سهيلة.

قال بمكر:

- بس رعد وسهيلة!!..

أجابت مسرعة:

- صحيح أخبار سهيلة إيه؟ برده لسه ما ولدتش؟

خالد:

- هي مستنياكِ تيجي تحضري الولادة بنفسك.

إيناس:

- بس كده هي إتأخرت، لازم دكتور يشوفها.

خالد:

- طيب ما تنورينا يا دكتور.. ساعة واحدة بس علشان خاطر سهيلة!

تابعت وهي تكتم ضحكتها:

- خلاص حاجي.. حتى كمان بابا عايز يجي معايا!

صمت لوهلة ثم تابع بغيظ عندما استدرك نبرتها الساخرة:

- بقى كده!!

ضحكت رغماً عنها وقال:





. طيب ليه خبيت عليا؟

خالد:

. كنت عايز أعملها لك مفاجأة.. كان نفسي أشوف ملامحك أول ما تشوفيهم الإتنين.

إيناس:

. طيب مش كنت وعدتني أسميه... كده إنت رجعت في كلامك ولا إنت سايبه من غير إسم؟

خالد:

. وهو أنا أقدر أسيب حبيبتي إيناس من غير اسم لغاية دلوقتِ!!

ارتبكت بشدة عندما نطق اسمها مقروناً بلفظ حبيبتي وتملك منها الخجل حتى قبل أن تدرك معنى عبارته وظلت صامتة للحظات قطعها هو بصوته قائلاً:

. إيه!!.. روحتِ فين؟

إيناس:

. إنت بتقول إيه!!

تابع بصوت هادئ:

. اسمها إيناس.

قالت بتردد:









- على اسمي؟

خالد:

- وهو في إيناس غيرك!

ابتسمت وظلت صامتة، تابع خالد:

- لما تشوفيها حتعرفي ليه سميتها إيناس.

إيناس:

- شوقتني أشوفها.

خالد:

- القرار بإيدك.. من بكرة لو حبيتِ، مش بس تشوفيها لأ تفضلي جنبها على طول.

أجابت بإرتباك:

- الطيارة معادها قرب؟

إبتسم وتابع:

- فعلاً.. أنا داخل دلوقتِ.

إيناس:

- خلاص.. نقول لا إله إلا الله..

خالد:





. محمد رسول الله

****

رقية

منذ أن خطت خطواتها الأولى لمنزلها من جديد شعرت بالضيق، لم تتصور يوماً أن تشعر بالضيق من منزلها..

مملكتها الصغيرة، ولكن صوت سهام الرفيع.. نبرتها القاسية.. نظرتها الكائدة، وكأنها مشاعر من الغضب تتجول بالمكان وكأن عبق سهام إلتصق به ويأبى الرحيل..

ولكن مع مرور الأيام بدأ يتلاشى، تناثر أمام نسمات الهواء التي انطلقت تعدو بحرية في جنبات المكان مُحاطة بضوء الشمس..

إنها الحياة.. المستقبل.. إنه خالد الصغير.

وبدا المنزل مختلفاً بعينيها مرة أخرى..

هي ترى الآن تفاصيل صغيرة لم تُدر لها بالاً قبل ذلك، الدرجات البسيطة للسُلم تراها كارثة.. خطر يهدد سلامة صغيرها..

وتلك الطاولات الزجاجية الصغيرة التي اعتادت أن تزين بها جوانب غرفة معيشتها، لم تعد تراها جميلة، بل أصبحت أداة مخيفة قد تهدد حوافها المدببة جبهة ملاكها الصغير..







ودون شعور وحتى قبل أن يُكمل خالد شهره الأول انطلقت تخطط لحملة واسعة من التغيير..

لتتحول مملكتها صغيرة لبيئة آمنة..

فقط من أجله..

نعم..

اختلف منظور الحياة لدى رقية، أصبحت تراها من خلال صغيرها خالد.. ورغم القلق إلا أنها كانت تبدو أجمل من ذي قبل.

****

حمزة

افترض حسن النية إلى أن يثبت العكس..

طالما كانت تلك العبارة هي مبدأه بالحياة..

ابتسم بسخرية..

يالها من عبارة حمقاء..

وهو كان أكثر منها حماقة..

افترض الصدق حيث ينمو الكذب، ألقى ببذور الثقة بأرض الخديعة، وكأن الكذب حالة اعتادها الجميع سواه..

حتى هي طالما رآها جميلة.. صادقة .. هادئة كأحد ألحانه..













ولكنها ليست كذلك..

نعم..

حتى هي تلوثت بالخديعة..

خديعة نفسها قبل الجميع..

فقد عشقت خالد في النهاية.

أي الأمرين أفضل أن تتكيف مع التغيير حولك أم تتجاهله؟!!..

بالطبع اختار حمزة أن يتكيف مع التغيير..

وتلونت الحياة بعينيه من خلال منظور آخر، أكثر حرصاً ربما..

فالقاعدة الآن تقول افترض سوء النية إلى أن يثبت العكس..

زفر بقوة قبل أن تضغط أنامله جرس الباب بقلق..

لم تصدق رقية نفسها عندما وجدته بباب منزلها، كان يبدو مختلفاً..

عيون تائهة.. لحية طغت بأشواكها على ملامحه.. حتى قبعته تخلى عنها..

جذبته بقوة مطعمة بحنان الأمومة من ذراعه إلى الداخل وهي تقول بنبرة لائمة:

- كده يا حمزة!.. تدوخني عليك علشان أشوفك.









أجابها بابتسامة مقتضبة:

- معلش يا أبلة.. ظروف.

كانت عيناه حزينة.. صامتة، وكأنها تحمل أطناناً من الهموم..

نظرت رقية نحوه في آسى وتابعت:

- مالك يا حمزة؟.. فهمني يا حبيبي إيه اللي حصل؟

ابتسم بسخرية:

- يعني إنتِ يا أبلة ما تعرفيش؟!!

رقية:

- هو حد فاهم حاجة!!.. هما كلمتين بتوع الغفير، بيقول شاف كارمن في عربيتك ليلتها، وخالد قفل الموضوع بجنزير وقال ما حدش يتكلم فيه تاني، ومحدش فاهم حاجة.

حمزة:

- لا..لا يا أبلة.. الكل فاهم.. من غير كلام باين في عينيهم، بس مش قادرين يقولوها في وشي، ولا حتى يسألوني منين دخلتهم؟.. ومنين دافعت عن المزرعة بحياتي بعد كده؟..

رقية:









ـ الموضوع مش محتاج سؤال يا حمزة.. إنت إنضحك عليك.. بس نفسي أفهم إزاي!!

حمزة:

ـ مش حينفع.. عمري ما حقدر أقولك إزاي.

زفرت رقية بيأس ثم تابعت:

ـ عموماً هي خدت جزائها.

صمت لوهلة عندما تذكر هذيان كارمن..

طغت الابتسامة الساخرة على ملامحه مرة أخرى لا يعلم ماذا أصابه ولكنه لم يشعر نحوها بالشفقة، وكأن الجمود تمكن منه حتى النخاع..

نظر نحو رقية بحنان وتابع:

ـ أنا جاي أقول لك أشوف وشك بخير.

رقية بصدمة:

ـ إيه!!.. لأ.. لأ يا حمزة.. لأ.

زفر بعمق:

ـ صدقيني ما عدش ينفع.. لازم أبعد بجد مش قادر أقعد هنا.. أنا كمان جات لي فرصة سفر كويسة.





رقية وقد أمسكت بيده وبدت عبراتها من أجله:

ـ ليه يا حمزة .. خلاص بقى موضوع وعدى وكلنا حننساه.. ولا في سبب تاني؟.. إيناس وخالد، صح؟

ربت حمزة على يد رقية ثم ضغط بأنامله على جبهته ليتركها بعد ذلك تتخلل خصلات شعره الأسود واستقر باطن كفه في مواجهة رأسه مستنداً عليه مغمض العينين وتابع:

ـ مش حينفع.. خالد مش حيقدر يتعامل مع واحد هو عارف إنه كان بيحب مراته.. ولا أنا حاقدر أتعامل مع ده.

ملست رقية على رأسه في حنان وهي تتابع:

ـ الزمن بيداوي يا حمزة، بكرة تنساها وتقابل حبك اللي بجد.

نظر نحوها بابتسامة:

ـ مش لما يكون ليا أنا رغبة أحب من تاني!

ابتسمت رقية في محاولة لتلطيف الأجواء وتابعت:

ـ هو إنت فاكر إنه بمزاجك ولا إيه؟!

أجابها بإصرار:

ـ أيوة كله بمزاجي بعد كده.. وبده.. ده أهم حاجة..










قال عبارته الأخيرة وهو يشير نحو رأسه ملمحاً لعقله

تابعت رقية وهي تنظر نحوه بعمق:

. إنت خوفتني عليك يا حمزة.. فين حمزة بتاع زمان؟

ابتسم بأسى:

. اكتشف إنه مش فارس... وما عندوش حصان أبيض.. اكتشف إنه مش فاعل، لأ ده مفعول بيه وبس.

رقية وقد تمكنت منها العبرات بقوة تلك المرة وبنبرة باكية تابعت:

. ومين قال لك إنك فارس!.. إنت ناسي ولا إيه؟!

"أنا مش فارس ولا فتى أحلام.... أنا زحمة وربكة وشغل جنان"

ابتسم وبعبرات متحجرة تابع بدوره:

. "تص بيضحك والتاني زعلان"

وضعت رقية يدها على فمها قبل أن تنفجر في بكاء وداعه وجذبته بقوة لتحتضنه بحنان، ولكن تمكن منها البكاء في النهاية..

عبرات منهمرة كالشلال بللت كتفيه..

تابعت:











ـ حترجع هه.. حتتوه شوية وترجع صح؟

ابتسم لها ولكن بملامح باكية ثم طبع قبلة وداع على يديها وهرب مسرعاً دون كلمات..

أم ربما دون وعود..

الفصل الثاني والأربعون:

النهاية

جدائل البندق

تبدو كخيوط متوهجة بلون الغروب، ثائرة ومسترسلة في آن واحد..

عبق البندق لم يستحوذ على جدائلها فقط تلك المرة..

لا..





هي كلها مغلفة بعبقٍ مميز يحمل رائحة البندق ونكهة العسل وحرارة الشمس إنـها إيناس..

المهرة إيناس..

تخللت أنامله القوية خصلاتها الرقيقة، كان يتأملها بابتسامة وهو يحاور السائس قائلاً:

ـ هي عاملة دلوقتِ يا دسوقي؟

دسوقي:

ـ ما تقلقش يا خالد باشا، دي زي الفل.

خالد:

ـ طيب خلاص.. روح إنت شوف بقية شغلك أنا قاعد هنا شوية.

غادر دسوقي وتركه يواصل تأملها، لم تأخذ من لون أمها الثلجي سوى تلك البقعة الصغيرة بجبهتها وأخرى فوق فمها..

بدت مميزة.. رقيقة.. جميلة..

تستحقين حقاً مسمى صاحبة جدائل البندق.

زفر براحة ثم أخرج هاتفه بابتسامة..








ابتسامة تغلفت بالثقة عندما وجد رسالة نصية منها تطمئن فيها على وصوله..

أجرى مكالمته وبدأ حديثه قائلاً:

ـ ألو أستاذ عبد الرحمن.. أنا خالد.

عبد الرحمن:

ـ أهلاً.. أهلاً يا بشمهندس.. حمداً لله على السلامة.

خالد:

ـ الله يسلمك.

عبد الرحمن:

ـ رجعت إمتى؟

خالد:

ـ وصلت المزرعة حوالي العصر كده.

عبد الرحمن:

ـ طيب الحمد لله.

خالد:





ـ أنا كنت حابب أزور حضرتك بكرة.

عبد الرحمن:

ـ طبعاً يا إبني تشرف.

خالد:

ـ خلاص ٨ بالليل إن شاء الله حكون عندكم.

عبد الرحمن:

ـ وهو كذلك

أغلق عبد الرحمن الهاتف وابتسم وهو ينظر لحاله في المرآة ويراقب ملامحه المختلطة بالقلق والسعادة في آن واحد..

****

ولم تكن الملامح فقط هي المختلطة بل المشاعر أيضاً..

إيناس التي تمكن منها الإضطراب والتردد قبل اللقاء، دقات قلبها المتقافزة عندما سمعت صوته يحي والدها، ابتسامة أمها والكئوس الحمراء المتراقصة كموسيقى العرس..

أناملها المرتجفة، خنصرها الأيسر التي أصرت أمها أن تحلله من حلقة شريف اللامعة قبل مجئ خالد..



كانت تشعر أنها بدوامة، كثيراً ما ودت الصراخ، ولكن كلما إلتقت بعينيه استكانت من جديد، فعلى قدر ترددها أم ربما تخبطها فهي حقاً لا تحتمل فقدانه، وكأنه الجدار المتين بعالمها الذي تستند عليه خشية السقوط، فالسقوط الوحيد الذي ترتضيه الآن هو السقوط في عشقه..

****

بعد مرور ثلاثة أشهر....

تزينت المزرعة من أجل الزفاف..

كما أرادته بندقيته المطعمة بنكهة العسل..

كان بسيطاً خالياً من مظاهر الإبتذال والترف، وهي كانت تبدو رائعة في ثوبها الأبيض المطرز برقة وخصلاتها المرفوعة بأناقة، والأجمل تلك الخصلات البندقية الهاربة المنسدلة على جيدها العاجي..

كانت تبدو كلوحة فنية رائعة الجمال هربت من متحف اللوفر واستقرت فقط بعينيه..

أنفاسها متسارعة، نبضاتها مرتجفة، دقات قلبها تعلو وتهبط مع كل لفظ يُنطق..

زوجتك إبنتي..

قبلت زواجك..



بالرفاء والبنين..

تهاني ومباركة وأناملها غارقة بين قبضته وعيناها حائرة في الزحام، ولكن في لحظات تحتويها نظرته..

وأيضاً مرت الساعات كدقائق وانتهى الزفاف سريعاً، مبكراً، وجذبها برفق نحو منزلهم، نحو المستقبل..

ابتسم لها بعد أن دلفا للمنزل قائلاً:

ـ إنتِ مستغربة المكان؟

أجابت بإرتباك:

ـ لأ عادي.. أصلاً الفيلا شبه اللي كنت عايشة فيها.

خالد:

ـ بس دي بقى بتاعتي أنا، وأجمل حاجة إنك نورتيها.

ابتسمت له بخجل دون أن تضيف شيئاً، تابع وهو يجذبها برفق:

ـ طيب تعالي ندخل جوه.

خطت بتوتر داخل غرفة النوم..

نظرت حولها لتلمس اصرار والدتها ورقية على تزيينها بأوراق الورد والشراشف المطرزة خصيصاً من أجل الزفاف..






ابتسمت رغماً عنها ثم انتبهت لنبرته وهو يقول:

. دول غيروا شكل الأوضة خالص!

إيناس:

. بس ذوقهم رقيق.

خالد:

. طبعاً بس أنا ذوقي أحلى!

كان يرمقها بمكر..

ابتسم لها وهو يتخلص من ربطة عنقه وسترته ثم اقترب منها، ولكن خطوته المتقدمة نحوها قابلتها هي دون وعي بخطوة إلى الوراء..

جذبها بلين قبل أن تبتعد أكثر وقال بنبرة دافئة:

. رايحة فين؟

أغمضت عينيها وهمهمت بإرتباك:

. لأ.. عادي.. ما فيش.

ابتسم بمكر ثم تابع:

. مين عملك شعرك؟







نظرت نحوه بدهشة:

. إيه!!

خالد:

. بقول لك مين عملك شعرك؟.

إيناس:

. واحدة.. الكوافيرة اللي جات معايا.. بتسأل ليه؟!

خالد:

. مش عاجبني!

إيناس:

. مش عاجبك!!!!

اقترب منها وبحركة بسيطة حلل ربطة شعرها من قيد حليته المعدنية فتناثرت خصلاته على كتفيها..

تابع بابتسامة:

. اللي كانت عاملاه ده جريمة في حق الطبيعة..

ملس برقة على خصلات شعرها متابعاً:









. كده أجمل كتير..

ارتبكت وطغا احمرار وجنتيها على كل ملامحها..

ظل يراقب ارتباكها بشغف..

كانت تبدو جميلة بل متناهية الحسن..

تابع بثقة بعد فترة لا بأس بها من مراقبتها:

. قدامنا ساعة..

نظرت نحوه بدهشة:

. نعم!

خالد:

. ناقص ساعة على الغروب.

إيناس:

. مش إنت صممت الفرح يكون بدري.

خالد:

. ما هو إنتِ لو تعرفي أد إيه عينيكِ بتكون جميلة في الشمس كنتِ عرفتِ ليه!

ابتسمت بخجل وأخفضت بصرها هرباً من عينيه..





تابع بنفس نبرته الواثقة:

ـ طيب يدويك نتحرك دلوقتِ.

رمقته بدهشة:

ـ حنخرج!

خالد:

ـ بس حنطلع من بوابة الجنينة اللي ورا، لإنهم لسه متجمعين بره ومش حينفع نخرج قدامهم.. أنا سايب العربية هناك.

أنهى عبارته ثم أمسك بيدها ليجذبها للخارج..

قالت له بدهشة وهي تحاول التخلص من قبضته:

ـ خالد.. إحنا رايحين فين؟! طيب أغير هدومي الأول.

أجابها وهو يتجه معها للخارج:

ـ لا تغيري مين!.. أنا عايزك كده زي ما إنتِ.. يلا بقى اسمعي الكلام.

استقرت بجانبه في السيارة حائرة وانطلق هو مسرعاً نحو وجهتهما..

****












ابتسمت وهي تداعب المهرة إيناس وتمرر أناملها الرفيعة بين خصلاتها المسترسلة ثم قالت:

ـ لأ بجد أنا مبسوطة قوي إننا جينا هنا.. كانت واحشاني قوي.

خالد:

ـ عارف.. الفترة اللي فاتت ما لحقتيش تشبعي منها.

إيناس:

ـ فعلاً هما مرتين بس اللي جيت شوفتها فيهم.

رمقها بغيظ:

ـ والمرتين مرة معاكِ بابا، ومرة معاكِ مصطفى.

ضحكت بشدة عندما لمست غضبه عندها اقترب منها وتابع بنبرة ماكرة: .

بس خلاص إحنا لوحدنا دلوقتِ.

ابتعدت عنه وتابعت بتوتر:

ـ هو فين رعد؟

ابتسم بمكر:

ـ رعد في مكانه حيروح فين!.. أصلاً إحنا جايين علشانه مخصوص!



توجهت إيناس نحو جوادها الثائر الذي أطلق حمحمة هادئة على الفور بمجرد أن اقتربت منه وبدت عليه السعادة..

همست برقة في أذنه وابتسمت بعدها وكأنه حوار خاص بين كلاهما..

قال خالد بنبرة ضاحكة:

ـ كنتِ بتقولي له إيه بقى؟

إيناس:

ـ لأ ده سر بيني وبين رعد.

خالد:

ـ والله!!.. عموماً حاعرف منه.

إيناس:

ـ بقى كده!!

قالتها وهي تنظر نحو الجواد بابتسامة

صمت لوهلة وهو يراقبها تعتني برقة بجواده الغاضب، هي وحدها التي استطاعت ترويض بأسه.

تابع وهو يرمقها بتحدي:









. بس إنتِ لسه ما روضتيش رعد ١٠٠%.

نظرت نحوه بدهشة بالغة..

تابع بثقة:

. لسه ناقص لك خطوة صغيرة، لو عملتيها حتبقى روضتيه زيي بالظبط.

إيناس:

. وإيه هي بقى؟

خالد:

. إنك تركبي الحصان!

ضحكت وهي تحرك رأسها بالنفي:

. لا.. لا أكيد إنت بتهزر.

ابتسم لها ثم سحب رعد للخارج وبدأ يعد السرج من أجل إمتطاءه

تابعت بجدية:

. خالد.. أنا مش حاركب الحصان.

تابع هو بنبرة أكثر جدية بدوره:

. إنتِ خايفة من إيه؟.. أنا حامسكه.. يعني بجد عمرك ما فكرتِ تركبي حصان؟











ردت بعفوية:

. لأ.

خالد:

. يلا بلاش جبن، أنا جهزته أهو.

إيناس:

. لأ يا خالد.. ويعدين أنا حاركب إزاى بالفستان؟!!

خالد:

. الفستان واسع وخفيف مش حيضايقك.. يلا حطى رجلك وإطلعي الموضوع سهل خالص.

إيناس:

. بلاش يا خالد.. طيب خليها مرة تانية.

خالد:

. إنتِ مش واثقة فيا ولا خايفة من رعد؟

إيناس:

. لأ مش الفكرة.








خالد:

- يبقى يلا.. يلا بقى

أذعنت لرغبته في النهاية حائرة من إصراره..

لم يكن إمتطاء الجواد سهلاً بالمرة خاصةً مع ارتدائها لثوب الزفاف، بل لولا مساعدته لها ورفعه لجسدها لما إستطاعت الركوب..

تابعت وهي تنظر بحيرة للحزام السميك أمامها:

- طيب أمسك ده ولا أعمل إيه؟!

لم تكد تنهي عبارتها حتى شعرت بذراعيه القويتين تحيط خصرها لتمسك بحزام السرج، وعندها أيقنت أنه امتطى الجواد بدوره خلفها..

هربت منها العبارات وتولت دقات قلبها المتسارعة الزمام..

قالت بصوت خافت:

- إنت بتعمل إيه؟!!

همس بأذنها بكلمة واحدة:

- حاخطفك!!

لم يكد ينهي كلمته حتى انطلق رعد يعدو بكليهما..







هي..

خائفة.. مرتبكة.. ولكنها سعيدة..

وهو..

كما تمنى من قبل..

هي معه على فرسه الثائر مستأثراً بجدائلها البندقية..

ابتسم برضا..

فنسمات الهواء الحر تخترق صدره كما اعتاد، ولكن في تلك المرة كانت مُطعمة بعبق البندق.

تمت بحمد الله ......



